جامعة آل البيت
Al al - Bayt University



جامعة آل البيت
كلية الدراسات الفقهية و القانونية
قسم أصول الدين

رسالة ماجستير بعنوان

واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية

" Realistic speech lawsuit in the light of Sunnah "

إعداد الطالب : علي طه محمد الكيلاني

الرقم الجامعي : ٠٣٢٠١٠٥٠٠٦

إشراف الدكتور : بكر مصطفى بني ارشيد

العام الدراسي
٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩

واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية

" Realistic speech lawsuit in the light of Sunnah "

إعداد الطالب
علي طه محمد الكيلاني

الرقم الجامعي : ٠٣٢٠١٠٥٠٠٦

إشراف الدكتور
بكر مصطفى بني ارشيد

أعضاء لجنة المناقشة :		التوقيع
١- د . بكر مصطفى بني ارشيد	(مشرفا و رئيسا)	....
٢- د . علي عجين	(عضوا)	....
٣ – د . محمد الزعبي	(عضوا)	....
٤ – أ . د . باسم فيصل الجوابرة	(عضوا)	....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث النبوي الشريف و علومه في كلية الدراسات الفقهية و القانونية في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنة وَجَادِلهُمْ بالتي هِيَ أحْسَن ،إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلمُ بمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِه وَهُوَ أعْلمُ بالمُهْتدين ﴾

{ سورة النحل : ١٢٥ }

إهداء

أهدي هذا العمل لسيد البشرية ، معلمنا الأول ، وقدوتنا وهادينا إلى الخير والرشاد صلى الله عليه وسلم ، كما أهدي هذا العمل لوالدي اللذين تعاهداني بالتربية والعطف و الحنان ، وإلى من أظمأت نهارها وسهرت ليلها على راحتي حتى أصل إلى هذا الهدف زوجتي الغالية ، وإلى بناتي بشرى ، وشفاء ، وهبة الله ، ولا أنسى أساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وخالص نصيحتهم .

سائلاً الله عز و جل أن يبارك لي في هذا العمل و يجعله خالصاً لوجهه الكريم .



شكر و تقدير

الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة ، و انطلاقاً من الأثر المعروف "لا يشكر الله من لا يشكر الناس "[1] فإني أتقدم بعظيم الشكر و جزيل الامتنان إلى مشرفي الفاضل فضيلة الدكتور بكر مصطفى بني ارشيد على توجيهاته الكريمة ، وأفكاره النيرة ، التي كانت بمثابة البوصلة التي ترشد إلى الطريق الصحيح ، سائلاً الله عز و جلّ أن يعظم له الأجر و الثواب ، و يجزيه خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة ، على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ، و إتحافنا بآرائهم السديدة و توجيهاتهم الحكيمة .

و إلى جامعة آل البيت التي احتضنتنا في ظلالها ، و التي كان لها من اسمها نصيب حيث تجسدت علوم و أخلاق أهل البيت في أهدافها و رسالتها .

وأخيراً أقدم خالص شكري و عظيم امتناني لكل من ساهم في انجاز هذه الرسالة وقدم لي العون و المساعدة ، سائلاً الله عز و جل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

علي طه محمد الكيلاني

---

[1]) أخرجه أبو داود في سننه ج٢، ص٦٧١ ، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ، رقم ٤٨١١ ، والترمذي في سننه ج٤ ، ص ٣٣٩ ، كتاب البر والصلة ، باب الشكر لمن أحسن إليك ، رقم ١٩٥٤ ، وأحمد في مسنده ج٢ ، ص ٢٩٥ و ٣٠٢ ، والحديث صحيح صححه الألباني :(السلسلة الصحيحة ٧٧٦/١ح٤١٦)

قائمة المحتويات

ملخص الرسالة باللغة العربية

واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية

إعداد الطالب : علي طه محمد الكيلاني

إشراف الدكتور : بكر مصطفى بني ارشيد

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين و على آله وأصحابه الغر الميامين ، أما بعد :

فقد قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث وعلومه من جامعة آل البيت ، و موضوعها " واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية " . و تتألف هذه الرسالة من مقدمة وأربعة فصول بما فيها الفصل التمهيدي وخاتمة .

أما المقدمة فقد تناولت فيها مشكلة الدراسة ، و أهمية الموضوع ، و أهدافه ،و أسباب اختيار البحث ، و الجهود السابقة في الموضوع ، و منهجية العمل في الرسالة .

و أما الفصل التمهيدي ، فقدمت فيه تعريف لأهم المصطلحات ، مثل : الواقعية الدعوة ، الخطاب ، السنة .

وأما الفصل الأول فقد تناولت فيه موضوع الخطاب و واقعية الاختيار في ضوء الهدي النبوي ، و تحدثت فيه عن طرق اختيار الموضوع ومناسبته للزمان الذي يطرح فيه ، والإعداد والتهيئة العلمية للموضوع ،وواقعية الاختيار وصيغ الأداء في ضوء السنة النبوية ، وصيغة ما بال أقوام الواردة في الأحاديث و دلالتها على واقعية النبي ﷺ ؛ كما تناولت قضية الربط بين الزمان و المكان في الخطاب النبوي ، و أهمية تفعيل واقعية الخطاب النبوي مع حال حملة الخطاب في هذا العصر .

و أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه موضوع خطاب الناس على اختلاف فئاتهم في ضوء سنة و سيرة النبي ﷺ في دعوته ، و بينت فيه كيفية خطاب العالم و الجاهل والمتعنت و المرأة و الطفل ، من حيث الأسلوب ، و المنهجية التي كان يتبعها النبي ﷺ في خطاب مثل هؤلاء ؛ كما ربطت بين أسلوب النبي ﷺ في الخطاب و أسلوب الدعاة في هذا العصر .

و أما الفصل الثالث فقد بينت فيه طرق خطاب غير المسلمين ، من خلال عرض نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين ، و طرق مخاطبته لأهل الكتاب ، و رسائله إلى الملوك ، مع بيان اهتمام النبي ﷺ بالأولويات في الخطاب ، و إبراز وسطية الخطاب الدعوي من خلال أحاديث وردت في هذا الشأن ؛ كما ركزت على الإشارات العلمية في الحديث النبوي ، و خاصة عند خطاب غير المسلمين ، لإظهار مصداقية هذا الدين ، و أنه جاء بوحي إلهي ، و ليس من صنع أحد .

هذا ملخص لموضوعات الرسالة و أهم النقاط التي وردت فيها ، و قد أنهيت هذه الرسالة بخاتمة ، أودعت فيها ما توصلت إليه من نتائج .

فإن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان ، و إن أصبت فمن الله . سائلاً الله عز وجل ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [3] .

أما بعد : فإن من واجب العلماء ، و الباحثين ، و المتخصصين في علوم الشريعة أن يؤصلوا قواعد علمية رصينة ، ينطلق منها الدعاة في هذا الزمان ؛ ليخاطبوا الناس بطرق تتسق مع التقدم العلمي ، و بتقنيات توصل المعلومة بسلاسة و يسر ، دون تشدد، ولا تقعر ، و لا تنطع ؛ ليكون الخطاب واقعياً ، يراعي تفاوت الناس ، في عقولهم وثقافاتهم ، و قدراتهم الذهنية ، مستنيرين في ذلك كله بدلالات الهدي النبوي ،حيث خاطب النبي ﷺ العالم ، و الجاهل ، و المرأة ، و الطفل ،والمشرك،والكافر، فجاءت ثمار دعوته يانعة حيث دخل الناس في دين الله أفواجا . وقد جاء هذا الجهد ؛ لبيان ما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الدعوي في هذا الزمان ، من حيث الواقعية في الطرح ، و الأسلوب ، والوسائل ، كل ذلك في ضوء هدي النبي ﷺ في دعوته للناس ، فقد أرسله الله للعالمين رحمة ، و فرض عليه بيان ما أنزل إلينا ، فأوضح لنا كل الأمور المهمة ، و خصه بجوامع الكلم ، فربما جمع أشتات الحكم و العلوم في كلمة أو شطر كلمة [4] سائلاً الله أن يتقبل هذا العمل و أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

أما عن أهمية الموضوع و تقسيم الدراسة فهي كما يلي :

أهمية الموضوع :

---

(1) آل عمران : ١٠٢ .

(2) النساء : ١ .

(3) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

(٤) انظر غير مأمور كتاب جامع العلوم و الحكم ، ابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هجري ، ص ٤ .

إن حملة رسالة الإسلام و دعاته قديما و حديثا ، يخاطبون الناس بأساليب متباينة ، منها المصيب و منها عكس ذلك . وتكمن أهمية هذا البحث في بيان واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية ، من حيث الواقعية في أساليب الخطاب والواقعية في مراعاة الجمهور المخاطب ، و الواقعية في المادة المستخدمة في الخطاب مع تفعيل فلسفة الأولويات ، و مراعاة التدرج في الخطاب ، كل ذلك في ضوء الهدي النبوي الذي خاطب أمزجة مختلفة و عقول متفاوتة و أفكار متباينة بأنواع مختلفة من الخطاب تلاؤم واقع المخاطب ، و بيئته ، و قدراته ، مما كان لذلك أبلغ الأثر في وصول الخطاب الإسلامي إلى مشارق الأرض و مغاربها .

أهداف الموضوع :

١- أن نبرز واقعية الخطاب النبوي في دعوة الناس ، و تقويم سلوكياتهم .

٢- أن نبين واقعية الخطاب في دعوة الناس و إبراز تفاعل الداعية مع العصر ومعطياته في ضوء الهدي النبوي .

٣- أن نبين أهمية معرفة روح النص وأثر ذلك على المدعوين.

٤ - أن نؤكد صلاحية الخطاب النبوي لكل زمان و مكان .

إشكالية البحث في هذا الموضوع :

نعرض في هذا البحث واقعية الخطاب الدعوي في هذا العصر ، حيث نجد كثير من المعضلات في الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم من قبل كثير من الدعاة فكيف يمكن التخلص من هذه المشكلات ؟ وكيف يمكن استخدام الوسائل الحديثة ، من إعلام ، واتصال في إيصال المعلومات للمخاطبين و عدم الجنوح بهم إلي الخرافات ، و الأساطير والخيالات ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم ؟ كل ذلك في ضوء الهدي النبوي وواقعيته في الخطاب .

الدراسات السابقة : لم أجد شيئا كتب في هذا الموضوع في ضوء اطلاعي إلا كتاب (مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة) للدكتور فضل إلهي ، و من مباحث الكتاب :

المبحث الأول : مشروعية مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة إلي الله تعالى .

المبحث الثاني : عناية النبي صلى الله عليه و سلم بأحوال المخاطبين و الاهتمام بمراعاتها في الدعوة إلي الله تعالى .

المبحث الثالث : عناية سلف الأمة بمراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الرابع : قواعد مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة إلي الله تعالى .

و قد جاء هذا الكتاب مشتملا على نصوص القرآن و السنة و سير الصالحين ، و جعل ذلك تحت عناوين مختلفة ، و مطالب متنوعة ، و تكمن المشكلة في هذا الكتاب في عدم ربطه للنصوص التي

أوردها مع الخطاب الدعوي في هذا العصر . و قد جاء بحثي متخصصا في الهدي النبوي مع القيام بعملية ربط الخطاب الدعوي مع الهدي النبوي ، للوصول للنتائج المرجوة من الخطاب .

منهجية الرسالة :

١- المنهج الاستقرائي : من خلال جمع الأحاديث الواردة في موضوع واقعية الخطاب .

٢- المنهج التحليلي : دراسة أسانيد الأحاديث و الحكم عليها باستثناء الأحاديث الصحيحة .

٣- شرح الأحاديث و بيان غريبها وذلك من مصادرها الأصلية .

٤- التأكيد على استثمار الوسائل و الأدوات الحديثة المناسبة لإيصال المعلومات للمخاطبين .

خطة البحث :

تم تقسيم هذا البحث إلى : مقدمة ، و أربعة فصول ، و خاتمة تتضمن مجموعة من النتائج التي توصلت إليها في البحث ، على النحو التالي :

ل

تحليل بعض المصادر و المراجع

- **صحيح البخاري - الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري (٢٥٦ هجري / ٨٧٠ م) - .**

هو أول كتاب ألف في الحديث الصحيح المجرد ، رتبه البخاري على أبواب الفقه و جمع فيه (٧٥٦٣) حديثاً مع المكرر ، و بدون تكرير (٢٧٦١) حديثاً ، و هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم عند جمهور العلماء ، و اسمه " الجامع الصحيح " . و سمي بالجامع لأنه يجمع بين أحاديث الأحكام و العقائد و الأدب و الرقائق و التاريخ و السير و المناقب . قال النووي : اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان البخاري و مسلم ، و تلقتهما الأمة بالقبول ، و كتاب البخاري أصحها صحيحاً و أكثرها فوائد و معارف .

....

- **صحيح مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١ / ٨٧٥) . هو الكتاب الثاني من كتب السنة ، و أحد الصحيحين الذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، رتبه الإمام مسلم على أبواب الفقه ، و اختار أحاديثه من ثلاثمائة ألف حديث يحفظها تحوي الصحة في السند و المتن و بلغت أحاديثه (٤٠٠٠) من ثلاثمائة ألف حديث دون مكرر ، و بلغت بالمكرر (٧٢٧٥) حديثاً ، سماه " الجامع الصحيح " و رجحه بعض العلماء على صحيح البخاري ، بسبب حسن ترتيبه و تفضيله ، و أنه جمع طرق الحديث الواحد في موضع واحد يليق بموضعه ، و ذكر أسانيده المتعددة ، و ألفاظه المختلفة ، ليسهل الرجوع إليها واستنباط الأحكام منها ، و يقع في أربع مجلدات كبيرة ، و له أكثر من خمسة عشر شرحاً .**

....

- **سنن أبي داود – الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هجري)**

صنف كتابه السنن و انتقاه من (٥٠٠٠٠٠) حديث جمع فيها أحاديث الأحكام ، وجمعها بعناية كبيرة ، و لخص طريقته فيه بقوله : و ما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، و فيها ما لا يصح إسناده ، و ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح ، و بعضها أصح من بعض .

- **سنن الترمذي – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هجري) - .**

و هو أهم مصادر الحديث الحسن و يمتاز هذا الكتاب بكثرة فوائده العلمية و أصنافها ، و قد حوى جامع الترمذي الأحاديث الصحيحة و الحسنة و الضعيفة ، و كانت منه الفائدة في حكمه على كثير من الأحاديث و بيان عللها .

....

- سنن النسائي – الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، (ت ٣٠٣ هجري) - .

يقوم هذا الكتاب على طريقة دقيقة تجمع بين الفقه و فن الإسناد ، فقد رتب الأحاديث على الأبواب ، و وضع لها عناوين تبلغ أحياناً منزلة بعيدة من الدقة ، و جمع أسانيد الحديث الواحد في موطن واحد ، و بذلك سلك أغمض مسالك المحدثين و أجلها ، وهو أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً و رجلاً مجروحاً .

....

- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هجري) - .

و قد اعتبر هذا الكتاب رابع السنن ، و متمم الكتب الستة من المراجع الأصول ، و كان المتقدمون يعدون خمسة ليس فيها كتاب ابن ماجه ، ثم جعل بعضهم الموطأ سادسها ، و لما رأى الحفاظ كتابه مفيداً ، قوي النفع في الفقه و الرأي من كثرة زوائده أدرجوه في الفصول ، و جعلوه آخرها منزلة ، و ذلك لأنه تفرد بأحاديث و رجال لم تأتي في الكتب الأخرى .

....

- موطأ الأمام الفقيه مالك بن أنس (ت ١٧٩ هجري) .

و ضع فيه الحديث الصحيح ، بل أدخل فيه المدلس و المنقطع و البلاغات أيضاً ، أي التي يقول فيها : بلغني عن رسول الله ﷺ ، كذا و كذا ، لكنه قد تبين اتصالها ، فقد وصلها ابن عبد البر على الأحاديث المرفوعة و الموقوفة و المقطوعة في كتابه التمهيد .

....

- مسند أحمد – احمد بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هجري) - .

وضع الإمام أحمد كتاباً ليكون مرجعاً للمسلمين و إماماً ، و جعله مرتباً على أسماء الصحابة الذين يروون الأحاديث كما هي طريقة المسانيد ، فجاء كتاباً حافلاً كبير الحجم ، فيه الصحيح و الحسن و الضعيف ، و منها أحاديث يسيرة شديدة الضعف ، حتى حكم المحدثين على بعضها بالوضع . لكن الحافظ ابن حجر ألف كتاباً سماه " القول المسدد في الذب عن المسند " حقق فيه نفي الوضع عن أحاديث المسند ، وظهر من بحثه أن غالبها جياد .

....

ن

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري – الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هجري) - .**

و مقدمة الفتح سميت ب " هدي الساري " و قد خصصها في مجلد واحد ، يسوق الباب و حديثه الصحيح ، و في ذلك الحديث من الفوائد المتنية و الإسنادية من تتمات و زيادات و كشف غامض و تصريح مدلس بسماع ، و متابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك ، منتزعاً كل ذلك من أمهات المسانيد و الجوامع و المستخرجات و الأجزاء والفوائد بشرط الصحة أو الحسن فيما يورد من ذلك ، و يصل ما انقطع من معلقاته وموقوفاته ، و يضبط ما أشكل من جميع ما تقدم من أسماء و أوصاف مع بيان المعاني اللغوية ، و التنبيه على النكت البيانية ، و نحو ذلك .

....

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هجري) - .**

و قد شرح فيه صحيح الإمام مسلم ، و يقع الكتاب في (٩) مجلدات ، و يشتمل كل مجلد منها على جزأين ، و هو شرح كما وصفه الأمام النووي متوسط بين المختصرات و المبسوطات ، ذكر فيه جملاً من علومه الزاهرات من أحكام الأصول و الفروع و الأدب و الإشارات و الزهديات ، و بين نفائس من أصول قواعد الشرعيات ، و أوضح معاني الألفاظ اللغوية و أسماء الرجال و ضبط المشكلات وبين أسماء الكنى ، و أسماء الآباء و الأبناء و المبهمات .

....

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال – أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي (ت ٧٤٢ هجري) - .**

و قد قام الحافظ المزي بتهذيب و إكمال و تحرير كتاب الحافظ عبد الغني " الكمال في أسماء الرجال " الذي جمع فيه تراجم رجال الكتب الستة بالتفصيل ، و ذكر أقوال العلماء في توثيقهم ، أو تضعيفهم ، غير أنه أطال فيه ، فرأى المزي أن يقوم باختصار كتابه هذا ، و قد أجاد فيه و أحسن ، و إن من أجل الفوائد في هذا الكتاب : ذكره لشيوخ و تلاميذ كل رجل من الرجال المترجمين ما أمكن ذكره .

....

- **تهذيب التهذيب – الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هجري) - .**

و يشتمل هذا الكتاب على اختصار تهذيب الكمال للمزي ، مع زيادات كثيرة تقرب ثلث حجم الملخص ، و هو من كتب الجرح و التعديل التي قومها الحافظ ابن حجر بنفسه ، و حذف ابن حجر الأحاديث التي خرجها المزي من مروياته العالية من الموافقات و الإبدال ، و اقتصر على

س

الأشهر و الأحفظ و المعروف من شيوخ الرجل المترجم له في كتابه ، مع أشهر الأقوال في وفاته .

....

- **تقريب التهذيب – الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هجري) - .**

و هو كتاب مختصر جداً ، اختصر فيه ابن حجر كتابه " تهذيب التهذيب " في نحو سدس حجمه ، و قد ذكر فيه اسم الرجل المترجم له و اسم أبيه و جده ، و منتهى أشهر نسبته و نسبه ، و كنيته ، و لقبه مع ضبط ما يشكل من ذلك بحروف ، ثم صفته التي يختص بها من جرح أو تعديل ، و ذلك بأن يحكم على كل شخص بأصح ما قيل فيه ، و أعدل ما وصف به بألخص عبارة ، ثم التعريف بعصر كل راوٍ منهم .

....

- **الجامع لأحكام القرآن – للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٧٦١ هجري) - .**

هذا الكتاب تفسير جامع لآيات الأحكام و لغيرها من الآيات القرآنية في القرآن الكريم ، من أجمع ما صنف في الفن ، و حدد القرطبي منهجه بأن يبين أسباب النزول و يذكر القراءات و اللغات و وجوه الإعراب ، و تخريج الأحاديث و بيان غريب الألفاظ و تحديد أقوال الفقهاء و جمع أقوال السلف ، و من تبعهم من الخلف ، ثم أكثر من الاستشهاد بأشعار العرب و نقل عمن تقدمه في التفسير ، مع تعقيبه على ما ينقل عنه ، مثل ابن جرير الطبري ، و ابن عطية ، و ابن العربي ، و إلكيا الهراسي ، و أبي بكر الجصاص ، و أضرب القرطبي عن كثير من قصص المفسرين ، و أخبار المؤرخين و الإسرائيليات ، و ذكر جانباً منها أحياناً ، كما رد على الفلاسفة و المعتزلة و غلاة الصوفية و بقية الفرق .

....

- **مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين – الدكتور فضل إلهي .**

صدر هذا الكتاب عن مؤسسة الجريسي ١٩٩٨ م .

تناول فيه المؤلف أسلوب النبي ﷺ في خطاب فئات مختلفة من الناس ، كما بين نماذج من سير الصحابة الصالحين في كيفية دعوة الناس و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

الفصل التمهيدي: و يتضمن مبحثين

المبحث الأول : بيان معنى الواقعية و الخطاب ، و يتضمن مطلبين :

المطلب الأول : الواقعية لغة و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : الخطاب لغة و اصطلاحاً .

المبحث الثاني : تعريف الدعوة و السنة النبوية ، و يتضمن مطلبين :

المطلب الأول : معنى الدعوة لغة و اصطلاحاً .

المطلب الثاني : معنى السنة لغة و اصطلاحاً .

المبحث الأول

بيان معنى الواقعية و الخطاب

المطلب الأول : الواقعية لغة و اصطلاحا

تعتبر الواقعية من المفردات الحديثة ، و لتجلية معناها بشكل دقيق ، لا بد أن نتناولها من جوانب متعددة ، لغوياً ، و اصطلاحياً ، و فلسفياً .

الواقعية لغة : « كلمة الواقعية مشتقة من وقع يقع ، بفتحهما ، وقوعاً : سقط ، و وقع القول عليهم : وجب ، و الوقوع ثبوت الشيء و سقوطه . يقال : وقع الطائر وقوعا ، و وقع الحديد: صوته . و الحافر الوقعُ : الشديد الأثر ، و التوقيع أثر الدَّبر بظهر البعير ، و أثر الكتابة في الكتاب » ([١]) .

الواقعية اصطلاحاً و فلسفياً : » الواقعية مصطلح فلسفي مترجم عن مصطلح (Realism) بالإنجليزية » ([٢]) . و تعني الواقعية . « و يطلق الواقع على العموم ، على الحاصل ، و الواقعة : ما حدث و وجد بالفعل ، و هي مرادفة الحادث » ([٣]) .

و من تعريفاتها : « صفة الواقعي : تقول : واقعية التفكير أي مطابقته للواقع . و الواقعية تطلق على المذهب الفلسفي الذي يقوم على نظرية تحقق المثال ، أي تعده شيئاً ، أو تقدم الواقع على المثال » ([٤]) . « و الواقعية عند الرياضيين : هي القول بأن العالم لا يبدع الصور و الحقائق الرياضية بل يكتشفها اكتشافاً » ([٥]). و الواقعية أيضاً : مذهب فكري مادي ملحد ، يقتصر في تصويره الحياة و التعبير عنها على عالم المادة ، و يرفض عالم الغيب و الإيمان بالله .([٦])

من خلال ما تقدم ذكره من معاني الواقعية ، لغة و اصطلاحاً و فلسفة ؛ فإننا نستطيع الـ قول بأن معنى الواقعية مشترك في دلالته ، لغوياً و اصطلاحياً و فلسفيا ، فهو يدل على وقوع الشيء ، و وجوده بالفعل ، و ثبوته في عالم الأعيان ، و هذا يقود إلى صياغة معنى

([١]) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص ١٢٦ .

([٢]) د. راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة ، دار الفرقان ، ٢٠٠٤ م ، ص ٨١ .

([٣]) المرجع السابق ، ص ٨١ .

([٤]) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

([٥]) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

([٦]) انظر غير مأمور الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، إشراف د. مانع الجهني ، ج٢ ، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط٣ ، ١٤١٨ هجري ، ص ٨٨٤ .

الواقعية على النحو التالي : ثبوت الشيء فعلاً ، و وجوده حقيقة ، و تأثيره في الأعيان بحيث نلمسه على أرض الواقع ، و ليس في عالم الخيال .

و يؤكد هذا المعنى ما جاء في آيات القرآن العظيم ، من معنى الواقع ، مثلما ورد في قوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (١) ، و قد جاء في معنى هذه الآية « والمراد بالدين هنا الجزاء ، أي وإن الجزاء يوم القيامة لواقع لا محالة كما قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ (٢) أي جزاءهم بالعدل والإنصاف، وكقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (٣) » (٤) . و جاء في كتاب الجامع لأحكام القرآن : « ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ يعني الجزاء نازل بكم » (٥) . و من معاني هذه الآية الكريمة أيضاً « الثواب و العقاب كائن لا محالة » (٦) .

<u>المطلب الثاني : الخطاب لغة و اصطلاحاً :</u>

الخطاب لغة : « الخطب سبب الأمر ، تقول ما خطبك . قال الأزهري : أي ما أمرك ، و تقول هذا خطب جليل و خطب يسير وجمعه خطوب ، انتهى كلام الأزهري . وخاطبه بالكلام ، و مخاطبة و خطابا ، و خطب على المنبر خطبة بضم الخاء و خطابة » .(٧)

و جاء في كتاب " مفردات ألفاظ القرآن " : « الخطب و المخاطبة و التخاطب : المراجعة في الكلام ، و الخطب : الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب ، قال تعالى :﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ (٨) ، و فصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب » (٩) . « و الخطاب لغة على وزن فعال من خاطب ، و مصدره خطاب ، و مخاطبة على وزن مفاعلة . الخطاب : رسالة ذات هدف و دلالة و هو كلام ، منطوقا أو مكتوبا ، يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب » .(١٠)

---

(١) {الذاريات : ٦ } .
(٢) { النور : ٢٥ } .
(٣) { النجم : ٤٠ ، ٤١ } .
(٤) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج ٧ ، دار الكتب العلمية ، ص ١٩٠ .
(٥) عبد الله بن محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٩ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ، تحقيق مصطفى البدري ، ص ٢١ .
(٦) د. محمد الأشقر ، زبدة التفسير ، دار النفائس ، ط ٢ ، ص ٥٢٠ .
(٧) محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، مادة الخطب ، مكتبة لبنان ، ناشرون ،بيروت،طبعة جديدة ،١٤١٥ هجري ، ١٩٩٥ م ، ص ١٨٠ .
(٨) { طه : ٩٥ } .
(٩) الراغب الأصفهاني – تحقيق صفوان عدنان داوودي ، مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢٨٦ .
(١٠) أ.د. سعيد اسماعيل علي ، سلسلة كتاب الأمة ، الخطاب التربوي الإسلامي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بدولة قطر ، ط١ ، ص ٢٥ .

الخطاب اصطلاحاً : « يستخدم الخطاب اصطلاحاً بمعان شتى ، تختلف تبعا لطبيعة الموضوع الذي ينصبّ عليه الخطاب ، و تبعا للأغراض التي يتوخى تحقيقها منه ، ففي التشريع و القضاء تعني بلاغة الخطاب أن يؤسس على البرهان الاستدلالي على النحو الذي يحدده المنطق و فلسفة التشريع ، و الأيدلوجية المتبناة في صياغة التشريعات ، و في أحكام القضاء . و معنى هذا أن الخطاب يتجاوز الشكلية اللغوية ، و يمتد إلى وسائل الإقناع و نوعية البرهان ، و أدوات الأسلوب البياني . و ليس بالضرورة أن يكون الخطاب الإسلامي هو نصوص الوحي من الكتاب و السنة ، و إنما هو خطاب الإسلاميين ، في ضوء الثوابت في التعبير عن الرسالة التي يوجهونها إلى الآخرين ، في شأن من الشؤون ، أو مجموعة من القضايا العامة ، في زمن معين . و هو خطاب للجميع يأخذ بعين الاعتبار كل فئات المجتمع و اهتماماته ، فيخاطب كل فئة بما يمكنها من فهم الخطاب و الاستفادة منه .

و الخطاب الإسلامي: هو الذي يقدمه العلماء و المفكرون في كل زمان و مكان ، و في كل مرحلة ، وفقا لتلك المرحلة و ظروفها ، و هذا الخطاب الإسلامي الصحيح هو خطاب معاصر دائماً ، من زمن الرسول ﷺ حتى زماننا هذا ، فالمعاصرة يجب أن ترتبط بالسلامة و الدقة .

و تنبثق أهمية الخطاب الإسلامي في أي عصر من المكانة العالمية للرسالة الإسلامية ، لأنها ليست مقصورة على العرب . و المقصود بهذا مصطلح الخطاب نفسه ، ذلك أن استقرار تطورنا الحضاري في القرنين الماضيين يدل على أن الكلمة لم تستخدم لكن مضمونها كان مستخدماً ، و هو ما نراه في دعوات العديد من المجددين الإسلاميين : منذ أن بدأ الشيخ حسن العطار ، شيخ الجامع الأزهر ، في فترة من فترات القرن التاسع عشر ينادي بأن طريقة حياتنا لا بد أن تتغير ، و دعوة الشوكاني إلى نبذ التقليد ، و دعوة جمال الدين الأفغاني إلى تحديث الدولة العثمانية ، و غيرهم من الدعاة ».[١]

و قد حرصت على نقل ما تقدم ذكره بإسهاب ، لأنه يتضمن العديد من النقاط المتعلقة بمصطلح الخطاب و تطوره ، و المعاني التي يشير إليها ، بحسب سياق الموجود فيه لفظ الخطاب ، فالخطاب لفظ عام و شامل ، كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ [٢] : « بيان الكلام » [٣] .

---

[١] المصدر السابق ص ٢٦ – ٢٧ – ٣٢ .
[٢] { ص : ٢٠ } .
[٣] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مجلد ٨ ، ج ١٥ ، ص ١٠٧ .

فقول ابن عباس : بيان الكلام ، يدل على عمومية و شمول لفظ الخطاب ، فإذا قلنا الخطاب الإسلامي ، فإننا ننزل لفظ الخطاب على معنى الإسلام ، و إذا قلنا الخطاب الدعوي فإننا ننزل لفظ الخطاب على معنى الدعوة ، و هكذا .

المبحث الثاني
تعريف الدعوة و السنة النبوية

المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة و اصطلاحا :

الدعوة لغة : « دعاه : ساقه . و النبي : داعي الله ، و يطلق على المؤذن ، و داعية اللبن بقيته تدعو سائره في الضرع ،والداعية صريخ الخيل في الحروب ، ودعاه صاح به ، و الدّعيّ من تبنيته ، و دعوته إذا سألته، وإذا استغثته ، قال تعالى:﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾[1] أي سله ، و الدعاء إلى الشيء الحث على قصده ، و في الحرب الإعتزاء ، و تداعى له سائر الجسد ، أي : استجاب له كأنه يدعو بعضه بعضا .[2]

الدعوة اصطلاحا : جاء في كتاب قدر الدعوة : « الدين هو الخير المطلق ، و الدعوة هي إنشاء واقع الدين . و العلاقة بين الدعوة و واقع الدين هي علاقة السبب بالنتيجة» [3] . و من تعريفات الدعوة الجامعة : « الدعوة إلى الله هي : الدعوة إلى الإيمان به ، و بما جاء به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ،وطاعتهم فيما أمروا ، و ذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، و صوم رمضان ، و حج البيت ، و الدعوة إلى الإيمان بالله و ملائكته ، و كتبه ، و رسله ، و البعث بعد الموت ، و الإيمان بالقدر خيره و شره ، و الدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه » [4] .

إذن الدعوة و على ضوء التعريفات اللغوية ، و الاصطلاحية السابقة ، « تتضمن حث الناس على كل أنواع الخير الذي جاءت به الرسل ، و هو يشمل العبادة بمعناها المطلق ، لأن العبادة كما عرفها ابن تيمية : اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الباطنة و الظاهرة » [5] .

---

[1] { البقرة : ٦٨ } .
[2] الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ، ج٤ ، ص ٣٥٩ ، الرازي ،مختار الصحاح ،ص ٢٠٥ – ٢٠٦ ، الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ص ، د.محمد بن عبد الله العيدي ، فقه الدعوة في صحيح البخاري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ص ٧٣ .
[3] رفاعي سرور ، قدر الدعوة ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١٨٤ .
[4] د. محمد بن عبد الله العيدي ، ص ٧٤ .
[5] تقي الدين ابن تيمية ، العبودية ، ص ٤ .

المطلب الثاني : تعريف السنة لغة و اصطلاحاً

السنة لغة : « السيرة ، و الطبيعة ، و حكم الله و أمره و نهيه . و سَنن الطريق : نهجه و جهته . و جاءت الريح سناسن : على طريقة واحدة . و السنن الطريقة ، يقال : استقام فلان على سَنن واحد » (١) .

و جاء في كتاب مفردات ألفاظ القرآن : « و سنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها ، و سنة الله تعالى : قد تقال لطريق حكمته ، و طريق طاعته ، نحو : ﴿ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا ﴾ (٢) ، فيه أن فروع الشرائع – و أن اختلفت صورها – فالغرض المقصود منها لا يختلف و لا يتبدل ، و هو تطهير النفس ، و ترشيحا للوصول إلى ثواب الله تعالى و جواره » (٣) .

السنة اصطلاحاً :« إذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ و نهى عنه ، و ندب إليه قولا أو فعلاً ، مما لم ينطق به الكتاب العزيز . و لهذا يقال في أدلة الشرع : الكتاب و السنة ، أي القرآن و الحديث » (٤) .

ونقل جلال الدين السيوطي في " كتاب تدريب الراوي " عن ابن الأكفاني في كتابه "إرشاد القاصد" ، ما نصه :«علم الحديث الخاص بالرواية:علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ و أفعاله ، و روايتها ، و ضبطها ، و تحرير ألفاظها » (٥) .

و أما السنة في اصطلاح المحدثين : « هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ ، من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خُلقية ، أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة ، كتحنثه في غار حراء أم بعدها . و السنة بهذا المعنى مرادفة للحديث » (٦) .

و جاءت تعريفات أخرى للسنة ، منها ما هو خاص بالفقهاء حيث عرفوها بأنها : « كل ما يثبت عن النبي ﷺ و لم يكن من باب الفرض و لا الواجب . و في اصطلاح علماء أصول الفقه : كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم ، من قول أو فعل أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي » (٧) .

---

(١) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ج٤ ، ص ٢٣١ ، الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣١٧ .
(٢) { الفتح : ٢٣ } .
(٣) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٢٩ .
(٤) ابن الأثير ، غريب الحديث ، المكتبة العلمية ، ط ١ ، ص ٤٤٤ .
(٥) جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، مكتبة الرياض الحديثة ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ص ٤٠ .
(٦) د.محمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث علومه و مصطلحه ، دار الفكر ، ط ٤ ، ١٩٨١ ، ص ١٨ – ١٩ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٩ .

في ضوء ما تقدم بيانه من تعريفات للواقعية ، و الخطاب ، و الدعوة ، و السنة ، فإننا نستطيع القول بأن واقعية الخطاب الدعوي في ضوء السنة النبوية هي : حسن توجيه الخطاب و استخدام الوسائل و الطرق المناسبة لإيصال رسالة ذات معنى هادف ، وفقاً لواقع الأفراد و المجتمع من حيث القدرات العقلية ، و الزمان المناسب ، و المكان المناسب ، و توظيف الثقافة المعاصرة ، و الحقائق العلمية لإيصال المعلومة ، إيصالاً سليماً ، يؤتي أكله ، تقبلاً ، و فهماً ، و تطبيقاً .

الفصل الأول

موضوع الخطاب و واقعية الإختيار

المبحث الأول : موضوع الخطاب .

المبحث الثاني : واقعية الإختيار و صيغ الأداء في ضوء السنة النبوية .

المبحث الأول
موضوع الخطاب

المطلب الأول : الطرق السليمة لاختيار الموضوع :

لا شك أن طرق اختيار الموضوع لها دور كبير في نجاح الفكرة المراد طرحها ؛ ولهذا نجد أن النبي ﷺ كان يعد لكل مقام مقال ، فيجب على الداعية أن يتتبع الهدي النبوي ليحسن اختيار الموضوعات ، و لعلنا نصل إلى شيء من غايتنا في هذا المطلب .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحهما بسندهما ([١]) ([٢]) ، و اللفظ لمسلم ، عن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبا ، و أرق أفئدة ، الفقه يمانٍ ، و الحكمة يمانية.

التخريج : و أخرجه أحمد ([٣]) .

دلالة الحديث :

يدل هذا الحديث دلالة واضحة على طريقة نبوية فريدة في اختيار الموضوع، إذ نلاحظ أن النبي ﷺ أخذ الاجواء المحيطة بالموضوع بعين الإعتبار من حيث:المكان الذي جاء منه المخاطبين ، الظروف التي تربو فيها ، الخصائص النفسية الموجودة عندهم ، مثل ضعف قلوبهم و رقة أفئدتهم ، يقول النووي : « و أما وصفها باللين و الرقة و الضعف ، فمعناه أنها ذات خشية و استكانة ، سريعة الاستجابة و التأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الغلظة و الشدة و القسوة التي وصفت بها قلوب الآخرين » ([٤]).

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين و أهل اليمن ، رقم ٤٣٨٤، ج٦ ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، طبعة جديدة ، رقمها محمد فؤاد عبد الباقي ، ص ٤٩٩٥.

([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان و رجحان أهل اليمن فيه ، رقم ١٨٠،ج٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هجري ، تحقيق عرفان حسونة ، ص ١١٠ .

([٣]) أحمد ، المسند ، رقم ١٠٩٢٤ ، ج٩ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٦ هجري ، ص ٦٢٥ .

([٤]) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ١١٢ .

إذن هذه الخصائص النفسية ، رقةً و تأثراً و خشية و استكانة ، جعلت النبي ﷺ يستخدم طريقة معينة في اختيار موضوع الخطاب ، تركز على ما يتصف به المخاطبين من صفات و تستثير كوامن الإيمان فيهم بناء على هذه الصفات .

فمثلا في عصرنا الحاضر لو أردنا خطاب أهل بلد معين ؛ فلا بد من التركيز على تنمية الصفات الموجودة عندهم إن كانت هذه الصفات حميدة ، أو النظر إلى جوانب النقص عندهم لمحاولة تكميلها ، و هذه الأمور تعد من أسس نجاح موضوع الخطاب .

و بالمثال يتضح المقال : جاء في كتاب " منهجنا التربوي " : « السويد هذا البلد الذي نعاصره زمنا ، نشر عنه - رئيس تحرير مجلة روز اليوسف – تحقيقا صحفيا منذ سنوات تحت عنوان :" أهل الجنة ليسوا سعداء "و يعني سكان السويد المترعون بالغنى الاقتصادي ، فالدولة تضمن لكل مواطن سويدي : معاشا ، و إعانة مرض ، و معاش عدم صلاحية ، و إعانة غلاء معيشة ، و إعانة للسكن ، و للعمى تصرف نقدا ، و العلاج مجاني ، كما تدفع إعانة أمومة لكل النساء ، تشمل هذه الإعانة مصاريف الولادة ، والرعاية الطبية ، وإعانة إضافية لكل مولود ، إضافة إلى المساعدات للطفولة حتى سن السادسة عشرة ، ناهيك عن التعليم المجاني في جميع مراحله ، مع تقديم إعانات ملابس ،وقروض دراسية ، كما تقدم الدولة قروضا لتأثيث منازل العرسان .

و خلاصة المقال : أن ثلث الضرائب التي يدفعها الشعب السويدي تنفقها الدولة في التأمينات الاجتماعية ، و تدفع الدولة ٨٠ % منها في مساعدات نقدية ، إن أضخم ميزانية هي ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية ، ومع هذه الضمانات التي لم تدع ثغرة إلا سدتها ، فقد ذكر الصحفي أن الناس يعيشون حياة مضطربة كلها ضيق ، و سخط ، و بؤس ، و نتيجة هذا تتجه الأعداد الساحقة إلى الانتحار تخلصا مما يعانون من عذاب نفسي أليم . وانتهى كاتب التحقيق إلى أن السر وراء هذا الشقاء يرجع إلى أمر واحد هو فقدان الإيمان » (١) .

إن الطريقة السليمة في اختيار موضوع خطاب أمثال هؤلاء الناس ، تتمثل في معالجة جانب النقص عندهم و هو فقدان الإيمان ؛ فيلجأ الداعية إلى ترقية الجانب الوجداني الشعوري عندهم ، ببيان أهمية الإيمان بالله و أثره في تحقيق السعادة لديهم ؛ و لذلك لا بد أن يحشد النصوص التي ترغب في الإيمان و تبين عظم الآثار المترتبة عليه ، و أما

---

(١) عبد الحافظ الكبيسي ، منهجنا التربوي درلسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية ، مطبعة الحوادث ، ط ١ ، ١٤٠٧ هجري ، ١٩٨٧م ، ص ٣٠ .

في حال خطاب أهل الغفلة فلا بد من تذكيرهم بالآيات و الأحاديث التي ترقق القلوب و تزيل القسوة .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (١) عن ابن عباس - ﷺ - قال : خرج علينا النبي ﷺ يوما فقال : عرضت علي الأمم ، فجعل يمر النبي معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، و النبي معه الرهط ، و النبي ليس معه أحد ، و رأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل لي : أنظر هكذا و هكذا ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، فتفرق الناس فلم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي ﷺ ، فقالوا:أما نحن فولدنا في الشرك ،ولكنا آمنا بالله و رسوله ، و لكن هؤلاء هم أبناؤنا ، فبلغ النبي ﷺ ، فقال : هم الذين لا يتطيرون ، و لا يسترقون ، و لا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن ، فقال :أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال آخر : أمنهم أنا ؟ فقال : سبقك بها عكاشة .

التخريج : و أخرجه مسلم (٢) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث طريقة جديدة من طرق النبي ﷺ في اختيار الموضوعات ، تقوم على توضيح أمر مبهم ، كما في قول راوي الحديث : " و لم يبين لهم " ، و قام النبي ﷺ ببيان ما كان غامضا ، و وضح الأصناف التي تدخل الجنة بغير حساب ، فعند قيام الداعية باختيار الموضوع ، يلجأ إلى هذا الأسلوب النبوي في توضيح المبهمات ؛ فيختار أمر مطروح على الساحة فيه جانب خفي ، أو فهم بطريقة غير صحيحة ، فيقوم بتوضيح الخفي و إزالة الإشكال بدل أن يكرر نفس الموضوع ، و في هذا الأسلوب دفع للملل و إزالة للرتابة،و تكامل للجهود ، فمن المواضيع التي تتكرر باستمرار موضوع التقوى ؛ فنجد نفس الأفكار و نفس الطروحات ، و لو أخذنا طريقة النبي ﷺ السابقة و أسلوبه

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الطب ، باب من لم يرق ، رقم ٥٧٥٢ ، ج١١ ، ص ٦٩٢٤ .
(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و لا عذاب ، رقم ٥١٩ ، ج٢ ، ص ٣٥٣ .

الممتع ، لكان علينا أن نبين مفهوم التقوى بطريقة إبداعية تجمع بين روح الهدي النبوي ، و حال المخاطبين في هذا الزمان ، فنوضح التقوى من خلال ضرب الأمثلة من واقعنا المعاصر ، فنقول مثلا : إذا استخدمت الإنترنت في ما يخدم عقلك و دينك و أمتك ، فقد اتقيت الله ، و جعلت بينك و بين عذابه وقاية ، فبهذا المثال نوضح أمرا خفي على كثير من الناس في فهمهم للتقوى ، إذ يعتقد الكثير منهم أن التقي هو الذي يحافظ على الصلاة و الصيام و أركان الإسلام فحسب ، و يعزب عنه المفهوم الشمولي للتقوى ، و أنه يعم كل جزئيات حياة الإنسان .

إن على الداعية أن يحرك عقله في توضيح المبهمات ؛ فالإسلام يحذر من إلغاء العقل و اللجوء إلى الترديد دون وعي أو تبصر ، يقول الأستاذ معروف زريق : « و لهذا بدأ الإسلام بالتحذير الشامل من إلغاء العقل خنوعا لمن يسخره باسم الدين ، في غير ما يرضي الله فأسقط الكهانة و أبطل سلطان رجال الدين ، و نفى عنهم القدرة على التحليل و الإدانة والغفران ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلهاً وَاحِداً لا إِلهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) » (٢) .

<u>الحديث الثالث</u> :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٣) عن عمر بن الخطاب - ﷺ- قال : قدم على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي ، قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي ، أخذته فألصقته ببطنها ، و أرضعته ، فقال لنا النبي ﷺ : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، و هي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : الله أرحم بعباده من هذه بولدها

<u>التخريج</u> : و أخرجه مسلم (٤) .

<u>دلالة الحديث</u> :

---

(١) { التوبة: ٣١ } .
(٢) معروف زريق ، علم النفس الإسلامي ، دار المعرفة ، ط ١ ، ص ٩ .
(٣) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته ، رقم ٥٩٩٩ ، ج١٢ ، ص٧١٩٢.
(٤) مسلم : الصحيح مع النووي، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله و أنها سبقت غضبه، رقم ٦٩١٢ ، ج٩ ، ص ٢١ .

تعتبر هذه الواقعة تجسيدا عمليا لصفة الرحمة التي أنزلها الله على عباده يتراحمون بها فيما بينهم ، و قد استثمر النبي ﷺ هذا الواقع العملي لبيان و إيصال الفكرة المتمثلة في سعة رحمة الله ، و هكذا يجب على الداعية أن يكون فطنا ذكيا في استثمار الواقع كطريقة لاختيار الموضوع المناسب ، فإذا كان عند مريض استغل الرقة التي تكون عند المريض فيذكره برحمة الله ، و وجوب اللجوء إليه ؛ لأنه هو الذي يكشف الضر كما قال الله سبحانه:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (١) .

و إذا كان الداعية في جمع يغلب عليهم الاعتقاد بالحقائق العلمية ، يقوم بربطهم بالقرآن و ما فيه من إشارات علمية ، و هذا يستدعي من الداعية ثقافة موسوعية ، فالداعية المثقف المطلع الذي يعيش واقعة سبب رئيس من أسباب قبول الناس للإسلام ، يقول الدكتور عائض القرني : « فمن مواصفات الداعية أن يعيش واقع الناس ، و يقرأ حياتهم ، و يتعرف على أخبارهم ، قال سبحانه و تعالى لرسوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) ، و من حكمة الله سبحانه أن أحيا رسوله ﷺ أربعين سنة في مكة ، عاش في شعاب مكة و في أودية مكة ، عرف مساربها و مداخلها ، عرف الأطروحات التي وقعت في مكة ، و عرف بيوت أهل مكة ، و اعترض الكفار و قالوا : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴾ (٣) ، فالله سبحانه و تعالى ذكر أنه لا بد أن يكون بشرا يعيش آمال الناس و همومهم و مشكلاتهم ، و يعرف احتياجاتهم ، فحق على الداعية أن يقرأ واقعة و يستفيد من مجتمعه ، و أن يعرف ماذا يدور في البلد ؟ وماذا يقال ؟ و ما هي القضايا المطروحة ؟» (٤) .

الحديث الرابع :

---

(١) { الأنبياء : ٨٣ } .
(٢) { الأنعام : ٥٥ } .
(٣) { الأنعام : ٨ } .
(٤) د. عائض القرني ، و لكن كونوا ربانيين ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ص ٥٦ .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن البراء - ﷺ- قال : أهديت للنبي ﷺ حلت حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ، و يعجبون من لينها ، فقال : أتعجبون من لين هذه ؛ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين .

<u>التخريج</u> : وأخرجه مسلم ([٢]) ، و الترمذي ([٣]) .

<u>دلالة الحديث</u> :

في هذا الحديث يستخدم النبي ﷺ الطريقة الحسية في اختيار الموضوع ، من خلال وجود شيء محسوس و هو حلة الحرير ؛ فيبين النبي ﷺ لأصحابه فضل أهل الجنة ، و ما أعد الله لعباده الصالحين فيها ، بضرب مثال حسي ، و تعتبر هذه الطريقة في اختيار الموضوع من الطرق المؤثرة في نفس المتلقي ؛ لأنه يعاين ببصره و حواسه فيكون ذلك أوقع في النفس و أشد أثرا ، إذا لا بد للداعية أو الخطيب أو الواعظ من التنويع في طرق اختيار الموضوع على النحو الذي سلكه النبي ﷺ ، فإذا أردنا أن نبين لإنسان عظم خلق الله و إبداعه في الكون ، نستخدم مثالا حسيا يبين هذه العظمة ، يقول رفاعي سرور : « فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد ، فيه جميع عباده ، فالسماء سقفه ، و الأرض بساطه ، و النجوم زينته ، و الشمس سراجه ، و فيه مصالح سكانه ، فالليل سكنهم ، و النهار معاشهم ، و المطر سقياهم ، و النبات غذاؤهم و دواؤهم و فاكهتهم ، و الحيوان خدمهم ، و منه قوتهم و لباسهم ، و الجواهر كنوزهم و ذخائرهم ، كل شيء منها لما يصلح له.وذلك أدل دليل على وحدانيته» ([٤]) .

في هذا النص استخدم الكاتب البيت الذي نسكنه و هو مثال محسوس للدلالة على قدرة الله الذي صنع العالم ، فنثبت للسامع من خلال ذلك وجود الله و وحدانيته و عظمته ، و على هذا النحو يجب أن يسير الداعية في دعوته للناس .

في نهاية هذا المطلب نستطيع أن نلخص الطرق السليمة لاختيار الموضوع في الجدول التالي :

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ ، رقم ٣٨٠٢ ،ج٨،ص ٤٣٨١ .

([٢]) مسلم : الصحيح مع النووي، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن معاذ ، رقم ٦٢٩٨، ج٨،ص٨٨ .

([٣]) الترمذي ، السنن ، باب مناقب سعد ، رقم ٣٨٤٧ ، ج٦ ، دار الجيل بيروت ، دار الغرب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ م، ص ١٦٠ .

([٤]) رفاعي سرور ، قدر الدعوة ، ص٥٨ .

الطرق السليمة لاختيار الموضوع من حيث :		
واقع المخاطبين : مراعاة	**قدرة الداعية**	**الموضوع**
خصائصهم النفسية	**الإلمام بالواقع**	**الفكرة المراد إيصالها**
قدراتهم الذهنية	**القدرة على استثمار العوامل المحيطة**	**حيثياته الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية**
عوامل تربيتهم	**الثقافة الموسوعية**	**ربطه بالواقع**

المطلب الثاني : الموضوع المناسب للزمان المناسب :

إن من أسس و مقومات نجاح أي موضوع مناسبته للوقت الذي يطرح فيه ، و قد كان هذا هو نهج القرآن من ابتداء نزوله ، حيث كانت الآيات التي نزلت في مكة ، في مجملها ترسخ العقائد و الأخلاق ، و تزيل رواسب الجاهلية ، بينما كانت الآيات التي نزلت في المدينة ، تحمل في مجملها تكاليف بالعبادات ، و هذا الأسلوب فيه حكمة ظاهرة تؤكد على وجوب الطرح المتوافق مع حال المدعوين و زمانهم ، و كذلك كان نهج النبي ﷺ متوافقاً مع النهج القرآني،وفي هذا المطلب محاولة لاستعراض بعض الأحاديث التي تتفق مع ما سبق.

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (١) (٢) ، و اللفظ لمسلم ، عن أبي مسعود الأنصاري عن ابن شهاب ، أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً ، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره ، أن المغيرة بن شعبة ، أخر الصلاة يوماً و هو

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، رقم ٣٢٢١ ، ج ٧ ، ص ٣٨١٨ .
(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب أوقات الصلوات الخمس ، رقم ١٣٧٩ ، ج٣،ص٤١٨ .

بالعراق ، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري ، فقال : ما هذا يا مغيرة ؟ أليس قد علمت أن جبريل ﷺ نزل فصلى ؟ فصلى رسول الله ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ، ثم قال : بهذا أمرت . فقال عمر لعروة : اعلم ما تحدث به ، أو أن جبريل هو أقام لرسول الله وقت الصلاة . قال عروة : كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه .

التخريج : و أخرجه أبو داود (١) ، و النسائي (٢) ، و ابن ماجه (٣) .

دلالة الحديث :

في هذه الواقعة نجد عروة بن الزبير يبين لعمر بن عبد العزيز حكم تأخير الصلاة عن وقتها ، و مناسبة هذا الكلام حضور زمن الصلاة ، اختار عروة الموضوع المناسب و هو حادثة تأخير المغيرة بن شعبة الصلاة عن وقتها و إنكار أبو مسعود الأنصاري عليه ، و هذا من فقه الداعية ، أن يختار الموضوع المناسب للزمان المناسب ؛ فتؤتي الموعظة أكلها و يحدث التغيير المطلوب .

يقول الشيخ ابن عثيمين في إجابته عن سؤال حول حيرة كثير من الشباب في مواجهة المنكرات المنتشرة في كثير من الدول الإسلامية ، و كيفية تصويبها : « الذي أرى أن يبدءوا أولاً بعرض الإسلام على حقيقته بعقائده ، و أعماله ، و أخلاقه ، و أن لا يهاجموا هؤلاء مهاجمة توجب نفورهم ، و فيما اعتقد أن الإسلام إذا عرض على الوجه الصحيح فإن الفطرة تقبله ؛ لأن الدين الإسلامي موافق للفطرة السليمة ، أما مهاجمة الإنسان بما هو عليه من أزمنة قديمة و ما عليه آباؤه وأجداده ، فهذا يوجب النفور والكراهية لما يدعو إليه من الحق ، و لهذا قال تعالى : ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) » (٥).

---

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب المواقيت ، رقم ٣٩٧ ، ج١ ، ص ٣٤٠ .

(٢) النسائي ، السنن ، كتاب المواقيت ، رقم ٤٩٤ ، ج١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت لبنان ، ط ٤ ، ١٤١٤ هجري ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ص ٢٤٥ .

(٣) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الصلاة ، أبواب مواقيت الصلاة ، رقم ٦٦٨ ، ج١ ، ص ٢٧٤ .

(٤) { الأنعام : ١٠٨ } .

(٥) محمد بن صالح العثيمين ، الصحوة الإسلامية ضوابط و توجيهات ، إعداد علي حسين أبو لوز ، ج١ ، دار القاسم ، الرياض ، ط ٤ ، ص ١٩٤ .

إذا فالأصل أن لا نهاجم الناس بما هم عليه من أزمنة قديمة ، و لكن نختار من الموضوعات ما هو مناسب لزمن المدعو ؛ لنصل إلى النتيجة المطلوبة ؛ لأن حسن اختيار الموضوع له أبلغ الأثر في استجابة المخاطبين .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([1])([2]) ، و اللفظ لمسلم ، عن عائشة – رضي الله عنها – زوج النبي ، قالت : كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم و العوالي ، فيأتون في الغبار ، يصيبهم الغبار و العرق ، فيخرج منهم العرق ، فأتى رسول الله ﷺ إنسان منهم و هو عندي ، فقال النبي ﷺ :لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا .

التخريج : و أخرجه أبو داود ([3]) ، و أحمد ([4]) .

دلالة الحديث :

نلاحظ في هذا الحديث الدقة النبوية في اختيار الموضوع ، فالنبي ﷺ يتحدث إلى رجل في يوم الجمعة ، و ذلك الرجل وجد منه النبي ﷺ رائحة العرق ، فتحدث إليه بلباقة و لطف و دون تجريح ، و بصيغة العموم، فقال: " لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا " و لم يخصص ذلك الرجل ، و قد كان الموضوع الذي تحدث به هو التطهر ، و الزمان هو الجمعة ، و ما يتخللها من عبادة عظيمة و هي صلاة الجمعة التي تستدعي الاستعداد البدني و النفسي لها ، و من الاستعداد البدني التطهر و التطيب ، فجاء الموضوع مناسباً للزمان ، و هكذا ينبغي على الداعية أن يحسن اختيار الموضوعات بحيث تتناسب مع الوقت الذي يتحدث فيه .

([1]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الآذان ، باب وضوء الصبيان و متى يجب عليهم الغسل ، رقم ٨٥٨ ، ج٢، ص١٢١٣ .
([2]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجمعة ، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال ، رقم ١٩٥٥ ، ج٤، ص ١٥٦ .
([3]) أبو داود ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب في الغسل للجمعة ، رقم ٣٤٥ ، ج١ ، ص ٣١٨ .
([4]) أحمد ، المسند ، رقم ١١٥١٥ ، ج ١٠ ، ص .

و لو أخذنا مثالاً تطبيقياً لاتضحت لنا الصورة بشكل جليّ ، ففي زماننا هذا طغت المادية و الشهوات بشكل كبير على الناس ، و خاصة بعد تشبعهم بالحياة على النمط الغربي الذي لا يعبأ إلا بالمادية ، يقول د. شرف القضاة : « إن الحياة الغربية التي لا تؤمن إلا بالمادة وحدها ، و لا تقيم للقيم و المشاعر و الأخلاق وزناً ؛ لا يمكن أن تسعد الإنسان . و قد طبقت كلها و فشلت في واقع الحياة ، و جرت الشقاء على الإنسان . و النسب العالية و الأرقام المذهلة من جرائم القتل ، و السرقة ، و الاغتصاب و زنى المحارم ، و الشذوذ ، و الأطفال غير الشرعيين ، و الإجهاض ، و الأمراض النفسية ، دليل شاهد على شقاء تلك المجتمعات » ([١]) .

في مثل هذه الأجواء لا بد من الحديث عن الأمور الروحية التي ترتقي بالروح على شهوات الجسد ، و تزيل الغفلة والقسوة عن الناس ،وترتقي بهم إلى عالم الملكوت ، و ليس من المناسب الحديث عن حكم إرضاع الكبير، أو حكم شرب بول النبي ﷺ كما فعله البعض ، فأثار عواصف إعلامية ينتهز مروجوها مثل هذه الفرص للطعن في الإسلام و اتهامه بالتخلف و الرجعية .

<u>الحديث الثالث</u> :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([٢]) عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قال : أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها ، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد .

<u>التخريج</u> : و أخرجه مسلم ([٣]) ، و الترمذي ([٤]) .

<u>دلالة الحديث</u> :

جاء في فتح الباري في شرح هذا الحديث « قال ابن بطال : إنما أراد النبي أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه ، فوعظهم بقصر أعمارهم ، و أعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة . و قال النووي : المراد أن كل من كان

([١]) د. شرف القضاة ، الهدي النبوي في الرقائق ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ، ط ٦ ، ص ٩٩ .
([٢]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، باب السمر في العلم ، رقم ١١٦ ، ج١ ، ص ٢٧٧ .
([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : لا تأتي مئة سنة و على الأرض نفس منفوسة اليوم ، رقم ٦٤٢٦ ، ج٨ ، ص ١٤٦ .
([٤]) الترمذي ، السنن ، أبواب الفتن ، باب ما على الأرض نفس منفوسة ، رقم ٢٢٥١ ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

تلك الليلة على الأرض لا يعيش بعد هذه الليلة أكثر من مائة سنة،سواء قل عمره قبل ذلك أم لا ، و ليس فيه نفي حياة أحد يولد بعد تلك الليلة » ([1]) .

و في كلام ابن بطال و النووي ، شرح لهذا الحديث الذي يبين حقيقة تتعلق بالزمن و هي قصر أعمار هذه الأمة كما قال ابن بطال ، ما يستدعي أن يجتهدوا في العبادة ، و لذلك تكلم النبي ﷺ عن موضوع يتناسب مع الزمن و هو الاجتهاد في العبادة ، و وجه مناسبته مع الزمن هو قصر أعمار هذه الأمة ، فأعمارهم ليست كأعمار من سبقهم ؛ و لذلك حثهم النبي ﷺ أن يتداركوا ذلك ببذل الجهد في الأعمال الصالحة ، و هذا من الفقه النبوي لحال المخاطبين ، فلا بد للمتصدر لوعظ الناس و دعوتهم ، أن يجتهد في الفهم عن النبي ﷺ ، يقول بكر ابو زيد : « و لما كان ثابت السنن و الآثار ، و صحاح الأحاديث المنقولة و الأخبار ، ملجأ المسلمين في الأحوال ، و مركز المؤمنين في الأعمال ، إذ لا قوام للإسلام إلا باستعمالها و لا ثبات للإيمان إلا بانتحالها ، وجب الاجتهاد في علم أصولها ، و لزم الحث على ما عاد بعمارة سبيلها » ([2]) .

و لنتأمل في هذا النص لنرى كيف كان النبي ﷺ يحسن اختيار الموضوعات ، مما يساهم في الوصول إلى الهدف المرجو من الخطاب ، جاء في كتاب " تهذيب سيرة ابن هشام " عن أبي سعيد الخدري قال : لمّا أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا – أي من غنائم هوازن و سباياها في قريش ، و لم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ، فأمر سعد بن عبادة فجمعهم ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

" يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ؟ وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله ؟ و عالة فأعطاكم الله ؟ و أعداءً فألف بين قلوبكم ؟ " .

قالوا : بلى و الله و رسوله أمن و أفضل .

ثم قال : " ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ " قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله و لرسوله المن و الفضل .

قال رسول الله ﷺ : " أما و الله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم و لصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، و مخذولاً فنصرناك ، و طريداً فآويناك ، و عائلاً فآسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم ، في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، و وكلتكم إلى إسلامكم

([1]) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج١ ، ص ١٨٠ .

([2]) بكر عبد الله أبو زيد ، التعالم و أثره على الفكر و الكتاب ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، السعودية ، ط ٤ ، ١٤١٨ هجري ، ص ٦٠١ .

، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، و أبناء الأنصار ، و أبناء أبناء الأنصار " .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، و قالوا رضينا برسول الله قسماً و حظاً » ([١]) .

في هذا النص نجد النبي ﷺ يستثمر زمن توزيع العطايا ليدخل من خلاله إلى قلوب الأنصار فيعظم حبه ﷺ في أنفسهم ، و يرقي الإيمان عندهم بعد أن غضبوا بسبب حرمانهم من الغنائم ، كم استثمر النبي ﷺ هذه الواقعة لينزع حب الدنيا من نفوسهم ، كما قال " أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم ، في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا " .

فلا بد للداعية من الاجتهاد في فهم سنن النبي ﷺ في الخطاب ، و حسن انتقائه للموضوعات ؛ ليستطيع عرض الأفكار على المخاطبين بطريقة صحيحة ، توصله إلى الثمرة من الخطاب ، و هي الإنصات لما يقول ، و الاستجابة لما يدعو إليه .

المطلب الثالث : إعداد المادة العلمية للموضوع :

إن الإعداد الصحيح للموضوع المراد طرحه أمام الناس ، يترتب عليه تنظيم الأفكار ، و وحدة الموضوع ، والتوثيق لما يورده من الأحاديث و الأقوال ، و لا شك أن هذا يعطي الموضوع قوة و أثراً في نفس السامع ، و سنلقي الضوء في هذا المطلب على بعض الأحاديث التي تدل على إعداد النبي ﷺ لرسله المأمورين بإبلاغ الإسلام ؛ إعداداً علمياً صحيحاً ، يستطيعون من خلاله الوصول إلى عقول المخاطبين و أفئدتهم .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([٢]) ([٣]) ، و اللفظ لمسلم ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا على اليمن ، قال :

([١]) عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، دار الفكر ، دمشق ، ص ٣١٦ – ٣١٨ .
([٢]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، رقم ١٤٥٨ ، ج ٤ ، ص ١٩٤١ .
([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين ، رقم ١٢١ ، ج٢ ، ص ٤٧ .

إنك تقدم على قوم أهل كتاب، ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم و ليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم ، و ترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم و توق كرائم أموالهم .

التخريج : و أخرجه أبو داود (١) ، و الترمذي (٢)، والنسائي (٣) ، و ابن ماجه (٤) ، و أحمد (٥) ، و البغوي (٦) .

دلالة الحديث :

لا شك أن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على إعداد المادة العلمية للموضوع الدعوي، فالنبي ﷺ يرتب لمعاذ المادة العلمية حسب الأهمية ، و يرشده إلى تجنب بعض الأمور التي تنفر المدعوين منه مثل قوله : " و توق كرائم أموالهم " و هذه هي الحكمة و الموعظة الحسنة التي أمر الله بها في قوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٧) ، جاء في تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير هذه الآية « أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم و كافرهم إلى سبيل ربك المستقيم ، المشتمل على العلم النافع و العمل الصالح بالحكمة ، أي كل أحد حسب حاله و فهمه ، و قبوله و انقياده ، و من الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل ، و البداءة بالأهم فالأهم ، و بالأقرب إلى الأذهان و الفهم ، و بما يكون قبوله أتم ، و بالرفق و اللين ، فإن انقاد بالحكمة ، و إلا فلينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، و هو الأمر و النهي المقرون بالترغيب والترهيب ،إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح ومقدارها ، و النواهي من المضار ومقدارها ، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، أو إهانة من لم يقم به » (٨) .

---

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الزكاة ، باب في زكاة السائمة ، رقم ١٥٧٩ ، ج٢ ، ص ٣٣١ .
(٢) الترمذي ، السنن ، أبواب الزكاة ، باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة ، رقم ٦٢٥ ، ج٢ ، ص١٣.
(٣) النسائي ، السنن ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، رقم ٢٤٣٥ ، ج٥ ، ص ٢٢ .
(٤) ابن ماجه ، كتاب الزكاة، باب فضل الزكاة ، رقم ١٧٨٣ ، ج٢ ، ص ١٢٧ .
(٥) أحمد ، المسند ، رقم ٢٠٧١ ، ج ١ ، ص .
(٦) البغوي ، شرح السنة ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، رقم ١٥٥٧ ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .
(٧) { النحل : ١٢٥ } .
(٨) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، وكالة المطبوعات و النشر ، السعودية ، الرياض ، ص ٤٠٤ .

يتضح من خلال تفسير هذه الآية كيفية الإعداد الصحيح للمادة العلمية المراد إلقاؤها ، و ترتيبها حسب الأهمية ؛ و لا يكون ذلك إلا بالبحث و التنقيب ، و إعمال الذهن ، و شحذ الفكر بتؤدة و روية ، أما الارتجال العشوائي فإن نتائجه ستكون تخبطاً ، و تلعثماً ، و تشتت أفكار ، و عدم وحدة في مضمون الموضوع ، و بالتالي خروج السامع دون فكرة محددة و لا فائدة واضحة . و إن مما ينبغي التنبه له عند إعداد المادة العلمية التثبت من صحة الأحاديث ؛ و لذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ شديدي الحرص في هذا الجانب ، يقول د . محمد عبد الله العيدي : « و لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس تثبتاً من صحة الحديث عن رسول الله ، وكانوا يتحرجون من كثرة الرواية في الحديث خشية الوقوع في الكذب و الخطأ..... إلى قوله : فعلى الدعاة إلى الله الاهتمام بحديث رسول الله ﷺ و تمييز صحيحه من ضعيفة » (1) .

إن من الأخطاء الفاحشة التي يقع فيها الجهلة من المتصدرين لميدان الدعوة ، كثرة النقل عن رسول الله ﷺ دون تثبت و لا توثيق ، فينسب لرسول الله أكاذيب و خرافات ، بل إن بعضهم لا يتقن قراءة الحديث قراءة صحيحة مضبوطة ، فضلاً عن أن يوثق الحديث ، و يتأكد من صحته ، و كل هذه الأخطاء قادت إلى أن يتصدر المجالس بحجة الدعوة أناس جهلة يتقولون على رسول الله ﷺ ، و ينسبون له الأكاذيب .

إن كل ما ذكرناه يؤكد على أهمية إعداد المادة العلمية إعداداً صحيحاً لتلافي مثل هذه الأخطاء .

<u>الحديث الثاني</u> :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (2)(3) ، و اللفظ لمسلم ، عن مالك بن الحويرث – رضي الله عنه - ، قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، و كان حليماً رفيقاً ، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا ، قال : ارجعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم ، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة ؛ فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم .

---

(1) د. محمد عبد الله العيدي ، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، ص ٣١٤ .
(2) البخاري،الصحيح مع الفتح،كتاب الأذان،باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد،رقم ٦٢٨، ج٢ ، ص ٩١٤ .
(3) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٥٣٣ ، ج٣ ، ص٤٧٧ .

<u>التخريج</u> : وأخرجه أبو داود (١) ، و الترمذي (٢) ، والنسائي (٣) .

<u>دلالة الحديث</u> :

في هذا الحديث إعداد لمالك بن الحويرث وأصحابه بالأمور التي سيبلغونها لقومهم ، وهي تعليمهم ، وأمرهم بالصلاة ، وفي هذا الترتيب من النبي ﷺ إشارة لقضية مهمة ، وهي أن على الداعية أن يسبق كل عبادة يريد أن يبينها للناس ، ببيان أصولها العلمية الصحيحة ؛ ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ ﴾ (٤) ؛ فيجب على الداعية أن يعد مادته التي سيقدمها للناس ، وأن ينظم أموره .

يقول الدكتور عدنان النحوي : « إن الإدارة والتنظيم ضرورة هامة في حياة الفرد والجماعة فالإدارة توجه الجهد وتنسقه بين مختلف المستويات ليتكامل وينمو . والإدارة توفر الإشراف والمتابعة ، والدراسة الشورى ، وتضع قواعد التعاون في ميدان الواقع كما أمر بها الله . والإدارة والتنظيم حين تقوم على أسس ربانية تتفوق بها على ما عرفه الإنسان من نظم في تاريخه ، دون تعطيل الاستفادة من التجربة الإنسانية بعد إعادة صياغتها وصهرها في النظرية الإسلامية » (٥) .

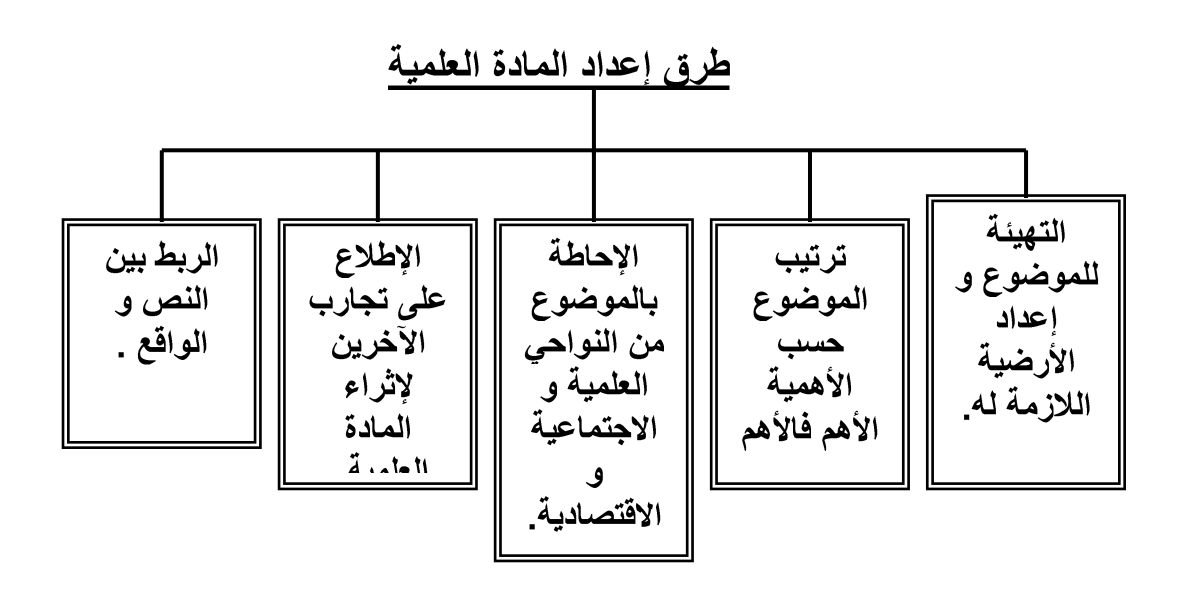
فالداعية يجمع مادته العلمية ، من مصادر مختلفة ، منها الديني،والاقتصادي ، والاجتماعي ، فيربط النص الذي يريد الحديث عنه بهذه القضايا ؛ فبذلك يثري الموضوع ويحقق الفائدة والمتعة للسامع ، وإن المتدبر للقران يجده يتحدث عن جوانب مختلفة ، و على النحو الذي ذكرناه ، يقول الدكتور مصطفى مسلم : « جعل الله سبحانه و تعالى كتابه معجزة الرسول العظمى ، والحجة الدائمة على الخلق ، ونبراسا للدعاة إلى يوم الدين يستمدون من نبعه الثر الهدايات ، ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارة ، و يجدون في ثناياه البراهين السواطع كلما تراكمت ظلال الشبهات ، وفي إرشاداته برد اليقين كلما حاكت الوساوس في الصدور ، ومما يلمسه كل متدبر لآيات القرآن الكريم ، وفاؤه لحاجات البشر في مختلف عصورهم ، وتلوين الفهوم لآياته ، وتنويع الاستنباطات من دلالاته ، و بخاصةفي الآيات التي تتحدث عن الكون والحياة والإنسان » (٦) .

---

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٥٩٠ ، ج١ ، ص٤٢٩ .
(٢) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الآذان في السفر ، رقم ٢٠٥ ، ج١ ، ص ٢٤٦ .
(٣) النسائي ، السنن ، كتاب الآذان ، باب اجتزاء المرء بآذان غيره في احضر ، رقم ٦٣٥ ، ج٢ ، ص٩ .
(٤) { محمد : ١٩ } .
(٥) د. عدنان النحوي ، النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة و خطة التربية ، دار النحوي للنشر و التوزيع ، ط ٣ ، ١٤١٧ هجري ، ١٩٩٧ م ، ص ٣٠ .
(٦) د.مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ،دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠ هجري ، ١٩٨١م ، ص أ – ب.

هذا هو منهج القرآن الذي يحمل نظرة شمولية ، وإحاطة بالأحداث ، وإمتاع للسامع وعلى هذا النهج يجب أن يسير الوعاظ والعلماء الذين يريدون إيصال رسالة الإسلام إلى الناس ، إننا لا نريد استقصاء الأحاديث التي تشير إلى أهمية الإعداد العلمي للمادة المراد طرحها أمام الناس ، حتى لا يكون هناك نوع من التكرار ، وانما أردنا تأصيل هذه القضية ، واثبات وجودها في السنة النبوية .

ونلخص في الجدول التالي طرق إعداد المادة العلمية :



المبحث الثاني

واقعية الاختيار وصيغ الأداء في ضوء السنة النبوية

المطلب الأول : صيغة ما بال أقوام الواردة في الأحاديث ، ودلالاتها على واقعية النبي في اختيار الموضوعات .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([١])([٢]) ، و اللفظ لمسلم ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : صنع النبي شيئاً ، فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ، فخطب ، فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؛ فو الله إني لأعلمهم بالله و أشدهم له خشية .

التخريج : و أخرجه أحمد ([٣]) .

دلالة الحديث :

يدل هذا الحديث على أن النبي ﷺ كان يختار الموضوعات من واقع المجتمع الذي يعيش فيه ، بحيث يكون محور هذه الموضوعات إما معالجة لمشكلة معينة ، أو تصويب لخلل ما ، أو ترسيخ لخلق من الأخلاق الفاضلة ، ففي هذا الحديث الذي ذكرناه يسمع النبي ﷺ عن صنيع أولئك القوم الذين يتنزهون عن شيء رخص فيه ؛ لاعتقادهم أن في ذلك خشية لله ، فيخاطبهم النبي ﷺ بصيغة الجماعة دون تحديد فرد أو أسماء بعينها ،وهذه هي الحكمة في الدعوة التي كان ينتهجها النبي ﷺ فلا يحرج أحداً ،ولكن يصلح الخطأ لأن هدفه معالجة الخلل وليس التشهير بالناس .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ، رقم ٦١٠١ ، ج١٢ ، ص ٧٢٩٨.

([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الفضائل ، باب علمه ﷺ و شدة خشيته ، رقم ٦٠٦٢ ، ج٧ ، ص ٤٤٣ .

([٣]) أحمد ، المسند ، رقم ٢٤٠٦٢ ، ج ١٧ ، ص ٢٥٢ .

يقول ابن حجر العسقلاني:« وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ، وذم التعميق والتنزه عن المباح وحسن العشرة عند الموعظة ، والإنكار والتلطف في ذلك» (١) .

أما ما نشاهده في هذا الزمان من بعض الوعاظ و الدعاة فإنه على النقيض مما كان عليه النبي ﷺ ، إذ أصبح التشهير و القدح ، و الذم يمارس في ثوب الإصلاح و التصويب فلا بد من اتباع هذا الأسلوب النبوي في معرفة المشاكل التي يعيشها المجتمع ، ثم معالجتها دون تشهير أو تحقير ، فيجب على الداعية أن يجعل هدفه الأول و الأخير ابتغاء وجه الله ، فيكون الإخلاص هو المحرك الأساسي له في دعوته .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : « و من هنا كان على كل من يدعو للإسلام ، و يعمل لنصرته أن يحلل بواعثه و نواياه بصدق و لا يكذب على نفسه ، و لا على ربه ، فقد قال الإمام الغزالي بحق بعد أن ذكر فتنة حب الجاه و الظهور و الشهرة و المحمدة عند الناس : و أشد الخلق تعرضاً لهذه الفتنة العلماء ؛ فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الإستيلاء ، و الفرح بالإستتباع و الإستبشار بالحمد و الثناء ، و الشيطان يلبس عليهم ذلك ، و يقول : غرضكم نشر دين الله ، و النضال عن الشرع الذي شرعه رسوله ، و ترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ، و وعظه للسلاطين ، و يفرح بقبول الناس قوله، و إقبالهم عليه ، و هو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ، و لو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظاً و انصرف الناس عنه و أقبلوا عليه ساءه ذلك و غمه ، و لو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى ، إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ، ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ، و يقول : إنما غمك لانقطاع الثواب عنك ، لا لإنصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك ، إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب ، و اغتمامك لفوات الثواب محمود ، و لا يدري المسكين أن انقياده للحق و تسليمه الأمر أفضل و أجزل ثواباً و أعود في الآخرة من انفراده ، فمعرفة حقيقة الإخلاص و العمل به ، بحر عميق ، يغرق فيه الجميع ، إلا الشاذ النادر والفرد الفذ ، وهو المستثنى في قوله تعالى:﴿ إِلَا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ ﴾ (٢) » (٣) .

إذاً لا بد أن يكون الإخلاص هو ديدن الداعية في كل حركاته و سكناته ، ليحسن عرض الإسلام على الناس و دعوتهم إليه .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٢ ، ص ٧٢٩٩ .
(٢) { ص : ٨٣ } .
(٣) د. يوسف القرضاوي ، النية و الإخلاص ،دار الفرقان للنشر و التوزيع ، ط١ ، ١٤١٧ هجري ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٨.

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما [١] [٢] ، و اللفظ لمسلم ، عن عروة أن عائشة أخبرته؛ أن بريرة جاءت عائشة تستعينها في كتابتها ، ولم تكن قضت من كتابتها شيئا ، قالت لها عائشة : ارجعي إلى أهلك ، فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابتك ويكون ولائك لي ، فعلت ، فذكرت ذلك بريرة لأهلها ، فأبوا وقالوا: إن شاءت أن تحتسب عليك ، فلتفعل ،ويكون ولاؤك لنا ،فذكر ذلك لرسول الله ﷺ،فقال لها رسول الله ﷺ : ابتاعي، فاعتقي ،فإنما الولاء لمن أعتق ، قالت : ثم قام رسول الله ﷺ فقال : ما بال أناس يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله ، فليس له ، وإن شرط مائة شرط ، شرط الله أحق وأوثق .

التخريج : و أخرجه أبو داود [٣] ، و الترمذي [٤] ، و النسائي [٥] ، و مالك [٦] .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث صيغة أخرى يستخدمها النبيﷺ في توجيه الخطاب للناس ، وهي ما بال أناس ، فعند نصيحة الناس نستطيع استخدام أي من هذه صيغ ، ما بال أقوام وما بال أناس، فهذه الصيغ في الخطاب ، تدل على واقعية الموضوعات التي يتم تناولها ؛ لأنها تتحدث عن أحداث وقعت ، ما يدل على أن أحكام الإسلام هي أحكام عملية تطبيقية ، و ليست أحكام خيالية ، و كذلك فإن استخدام مثل هذه الصيغ يدل على أن الهدف هو الوصول إلى الحق ، و هذا مطلب عزيز قل من يدركه .

يقول ابن الوزير : « و طالب الحق اليوم شبيه بطلابه في أيام الفترة ، و هم سلمان الفارسي ، و زيد بن عمرو بن نفيل ، وأضرابهما ، رحمهما الله تعالى ، فإنهم قدوة الطالب للحق ، و فيهم له أعظم أسوة ، فإنهم لما حرصوا على الحق و بذلوا الجهد في طلبه ،

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المكاتب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب ، رقم ٢٥٦١ ، ج٦ ، ص ٣١٧٥ .

(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق ، رقم ٣٧٥٦ ، ج٥ ، ص ٤٦٤ .

(٣) أبو داود ، السنن ، كتاب العتق ، باب بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة ، رقم ٣٩٢٥ ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(٤) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت ، رقم ٢١٢٤ ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ .

(٥) النسائي ، السنن ، كتاب البيوع ، باب بيع المكاتب ، رقم ٤٦٥٥ ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٦) مالك ، الموطأ ، كتاب العتق و الولاء ، باب مصير الولاء لمن أعتق ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ .

بلغهم الله إليه ،وأوقفهم عليه ، وفازوا من بين العوالم الجمّة ، فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة ،وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبوة ، فاعتبر بذلك ، و اقتدِ بأولئك ، فإن الحق ما زال مصونً عزيزاً نفيساً كريماً ، لا ينال مع الإضراب عن طلبه ، و عدم التشوف و الشوق إلى سببه ، و لا يهجم على المبطلين المعرضين أشباه الأنعام الغافلين » (١) .

إن النبي ﷺ يعلمنا فن الدعوة ، و وسائلها بأسلوب راقي لا يصل إليه كثير من منظري الأحزاب في هذا الزمان ، فلو تأملنا واقع الأحزاب والجماعات التي تتخذ الإسلام شعاراً لها ، لوجدنا أن مصلحة الحزب و الجماعة و التعصب لها أصبح الطريق الذي تسلكه كثير من هذه الجماعات و التيارات ، و أصبحت تتبادل الاتهامات فيما بينها ، و توجه الطعن للمسلمين في دينهم إذا ما انبرى أحدهم لبيان أخطاء هذه الجماعة أو تلك ، لقد أصبح الولاء و البراء عند هذه الجماعات و الأحزاب ، بمقدار مدحك لها و إطراءِك عليها ، و الويل ثم الويل لمن حاول تصويب أخطاءهم أو التحذير من مزالقهم ؛ و لذلك نشأ ما يعرف بالتطرف لاعتقاد كثير من منظري تلك الجماعات لاحتكار الحق .

جاء في كتاب " ظاهرة الغلو في الدين " : « يعاني العالم الإسلامي اليوم من موجات الإرهاب المنظم ، و هو عنف منظم بقصد إيجاد حال من التهديد العام الموجه إلى دولة أو جماعة سياسية ، و الذي يقذف بالبشرية في أتون المشكلات و المصائب ، فلا يكاد يمر يوم دون أن تقع عملية إرهابية ليتردد صداها في أجهزة الإعلام المختلفة ، حتى أصبح للمنظمات الإرهابية دور خطير في توجيه دفة كثير من الأحزاب السياسية ، و أصبحت جزءاً من القوى الخفية المؤثرة في العالم . و مما يؤسف له أن تنسب بعض حركات التطرف و العنف و الإرهاب للإسلام ؛ و الإسلام منها بريء ، و ليس في الإسلام حكم شرعي يكلف المسلم ما لا يطيق من أعمال التطرف و العنف و الإرهاب ؛ لأنها أعمال خطيرة و آثارها فاحشة ، و الإسلام لا يأمر إلا بما أمر الله تعالى به في كتابه ، وبما أمر به رسوله ﷺ في سنته ، و ليس في الجهاد في سبيل الله تعالى شيء من ذلك ، بل فيه معنى إزالة البغي و العدوان » (٢).

---

(١) محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير ، إيثار الحق على الخلق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧ هجري ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٧ .

(٢) عبود بن علي بن درع ، ظاهرة الغلو في الدين ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هجري ، ١٩٩٨ م ، ص أ- ب (المقدمة) .

إن مجانبة هدي النبي ﷺ في دعوة الناس قاد الأمة إلى ما تعانيه من موجات التطرف و العنف اللامتناهي ، فلا بد للداعية أن يتلمس آثار النبي ﷺ ، و يستبصر بوسائله التي كان يتبعها في دعوة الناس .

و من خلال ما استعرضناه في هذا المطلب من صيغ الخطاب التي استخدمها النبي ﷺ في تصويب الخلل و إزالة الخطأ فإننا لا بد أن نقارن بين أسلوبه و أسلوب الدعاة في هذا الزمان ؛ لنقف على حقيقة الخلل و نتلمس جوانب الصواب :

أسلوب النبي ﷺ في دعوة الناس	أسلوب بعض الدعاة في هذا العصر
يستخدم صيغة ما بال أقوام و ما بال أناس.	يستخدمون وسائل الإعلام للتشهير بالأشخاص والجماعات التي تخالفه .
باستخدامه الصيغ السابقة لايشهر و لا يجرح	بذكرهم للأسماء يشهرون و يجرحون .
يركز على الخطأ الذي يقع فيه الشخص .	يركزون على الشخص و عيوبه و مزالقه.
يعالج الخطأ بالرفق و اللين .	يستخدمون الغلظة و الشدة .
هدفه مصلحة الدعوة و نشر الدين.	هدفهم مصلحة أحزابهم و جماعاتهم .

المطلب الثاني : الربط بين الزمان و المكان في موضوعات الخطاب النبوي ، مثلما حدث في خطبة حجة الوداع :

إن الربط بين الزمان من الطرق التي كان يتبعها النبي ﷺ في الخطاب ، وذلك للجمع بين الصورة الحسية المتمثلة في المكان ، والصورة الذهنية المتمثلة في الزمان، وتعتبر هذه الطريقة من الطرق الناجحة في تحريك ذهن المخاطب،؛ لاستقبال الفكرة المراد طرحها ، وسنلقي الضوء على هذه القضية في هذا المطلب .

<u>الحديث الأول :</u>

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب يوم النحر فقال: يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا :يوم حرام ، قال فأي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال فأي شهر هذا؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ،في شهركم هذا . فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت ؟ قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته : فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

<u>التخريج</u> : وأخرجه مسلم ([٢]) ، و أبو داود ([٣]) ، و الترمذي ([٤]) ، و النسائي ([٥]) ، و ابن ماجه ([٦]) .

<u>دلالة الحديث</u> :

في هذا الحديث نلاحظ أن النبي ﷺ يجمع بين أهمية الزمان و المكان ؛ لبيان حرمة دماء المسلمين بعضهم على بعض ، فجمع بين الصورة الحسية المتمثلة في المكان و هو البلد الحرام ، و بين الصورة الذهنية لحرمة الزمان ، و هذا يجعل المخاطب يستقبل الموضوع المراد طرحه بوعي كامل ، فإذا أردنا إيصال فكرة مهمة و توفرت لدينا عناصر الزمان و المكان فلا بد أن نستغلها ، إننا نلاحظ افتقاد بعض الدعاة القدرة على استغلال العناصر المحيطة لإيصال أفكارهم ، و ذلك لعدم إدراكهم لواقعهم ؛ إدراكاً مستبصراً يلج من خلاله إلى أذهان المخاطبين .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، رقم ١٧٣٩ ، ج٤ ، ص ٢٢٥٨ .
([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، رقم ٢٩٢١ ، ج٥ ، ص ٩١ .
([٣]) أبو داود ، السنن ، كتاب الحج ، باب صفة حج النبي ﷺ ، رقم ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ،ج٢ ، ص ٤٨٣-٤٩١ .
([٤]) الترمذي ، السنن ، أبواب الحج ، باب ما جاء في حرمة مكة ، رقم ٨٠٩ ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
([٥]) النسائي ، السنن ، كتاب مناسك الحج ، رقم ٢٩٣٩ ، ج٥ ، ص .
([٦]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب المناسك ، باب حج رسول الله ، رقم ٣٠٧٤ ، ج ٣ ، ص ٨٠ .

يقول د . يوسف القرضاوي في معرض حديثه عن ضعف البصيرة بالدين عند بعض العلماء : « و يضاف إلى ضعف البصيرة بالدين : ضعف البصيرة بالواقع و الحياة ، و بالتاريخ ، و بسنن الله في الخلق . فتجد أحدهم يريد ما لا يكون ، و يطلب ما لا يوجد ، و يفهم الوقائع على غير حقيقتها ، و يفسرها وفقاً لأوهام رسخت في رأسه ، لا أساس لها من صنع الله في خلقه ، و لا من أحكامه في شرعه . فهو يريد أن يغير المجتمع كله : أفكاره ، و مشاعره ، و تقاليده و أخلاقه ، و أنظمته الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، بوسائل وهمية ، و أساليب خيالية ، مع شجاعة و جرأة و فدائية ، لا تستكثر تضحية و إن علت ، و لا تعبأ بالموت تقع عليه أو يقع عليها ، و لا تهتم بالنتائج أياً كانت ، ما دامت نيتها لله ، و هدفها إعلاء كلمة الله تعالى . و من ثم لا تستغرب أن تندفع إلى أعمال و تصرفات يسميها بعض الناس انتحارية ، و يسميها آخرون جنونية ، يسقط ضحيتها عدد منهم دون أن يبالوا بذلك شيئاً . و لو رجه هؤلاء إلى السيرة النبوية ، لوجدوا أن رسول الله ﷺ ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو و يربي ؛ و الشرك ضارب أطنابه عن يمينه و شماله ، الكعبة البيت الحرام ، تحيط بها الأصنام التي بلغت نحو ثلاثمائة و ستون صنماً و هو عليه السلام يصلي عند الكعبة و يطوف بها ، و تلك الأصنام من حوله ، لم يفكر أن يقوم هو و أصحابه بهجمة فدائية لتحطيمها و الخلاص منها ؛ لأنه لو فعل لعرض نفسه و أصحابه للهلاك ، لعدم تكافؤ القوى أو تقاربها ، و لم تنتهي بذلك عبادة الأصنام ، فإن عابديها سيقيمون بديلاً لها في اليوم التالي ، ينحتونه أو يشترونه ؛ لأن الوثنية قائمة في عقولهم قبل أن تكون في الصنم المعبود ذاته ، فما لم تتحرر عقولهم من هذا الزور ، فلن يغني عنهم تحطيم الأوثان شيئاً » (١) .

<u>الحديث الثاني:</u>

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (٢)(٣) ، و اللفظ لمسلم ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : يوم الخميس و ما يوم الخميس ؟ ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس ، فقال :

---

(١) د. يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ ، ١٤١٦ هجري ، ١٩٩٦م ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة و معاملتهم ، رقم ٣٠٥٣ ، ج ٦ ، ص٣٦٤٩ .

(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الوصية ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ، رقم ٤٢٠٨ ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، و لا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : هجر رسول الله ﷺ ، قال : دعوني ؛ فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه ، و أوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه ، و نسيت الثالثة .

التخريج : و أخرجه أبو داود (١) ، و أحمد (٢) ، و عبد الرزاق (٣) .

دلالة الحديث :

يجتمع الزمان مع المكان في خطاب النبي ﷺ لأصحابه ، الزمان : لحظة احتضار النبي ﷺ ، المكان : يتعلق بجزيرة العرب و إخراج المشركين منها ؛ فالنبي ﷺ يربط حدثاً مهماً متعلقاً بمكان مهم ، متعلقاً بلحظة حرجة وهي خروج الروح ، فعندما يأمر النبي ﷺ بإخراج المشركين من جزيرة العرب ،فهو يأمر بتطهيرها من الشرك و الوثنية ،وإن ارتباط هذا الأمر بلحظة الاحتضار التي كان يعايشها النبي ﷺ تدل على أهمية إقامة التوحيد في الأرض ، و أنه مرتبط بدعوة الإسلام ارتباط الروح بالجسد .

يقول بكر أبو زيد في سياق الحديث عن كلمة التوحيد و أهميتها : « وهي أول مأمور به في القرآن الكريم ؛ كما في فواتح سورة البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾ (٤) وناقضها- وهو الشرك بالله- أول منهي عنه ؛ كما في الآية بعدها ؛ ﴿ فلا تَجْعَلوا للهِ أندَاداَ وَأنتم تعْلمون ﴾ (٥) ، وأول فعل يأتي في القرآن هو في التوحيد : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد ﴾ (٦) ، و التوحيد هو فاتحة القرآن الكريم ، وهو خاتمته ؛ إعلاناً بأن ما بين الدفتين كله لتحقيق التوحيد ، فهو فاتحة القرآن ؛ كما في أول سورة الفاتحة :﴿ الحمد لله رب العالمين (٧) ﴾ » (٨) ، و لذلك ربط النبي ﷺ بين لحظات الاحتضار و هي خاتمة حياته مع تطهير جزيرة العرب من الشرك ، و إقامة كلمة التوحيد .

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الخراج و الإمارة ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، رقم ٣٠٢٩ ، ج ٣ ،ص ٤٨٤ .
(٢) أحمد ، المسند ، رقم ١٩٣٥ ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .
(٣) عبد الرزاق ، المصنف ، كتاب أهل الكتاب ، باب إجلاء اليهود من المدينة ، رقم ٩٩٩٢ ، ج ٦ ، المكتب الإسلامي، ط ٢ ، ١٤٠٣ هجري ، ١٩٨٣ م ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ص٥٥.
(٤) { البقرة : ٢١ } .
(٥) { البقرة : ٢٢ } .
(٦) { الفاتحة : ٥ } .
(٧) { الفاتحة : ٢ } .
(٨) بكر عبد الله أبو زيد ، حكم الإنتماء إلى الفرق و الأحزاب و الجماعات الإسلامية ، دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤١٠ هجري ، ص ٧٦ .

إن على الداعية السعي إلى تفعيل قضية ارتباط الزمان بالمكان ليدلل على قضية مهمة ؛ فالداعية الناجح يتعايش مع الحياة العملية فلا يكتفي بالكلام المجرد ، يقول بكر أبو زيد : « لكن المجهودات التي بذلت عندنا من مدة غير قصيرة في سبيل نشر الدعوة لا تتجاوز الخطباء أولي الطاقة اللسانية و البيان الأخاذ ، و الدعاة من أصحاب العاطفة و الحماس ، و المؤلفين و الكتاب من ذوي العلم الراسخين ، تجولوا بالناس في فردوس فارغ من الحياة الاسلامية ، لا يمس الواقع مساً » (١) .

<u>الحديث الثالث</u> :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : إذا قعد المؤمن في قبره أتي ، ثم شهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بالقول الثّابت ﴾.

<u>التخريج</u> : وأخرجه مسلم (٣) ،و الترمذي (٤) ،والنسائي (٥) ،وابن ماجه (٦) ، و مالك (٧) .

<u>دلالة الحديث</u> :

في هذا الحديث ربط بين الزمان والمكان ؛ فالزمان ما بعد الحياة الدنيا ، والمكان القبر ، و القضية المراد بيانها : فضل الإيمان في تثبيت الإنسان على كلمة التوحيد ، فالنبي ﷺ يبين أثر الإيمان على الإنسان عندما ينتقل إلى حياة البرزخ ، و أن هذا الإيمان هو الذي يجعل الإنسان ينطق الشهادتين في قبره ، و ثمرة ذلك أن يكون قبره روضة من رياض الجنة ، و هذه الثمرة يسعى لها كل مؤمن ، و النبي ﷺ يستشهد بما قاله بقول الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بالقول الثابت ﴾ (٨) . سواء كان الحديث عن أمر الدنيا أو عن أمر الآخرة فإننا نوظف عنصري الزمان و المكان و نربط بينهما ربطاً وثيقاً ، فيحصل

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، رقم ١٣٦٩ ، ج٤ ، ص ١٨٢٩ .
(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، رقم ٧١٤٠ ، ج ٩ ، ص ١٣٢ .
(٤) الترمذي ، السنن ، أبواب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، رقم ١٠٧٢ ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .
(٥) النسائي ، السنن ، كتاب الجنائز ، باب وضع الجريدة على القبر ، رقم ٢٠٦٩ ، ج ٤ ، ص ١٠٦ .
(٦) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الزهد ، باب ذكر القبر و نعيمه ، رقم ٤٢٧٠ ، ج ٣ ، ص ٥٢٥ .
(٧) مالك ، الموطأ ، كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز ، رقم٤٧ ،ج١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ص ٢٠٦ .
(٨) { ابراهيم : ٢٧ } .

عند السامع تحضير ذهني لتلقي المعلومة ، و هذا الربط من الوسائل الناجحة في الاتصال بين المتكلم و السامع .

إن على الدعاة التسلح بمثل هذه الوسائل حتى يحسنوا عرض الاسلام ، يقول ناصر درويش : « إن الاسلام قضية عادلة ، و شريعة ماضية . بيد أنها تحتاج إلى دعاة صادقين، جمعوا إلى الفهم الصحيح للدين الحس الواعي بالحياة ، فأحسنوا الفهم ، و أجادوا العرض، فجنت امتهم من وراء ذلك الخير الكثير . أجل لقد قصم ظهري رجلان ، جاهل متنسك ، و عالم متهتك ، و ضياع الأمة بينهما لا محالة . و يقول الإمام النووي : ثم إنه إنما يأمر و ينهى من كان عالماً بما يأمر به و ينهى عنه ، و ذلك يختلف باختلاف الشيء ، فإن كان من الواجبات الظاهرة ، أو المحرمات المشهورة ، كالصلاة ، و الصيام ، و الزكاة ، و الزنا ، و الخمر ، و نحوها فكل المسلمين عالم بها . و إن كان من دقائق الأفعال و الأقوال و ما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام دخل فيه ، فليس لهم إنكاره بل ذلك للعلماء » (١) .

من خلال استعراض الأحاديث السابقة يتبين لنا أن النبي ﷺ كان يربط بين عنصري الزمان و المكان بعرض موضوع ، أو بيان فكرة ، و قد كان لذلك الربط أبلغ الأثر في إثراء الموضوعات - المعروضة على المخاطبين – من زواياها المختلفة ، سواءً في تحفيز ذهن المخاطب أو إعطاء الموضوع الأهمية البالغة ، أو من حيث إبراز جزئية لا تظهر إلا من خلال ذلك الربط ، كما تبين لنا أن من وسائل الاتصال الناجحة استخدام المعطيات المحيطة بالمتكلم و السامع ؛ ليبرز الموضوع و كأن له روح و جسد يتكلم بنفسه و يعبر عن ذاته .

المطلب الثالث : تفعيل واقعية الخطاب النبوى مع حال حملة الخطاب فى هذا العصر :

يعتبر هذا المطلب تنزيل لما تم ذكره في المباحث السابقة على حملة الخطاب الدعوي في هذا العصر ، فقد بينا فيما سبق كيفية خطاب النبي ﷺ للناس من حيث طرق اختيار الموضوع واختيار الموضوع المناسب للزمان المناسب ، و إعداد المادة العلمية للموضوع، و صيغة ما بال أقوام و دلالتها على حسن اختيار النبي ﷺ للموضوعات ، و السؤال الذي يطرح نفسه هل يتعامل الدعاة في هذا العصر بنفس أسلوب النبي ﷺ في

(١) ناصر درويش ، قواعد فقهية لترشيد الدعوة الإسلامية ، مكتبة سمرقند ، ط ١ ، ١٤١٢ هجري ،١٩٩١م ، ص٢١ .

الخطاب ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تكون من خلال الربط بين أسلوب النبي ﷺ من خلال ما تقدم ذكره ، و بين أسلوب الدعاة في هذا العصر .

فمن حيث الطرق السليمة لاختيار الموضوع كان النبي ﷺ يختار الموضوع من زوايا مختلفة ، من حيث الخصائص النفسية عند المخاطبين ، وقدراتهم الذهنية ، وظروف تربيتهم ، كما كان النبي ﷺ يراعي فكرة الموضوع المراد إيصالها للناس مع ربط الموضوع بالواقع ، و من زاوية قدرة الداعية ، فقد جسد النبي ﷺ الصفات التي يجب أن يتمتع بها الداعية ، من حيث الإلمام بالواقع ، و القدرة على استثمار العوامل المحيطة و ثقافة الداعية الموسوعية ، و من حيث إعداد المادة العلمية للموضوع فإن النبي ﷺ كان يرتب الموضوع حسب أهميته ، و يغلف ذلك كله بصيغ خطاب غاية في الرقة ، بحيث يصل إلى العلة الموجودة دون تجريح أو تشهير ، بأن هدفه إزالة المرض و ليس فضح الناس .

و لو قمنا بالمقارنة بين ما تم ذكره و بين أسلوب دعاة هذا العصر في الخطاب ، لوجدنا البون شاسعاً و الفرق كبيراً ، و لعل المشكلة تكمن في الفهم السقيم الذي يقود إلى أخطاء كثيرة في إيصال الفكرة إلى المخاطبين ، يقول رفاعي سرور : « و على ضوء استحالة تضييع النص القراني ، فإن محاولة الشيطان تكون بتضييع معنى النص ، بالخطأ في الفهم ، و في ذلك يقول الله تبارك و تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول وَ لا نبيّ إلا إذا تمَنَّى ألقى الشَّيْطَانُ في أمنِيَّتِهِ فيَنسَخُ اللهُ مَا يُلقِي الشَّيْطَانُ ثمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيم ﴾ (١) حيث جاء في تفسير هذه الآية ، أن الشيطان يحدث الخطأ ، إنا على لسان المبلغ ، أو في عقل من تبلغه الدعوة ، أو بتضييع آثار الفهم و الصواب للنص ، و في ذلك كان أمر الله سبحانه و تعالى : ﴿ فإذا قرَأتَ القرآنَ فاسْتعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم ﴾ (٢) ، و مع محاولة تضييع أثر الآيات القرآنية تأتي محاولة تضييع أثر الآيات الكونية ، و ذلك باعتبارها من أهم أسباب الهداية » (٣) .

إن الفهم الخاطئ من قبل الدعاة للنصـــوص الواردة عن النبي ﷺ في كيفية دعوته للناس يقود إلى فقدانهم القدرة على تلمس مواضـع الألم و علاجها ، يقول الدكتور فضـل إلهي:« إن الداعية كالطبيب فلا يقدم للمصـاب بمرض السـرطان علاج مرض السـكر ، و لا لمريض السـكر علاج مرض السـرطان ، بل يقدم لكل مريض العلاج المناسـب له . و يراعي كذلك عند تقديم العلاج القدر و الأسـلوب الملائمين لطبيعة المريض كي لا يصـير

---

(١) { الحج : ٥٢ } .
(٢) { النحل : ٩٨ } .
(٣) رفاعي سرور ، عندما ترعى الذئاب الغنم ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة ، ط ٦ ، ١٤١٢ هجري ، ١٩٩١م ، ص ٤٣ – ٤٤ .

ضـــرر العلاج أكثر من نفعه . و قد اهتم بهذا كله قدوة الدعاة و إمام الانبياء و قائد المرسلين رسولنا الكريم ﷺ . و قد تجلى هذا في سيرته المطهرة في عدة وجوه . و من تلك الوجوه :

١ – تنويع النبي الكريم ﷺ في وصاياه الكريمة .

٢ – تنويع النبي الكريم ﷺ في الإجابة رغم اتحاد السؤال .

٣ – تخصيص النبي الكريم ﷺ بعض الصحابة ببعض الأخبار دون الآخرين .

و اهتم كذلك بهذا الأمر سلفنا الصالح . و تجلى ذلك لديهم في عدة وجوه . منها ما يلي :

١ – مراعاة السلف الصالح عقول الناس عند التحدث إليهم .

٢ – تأكيد السلف الصالح على ضرورة مراعاة عقول الناس عند التحدث إليهم .

يخاطب الداعي جميع أصناف الناس .إنه يوجه الدعوة إلى أصحاب السلطة و الرعية ، و العلماء و عامة الناس ، و الأثرياء و الفقراء و المساكين ، و أصحاب المؤسسات و المصانع و العمال ، و الازواج و الزوجات . فيجب عليه أن يحدث كل طائفة من الناس بما هم في حاجة إليه و ما ينفعهم » ([1]) .

إذاً هذا حال الداعية مع المخاطبين هدفه العلاج و النصيحة ، و ليس التشهير و الفضيحة ، و إظهار المقدرة العلمية و الكلامية ، و الأصل أن يكون الدافع في ذلك كله الإخلاص ؛ كما هي حال الأنبياء .

في ضوء ما تقدم ذكره في هذا المطلب ؛ فإن تفعيل واقعية الخطاب النبوي مع حال حملة الخطاب الدعوي في هذا العصر يمكن أن نلخصه في النقاط التالية :

<u>أولاً</u> : تطوير الداعية لنفسه ، من خلال التسلح بالعلم الشرعي ، و فقه واقعه و مجتمعه الذي يعيش فيه ، مع حسن استخدام الأدوات العصرية المتاحة في الدعوة مثل الانترنت و علوم الإتصال الحديثة مثل البرمجة اللغوية العصبية ، و كتب فن الاتصال .

<u>ثانيا</u> : حسن توظيف النص القرآني و النبوي لإيصال الفكرة و الموضوع لجمهور المخاطبين <u>ثالثاً</u> : استخدام عناصر الزمان و المكان و توظيفهما لخدمة الموضوع المطروح و إثراءه <u>رابعاً</u> : البعد عن الطرح المباشر عند الخطاب ، و استخدام صيغ الخطاب التي

([1]) د. فضل إلهي ، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين ، مؤسسة الجريسي ، الرياض، ط١ ، ١٤١٩ هجري ، ١٩٩٨ م ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

كان يستخدمها النبي ﷺ ، مثل : ما بال أقوام ، ما بال أناس ، و غيرها من الصيغ غير المباشرة.

خامساً : الإخلاص في الدعوة ، و أن يكون الهدف إصلاح المجتمع و ليس المصالح الشخصية و الذاتية .

الفصل الثاني

خطاب الناس على اختلاف فئاتهم في ضوء الهدي النبوي

إن من ميزات الخطاب النبوي صلاحيته لكل زمان و مكان ، و مرونته ، بحيث يخاطب العالم و الجاهل ، و الكبير و الصغير ، و الذكر و الأنثى ، و يستوعب المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة ، و تجد في ثنايا العلاج للمشكلات التي تواجه الفرد على الصعيد الشخصي و المجتمعي ؛ و لذلك فإن الواجب على الدعاة في هذا العصر فهم الخطاب النبوي فهما صحيحا، و الانطلاق من هذا الفهم في دعوة فئات المجتمع على اختلافها ن بحيث نخاطب العالم بطريقة تختلف عن خطاب الجاهل ، و نخاطب المرأة بطريقة تتناسب مع طبيعتها و قدرتها ، و نخاطب الطفل بوسائل تتوافق و براءته و نقاء فطرته .

و لعلنا في المباحث الآتية من هذا الفصل نحاول الوصول إلى طريقة الخطاب الصحيحة لكل فئة على ضوء ما سنذكره من أحاديث نبوية .

المبحث الأول

خطاب العالم

خاطب النبي ﷺ عقول العلماء فرفع مستواها في التفكير ، و ضرب لهم الأمثلة فتشربتها أفئدتهم ، و دعاهم إلى التأمل في عظيم صنع الله في الكون فحلقت أرواحهم في عالم الملكوت و لا بد لنا من اقتفاء آثار النبي ﷺ في خطاب العالم ؛ فنخاطب عقولهم و نحلق بأرواحهم ، و نضعهم في المكانة الرفيعة التي وضعهم فيها الشارع الحكيم ، و في المبحث الآتي محاولة للوصول إلى شيء مما تقدم ذكره .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([1]) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال : اتق دعوة المظلوم ؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب.
التخريج : أخرجه مسلم ([2]) ، و الترمذي ([3]) ، و النسائي ([4]) .

دلالة الحديث :

بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن و هو من علماء الصحابة ؛ ليدعوهم إلى الإسلام ، و نلاحظ بأن أول كلمة وجهها له " اتق " ، يقول الإمام النووي :« فيه بيان عظم تحريم الظلم ، و أن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته و يأمرهم بتقوى الله و يبالغ في نهيهم عن الظلم و يعرفهم قبح عاقبته » ([5]) .

و قول الإمام النووي هذا يدل دلالة واضحة على أهمية عدم الانفصام بين العلم و العمل بالنسبة للعالم ، فنحن نستطيع القول بأن أول مفردات الخطاب التي يوجهها النبي ﷺ للعالم تحقيق التوازن في حياته و تكوين الثبات في شخصيته ، من خلال تطبيقه العملي لما يقول .

([1]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المظالم ، باب الاتقاء و الحذر من دعوة المظلوم، رقم ٢٤٤٨ ، ج٦ ، ص٣٠٦٩.
([2]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين ، رقم ١٢١ ، ج٢ ، ص ٤٧ .
([3]) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في دعوة المظلوم ، رقم ٢٠١٤ ، ج٣ ، ص ٥٤٢ .
([4]) النسائي ، السنن ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، رقم ٢٤٣٥ ، ج٥ ، ص ٣ – ٤ .
([5]) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ([٢]) ، قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ، و قال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما – فحرك شفتيه – فأنزل الله تعالى :﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتعْجَلَ به ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقرانهِ ﴾ ([٣]) ، جمعه و قرانه ، قال : جمعه لك في صدرك و تقرأه ﴿ فإذا قَرَأناهُ فاتَّبعْ قرانه ﴾ ([٤]) قال : فاستمع له و أنصت ﴿ ثمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيَانهُ ﴾ ([٥]) ثم إن علينا أن تقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبيﷺ كما قرأه .

التخريج : و أخرجه مسلم ([٦]) .

دلالة الحديث :

نلاحظ من خلال التمعن في هذا الحديث أن ابن عباس يستخدم التطبيق العملي في نقل المعلومة إلى المتلقي ، و ابن عباس - هو ترجمان القرآن - أي أنه من علماء الصحابة، وهو ينقل هذا الحديث عن النبي ﷺ ، و هذا يدل على أن النبيﷺ كان يخاطب علماء الصحابة بطرق متعددة، ومنها التطبيق العملي للمعلومة المراد إيصالها ، و هذا يعتبر من وسائل الإتصال الناجحة و الفعالة التي تعمل على ترقية شخصية العالم ، جاء في كتاب البرمجة اللغوية العصبية و فن الإتصال اللامحدود : « إن الجسم و العقل يؤثر كل منهما على الآخر : إن وجوهنا و حركات أجسامنا مرآة لأفكارنا ، و العكس صحيح » ([٧]) .

إذن يتعاضد العلم الحديث مع الحديث النبوي في أهمية تأثير الجسم على العقل و العكس كما فعل النبي ﷺ مع ابن عباس في الحديث السابق .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا موسى بن اسماعيل ، رقم ٥ ، ج ١ ، ص ٣٩ – ٤٠ .

([٢]) { القيامة : ١٦ } .

([٣]) { القيامة : ١٦ – ١٧ } .

([٤]) { القيامة : ١٨ } .

([٥]) { القيامة : ١٩ } .

([٦]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة ، رقم ٤٤٨ ، ج٣ ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

([٧]) د. ابراهيم الفقي ، كتاب البرمجة اللغوية العصبية و فن الاتصال اللامحدود ، المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية ، كندا ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .

<u>الحديث الثالث</u> :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([١])([٢]) و اللفظ لمسلم ، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ قال : إذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أصاب فله أجران ، و إذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أخطأ فله أجر .

<u>التخريج</u>: و أخرجه و الترمذي ([٣]) ، و النسائي ([٤]) ، و ابن ماجه ([٥]) ، و أحمد ([٦]) .

<u>دلالة الحديث</u> :

يعتبر هذا الحديث دعوة صريحة من النبي ﷺ لعلماء الأمة ؛ لبذل خالص الجهد و عصارة الذهن للوصول إلى الحكم الصحيح في المسائل المطروحة أمامهم ، فالنبي ﷺ لا يريد من علماء الأمة اللذين يملكون أدوات الاجتهاد أن يعطلوا عقولهم ، و يرددوا أقوال من سبقهم دون تمحيص أو تدقيق ؛ ولذلك يضع النبي ﷺ الحوافز لمن أصاب بأن له أجران . قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث « و قال الخطابي في معالم السنن : إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعا لآلة الاجتهاد ، فهذا الذي نعذره بالخطأ ، بخلاف المتكلف فيخاف عليه ، ثم إنه يؤجر الحاكم لأن اجتهاده في طلب الحق عباده » ([٧]) .

فقول الخطابي : " يؤجر العالم لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة " ، يدل على أهمية اجتهاد العالم في الوصول إلى الحقيقة ؛ لأن الناس سيهتدون بقوله فيما يعرض له ، « فإذا وقعت حادثة و عرضت على جميع المجتهدين من الأمة الإسلامية وقت حدوثها و اتفقوا على حكم فيها سمي اتفاقهم إجماعاً ، و اعتبر إجماعهم على حكم واحد فيها دليلا على أن هذا الحكم ، هو الحكم الشرعي في الواقعة » ([٨]) ، و هذا يبين أهمية الاجتهاد في الوصول إلى الصواب و الحق ؛ لأن إجماع المجتهدين على حكم واحد يعتبر ملزما للمسلمين

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الاعتصام ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، رقم ٧٣٥٢ ، ج١٥ ، ص ٩١١٨ .
([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم ، رقم ٤٤٦٢ ، ج ٦ ، ص ٢٩٣ .
([٣]) الترمذي ، السنن ، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في القاضي يصيب و يخطأ ، رقم ١٣٢٦ ، ج٣ ، ص ٨ .
([٤]) النسائي ، السنن ، كتاب آداب القضاة ، باب الإصابة في الحكم ، رقم ٥٣٨١ ، ج٨ ، ص ٢٢٣ .
([٥]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ، رقم ٢٣١٤ ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .
([٦]) أحمد ، المسند ، رقم ١٧٧٠٢ ــ ١٧٧٤٣ ، ج ١٣ .
([٧]) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مجلد ١٥ ، ص ٩١١٨ ــ ٩١١٩ .
([٨]) عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه و خلاصة التشريع الإسلامي ، دار القلم ، ط٨ ، ص ٤٥ .

في تطبيق ما اتفق عليه المجتهدين ؛ لذلك أكد النبي ﷺ على وجوب تحري الحق و الصواب ، فقال : " فله أجران " .

الحديث الرابع :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (١)(٢) و اللفظ لمسلم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ؛ فإن منهم الضعيف ، و السقيم ، و الكبير ، و إذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء .

التخريج : وأخرجه النسائي (٣)، ومالك (٤) ،وأحمد (٥) ،وعبد الرزاق (٦) ، و البغوي (٧) .

دلالة الحديث :

يخاطب النبي ﷺ من يؤم الناس ، طالبا مراعاة واقعهم و اختلاف قدراتهم ، و هذا جانب مهم من جوانب شخصية العالم يعمل النبي ﷺ على تنميته ؛ فالعالم يتعامل مع الحدث بجوانبه المختلفة بحنكة و مهارة ، دون ترك الأصول و الضوابط ، و نلاحظ بأن النبيﷺ ميز بين قضيتين ، فقال : إذا صلى أحدكم للناس ، ثم قال : " و إذا صلّ أحدكم لنفسه " ، أي أن الناس متفاوتون في قدراتهم ، و عقولهم ،وظروفهم . يقول روجيه جارودي : « القرآن الكريم يتكلم إلى الشعوب بلغتهم ،على مستوى فهمهم ،حتى تكون الرسالة مسموعة » (٨) . و لا شك أن توجيه النبي ﷺ مستمد من القرآن و من السنة التي أوحى الله بها إليه ؛ و لذلك فإن فقه الواقع و إلمام العالم به من أهم أسباب نجاحه في دعوته .

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ، رقم ٧٠٣، ج ٢، ص١٠٢٧ .

(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة في تخفيف الصلاة في تمام ، رقم ٤٦٧ ، ج ٣ ، ص٢٨٠ .

(٣) النسائي ، اسنن ، كتاب الإمامة ، باب ما على الإمام من التخفيف ، رقم ٨٢٣ ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٤) مالك ، الموطأ ، كتاب الصلاة ، باب العمل في صلاة الجماعة ، رقم ١٣ ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٥) أحمد ، المسند ، رقم ٧٦٥٤ ، ج ٧ ، ص ٣٩١ ، رقم ١٠٢٥٥ ، ج٩ ، ص ٤٤١ .

(٦) عبد الرزاق ، المصنف ، كتاب الصلاة ، باب تخفيف الإمام ، رقم ٣٧١٢ ، ٣٧١٣ ، ٣٧١٤ ، ٣٧١٥ ، ج٢ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

(٧) البغوي ، شرح السنة ، كتاب الصلاة ، كتاب الصلاة ، رقم ٨٤٢ – ٨٤٣ ، ج٣ ، ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٠ هجري ، ط٢ ، ١٤٠٣ هجري ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و زهير الشاويش ، ص ٤٠٧ – ٤٠٨ .

(٨) روجيه جارودي ، كتاب الإسلام ، ترجمة وجيع أسعد ، دار عطية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ ، ص٩٩ .

الحديث الخامس :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (١) عن أنس بن مالك ، قال النبي ﷺ لأبي : إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (٢) قال : و سمّاني ؟ قال : نعم . فبكى .

التخريج : و أخرجه مسلم (٣) ، و الترمذي (٤) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث إشارة واضحة من النبي ﷺ إلى أهمية توقير و تكريم العالم ؛ لأنه صمام الأمان بالنسبة للأمة ، و لذلك خصّ الله تعالى أبي بن كعب - و هو من حفظة القرآن و كتبة الوحي – بسورة معينة يقرؤها النبي ﷺ عليه ؛ فالمجتمع بشكل عام مطالب بتوقير العالم ؛ لأن في ذلك شحذ لذهنه و إبرازٌ لطاقاته ، يقول الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل علي: « و منذ ما يقرب من ثلاثة قرون من الزمان ، أخذت كثرةٌ من البلدان الإسلامية ، تسقط واحدة تلو الأخرى تحت براثن قوى هيمنة و تسلط و استغلال جاءت من الغرب ، حيث وجدت الطريق أمامها يكاد أن يكون ممهداً بفعل ما كانت عليه البلاد الإسلامية من تخلف حضاري و كأن السنة الإلهية المعروفة في حركة الرياح هي نفسها السنة الإلهية في حركة الحضارات ، فكما أن الرياح تهب من مناطق الضغط الجوي المرتفع إلى مناطق الضغط الجوي المنخفض ، كذلك فإن الحضارة تهب من البلدان المتقدمة على البلدان المتخلفة ... إلى أن يقول : و إذا كان التخلف يقاس بمظاهر و معايير كثيرة أهمها ضعف مستوى الإنتاج و أدواته .... إذا كان التخلف يقاس بهذا كله و غير هذا كله ؛ فإنه في الأول و الآخر – بل قبل هذا و بعد هذا – هو تربية المجتمع و تربية الفرد الذي يقصر علمه و خلقه و إيمانه و عمله و علاقاته عن مواجهة تحديات الحياة ، و عن استثمار

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب أبي بن كعب ، رقم ٣٨٠٩ ، ج٨ ، ص٤٣٨٦.
(٢) { البينة : ١ } .
(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل و الحذاق فيه ، رقم ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ج٤ ، ص ١١٤ – ١١٥ .
(٤) الترمذي ، السنن ، باب فضل أبي بن كعب ، رقم ٣٧٩٢ ، ٣٨٩٨ ، ج٦ ، ص ١٩٠ .

إمكانات عقيدته و طاقات بلاده و قدراته الشخصية لمصلحة الأمة إلى أقصى حد ممكن » (١) .

و لا شك أن أكثر الأفراد في المجتمع استثماراً لعلمه و عمله و طاقاته هو العالم ، و هو الذي يستطيع استثمار طاقات بلاده على الوجه الأكمل ، و لكن لن نصل إلى هذه النتيجة إلا بتحفيز العالم و تهيئة الأسباب التي تعينه على ذلك ؛ و لذلك التفت النبي ﷺ إلى هذه الناحية كما في حديث أبي السابق .

من خلال ما تقدم ذكره من الأحاديث في هذا المبحث يتبين لنا عمق الخطاب النبوي الموجه إلى العالم ، من حيث تنمية شخصيته ،و تطويرها إلى مستوى المهمة التي ستقوم بها ، و الواجبات المترتبة عليها ، و كذلك المكانة المتميزة للعالم في خطاب النبيﷺ ؛ لأنه يمثل واجهة الأمة و القائد الروحي لها ، و لو قارنا بين كيفية خطاب النبي ﷺ الموجه للعالم ، و الخطاب الموجه له في هذا الزمان لوجدنا بوناً شاسعاً من حيث :

أولاً : عدم وجود الحوافز للعالم في هذا الزمان و عدم وضعه في المكانة التي وضعه النبي ﷺ فيها .

ثانياً : التركيز على الأمور النظرية و الشكلية من قبل كثير من العلماء دون إيلاء الجانب التطبيقي العناية الكافية،مع أن أول كلمة وجهها النبيﷺ لمعاذ،هي كلمة (اتقِ) والتي تقوم في جوهرها على الانسجام بين القول و العمل، كما بينا في الحديث الأول .

ثالثاً : الانفصال بين العلماء و بين الواقع الذي يعيشونه في كثير من الفتاوى التي تصدر،و التي لا تراعي روح النص و المقاصد الشرعية .

رابعاً : تصدر الكثير لمجالس الفتوى و التدريس ، و إطلاق لفظ العالم عليهم مع أنهم لا

يستحقونه ؛ لأنهم لا يملكون أدوات الاجتهاد التي تؤهلهم لاستحقاق هذا اللقب فلذلك يحصل الخلط في كثير من الأمور ، و يتخبط الناس في الفتاوى التي تصدر عن أمثال هؤلاء ، و ما فتن التكفير عنا ببعيد .

---

(١) أ.د. سعيد اسماعيل علي ، كتاب الأمة ، الخطاب التربوي الإسلامي ، ط١ ، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، قطر .

المبحث الثاني

خطاب الجاهل

الكأس الفارغ يختلف عن الكأس الممتلئ ، ما أشبه واقع الجاهل بهذا التمثيل ، فالجاهل يمثل الكأس الفارغ الذي نستطيع أن نملئه بالفائدة و المعرفة إذا أحسنا توجيه الخطاب له ، كما كان النبي ﷺ يفعل فيأخذ بيد الجاهل ، و يفتح له آفاق المعرفة و العلم ، بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و سنعرض في هذا المبحث شيء من الأحاديث التي تخاطب الجاهل و نقارنها مع واقعنا في الخطاب .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([1])([2]) و اللفظ لمسلم ، عن مالك بن الحويرث ، قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومه ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، و كان حليماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا ، قال:ارجعوا فكونوا فيهم ،وعلموهم ،وصلوا، فإذا حضرت الصلاة ؛ فليؤذن لكم أحدكم ،وليؤمكم أكبركم .

التخريج : و أخرجه أبو داود ([3]) ، و الترمذي ([4]) ، و النسائي ([5]) .

([1]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد ، رقم ٦٢٨ ،ج٢ ،ص٩١٤ .

([2]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٥٣٣ ،ج٣،ص ٤٧٧.

([3]) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٥٩٠ ، ج١ ، ص ٤٢٩ .

([4]) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الأذان في السفر ، رقم ٢٠٥ ، ج١ ، ص ٢٤٦ .

([5]) النسائي ، السنن ، كتاب الأذان ، باب اجتزاء المرء بأذان غيره في الحضر ، رقم ٦٣٥ ، ج٢ ، ص ٩ .

<u>دلالة الحديث:</u>

في هذا الحديث يعلم النبي ﷺ مالك بن الحويرث و نفر من قومه كيفية أداء الصلاة ومن أحق بالإمامة ، و نلاحظ قول مالك بن الحويرث : "و كان رحيماً رفيقاً " ، إذن أول مدخل إلى قلب الإنسان الجاهل الرحمة و الرفق ؛ ليتمكن صاحب الدعوة من إيجاد الآذان الصاغية لدعوته ، يقول الدكتور محمد علي الهاشمي « و من أسلوب الداعية الحكيم اللبق الكيّس الفطن الأريب أن يترفق بمن يدعوهم ، و يصبر على جهلهم و أخطائهم و أسئلتهم الكثيرة المملة ، و بطئهم في الفهم و الاستيعاب ، متأسياً في ذلك كله بسيد الدعاة و خاتم النبيين ﷺ ، الذي كان يفسح صدره للسائلين و يتلطف في إجابتهم و تعليمهم ، و يقبل عليهم إقبال المحب المرشد المؤنس المسدد المعلم ، و لا يزال يشرح لهم المسألة حتى يفهموها و ينصرفوا جذلين مغتبطين فاهمين مقتنعين » ([١]) ، إذاً هكذا يعلم النبيﷺ الجاهل ، و يقبل عليه ، و يحاول أن يوصل إليه المعلومة و يرسخها في ذهنه و عقله ، بأبسط الطرق و أيسرها .

<u>الحديث الثاني :</u>

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([٢]) عن عائشة قالت : أتى رجل النبيﷺ في المسجد فقال : احترقت ، قال : مما ذاك ؟ قال : وقعت بامرأتي في رمضان ، قال له: تصدق، قال : ما عندي شيء . فجلس ، وأتاه إنسان يسوق حماراً و معه طعام ، قال عبد الرحمن أحد رواة الحديث : ما أدري ما هو – إلى النبي ﷺ فقال : أين المحترق ؟ فقال : ها أنا ذا ، قال: خذ هذا فتصدق به ، قال : على أحوج مني ؟ ما لأهلي طعام ، قال : فكلوه .

<u>التخريج</u> : و أخرجه مسلم ([٣]) .

<u>دلالة الحديث :</u>

([١]) د. محمد علي الهاشمي ، شخصية المسلم ، وكالة المطبوعات و البحث العلمي في وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ص ٢٣٩ .

([٢]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الحدود ، باب من أصاب ذنباً دون الحد ، فأخبر الإمام ، رقم ٦٨٢٢ ، ج١٤ ، ص ٨٣٣١ .

([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الصيام ،

يعتبر هذا الحديث مثالاً آخر على تعليم النبي ﷺ للجاهل ، حيث يوجه النبيﷺ رجلاً وقع بامرأته في رمضان و هو لا يعلم ما يترتب عليه ، فيبين له النبي ﷺ الحكم المترتب عليه بسلاسة و دون تعنيف و لا شتم و لا سب ، فلو استعرضنا الواقعة السابقة لوجدنا ذلك الرجل يعبر عما وقع به بقوله :احترقت ، أي أنه بلغ الغاية في الجرم ،و لكن النبي ﷺ يجيبه قائلاً :

" تصدق " ؛ أي أنه امتص حرقة ذلك الرجل و لم يكتفِ بذلك بل يتصدق بالكفارة التي أعطاه إياها من أموال الصدقات على أهل بيت ذلك الرجل ، و يعتبر هذا الفعل قمة الحكمة في التعامل مع الجاهل ، و عند مقارنة فعل النبي مع هذا الرجل الجاهل، بطريقة خطابنا للجاهل في هذا العصر ، نجد الفرق كبيراً بين ردة فعل النبي ﷺ و ردود أفعالنا ، فلو وقعت نفس الحادثة في هذا الزمان لرمي ذلك الرجل بالفسق و الفجور و ربما الكفر ؛ و لذلك يجب على المسلم أن يتعلم من مثل هذه الوقائع فقه دعوة الجاهل ، يقول محمد الغزالي « إن الأجيال المنتمية للإسلام في هذا العصر تنقصها التربية النفسية و الفكرية التي برز فيها السلف الأول، و أضحوا بها قادة ترنوا لهم الدنيا بإعجاب و حفاوة » ([1]) ، لقد وضع الشيخ محمد الغزالي يده على الجرح عندما قال عن الأجيال المنتمية إلى الإسلام في هذا العصر بأنها تنقصها التربية النفسية و الفكرية ؛ و لذلك لا بد لنا أن نتعلم من الرسول الكريم ﷺ ردود الأفعال السليمة في المواقف المختلفة كما هو في الحديث السابق ذكره .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([2]) ،عن معاوية بن حكم السلمي ؛ قال : بين أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكنني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي هو و أمي ، ما رأيت معلماً قبله و لا بعده أحسن تعليماً منه ، فوا الله ما كهرني و لا ضربني و لا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيح و

([1]) محمد الغزالي ، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة و النشر و الترجمة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ص ٧٣ .

([2]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، رقم ١١٩٩ ، ج٣ ، ص ٣٤٢ .

التكبير و قراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ . قلت : يا رسول الله : إني حديث عهد بجاهلية و قد جاء الله بالإسلام ، و إن منا رجالاً يأتون الكهان ، قال : فلا تأتهم، قلت : و منا رجال يتطيرون ، قال : ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم .

التخريج : و أخرجه أبو داود (١) ، و النسائي (٢) ، و أحمد (٣) .

الحديث الرابع :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٤) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن أعرابياً بال في المسجد ، فقاموا إليه ، فقال رسول ﷺ : لا تزرموه ، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه .

غريب الحديث : لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله (٥) .

التخريج : و أخرجه مسلم (٦) ، و الترمذي (٧) ، و النسائي (٨) ، و ابن ماجه (٩) ، و أحمد (١٠) .

دلالة الحديثين :

---

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب تشميت العاطس ، رقم ٩٢٧ ، ج٢ ، ص ٣٢ – ٣٣ .
(٢) النسائي ، السنن ، كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة ، رقم ١٢١٨ ، ج٣ ، ص ١٤ – ١٥ – ١٦ – ١٧ .
(٣) أحمد ، المسند ، رقم ٢٣٦٥٢ ، ٢٣٦٥٥ ، ٢٣٦٥٦ ، ج١٧ ، ص ١٠٩ – ١١٠ – ١١١ .
(٤) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، رقم ٦٠٤٥ ، ج١٢ ، ص ٧٢٢٠ .
(٥) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٢ ، ص ٧٢٢٠ .
(٦) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول و غيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم ٦٥٧ ، ج٣ ، ص ٨٣ .
(٧) الترمذي ، السنن ، أبواب الطهارة ، باب ما جاء في البول يصيب الأرض ، رقم ١٤٧ ، ج١ ، ص ١٩٢ .
(٨) النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب التطهير بالماء ، رقم ٥٣ – ٥٤ – ٥٥ ، ج١ ، ص ٤٧ – ٤٨ .
(٩) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ، رقم ٥٢٨ ، ج١ ، ص ٢٢٤ .
(١٠) أحمد ، المسند ، رقم ١٢٦٤٥ ، ج ١٠ ، ص ٥٤٠ ، و رقم ١٣٣٠١ ، ج ١١ ، ص ١٦١ .

نستطيع فهم الحديثين السابقين في ضوء قول الله عز و جل :﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) ، يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية : « هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش ، و أمره أن يدعو إلى دين الله و شرعه بتلطف و لين دون مخاشنة و تعنيف ، و هكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة . فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ، و منسوخة بالقتال في حق الكافرين » (٢) .

فالنبيﷺ يطبق هذه الآية تطبيقاً عملياً كما في قصة معاوية بن حكم السلمي و قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ؛ و لذلك نجد معاوية بعدما وجد لين الجانب من النبي ﷺ استمر في السؤال و التعلم؛ فسأل عن الكهانة و التطير ، و لو كانت ردة فعل النبي ﷺ كردة فعل الصحابة لما استمر معاوية في السؤال ، و لما تحققت له تلك الفوائد ، و كذلك الإعرابي لو وجد قسوة من النبي ﷺ لما دخل في هذا الدين ، و هكذا ينبغي علينا في هذا الزمان أن نتعامل مع الجاهل و نأخذ بيده إلى أبواب المعرفة و العلم كما فعل النبي ﷺ مع معاوية و الأعرابي ؛ فإننا لو استعرضنا واقع الخطاب مع الجاهل في هذا العصر ، لوجدنا فرقاً كبيراً بين خطابنا و خطاب النبي ﷺ ، إذ أن كثيراً من المتصدرين للدعوة في هذا الزمان جاهزون لرمي الناس بالكفر و الفسق و الفجور ، بينما نجد النبي ﷺ من خلال الأحاديث التي بيناها سابقا في هذا المبحث ينتقي الكلمات انتقاءً ، و يتلمس مواضع الخلل بحنو الأب و حرص الطبيب .

يقول الدكتور ابراهيم الفقي : « اكتشف البرمهاربيان و هو أستاذ في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، و مؤلف كتاب البلاغ الصامت أحد المفاهيم البارعة للاتصال ، و من هذه المفاهيم اللفظي : لا تمثل العملية اللفظية سوى ٧ % من عملية الإتصال . و في رأي مها رابيان ليس للكلمات أي معنى سوى المعنى الذي نعطيه لها ، و الكلمات ليست لها أي طاقة غير التي ندخلها فيها . و في الحقيقة ، لا تستطيع التحكم في إدراك الآخرين العقلي و تفهمهم وفقا لتحليلك الشخصي ، و لا تزيد أهمية الكلمات عن ٧ % فعلا ، إلا أنها قد تبلغ ١٠٠ % عند الشخص الآخر ؛ لذلك اختر كلماتك بعناية » (٣) .

---

(١) { النحل : ١٢٥ } .
(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، تحقيق سالم مصطفى البدوي ، ص ١٣١ .
(٣) د.ابراهيم الفقي ، البرمجة اللغوية العصبية و فن الإتصال اللامحدود ، ص ١٢٩ .

من خلال هذا النقل من كتاب متخصص في مهارات الاتصال ، نجد أهمية اختيار الكلمات و بخاصة إذا كان الهدف تعليم الجاهل ، و ترسيخ المعلومة في ذهنه ، و جذبه إلى هذا الدين ، و هذا ما كان يفعله النبي ﷺ .

الحديث الخامس :

قال أحمد (١) : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حريز حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : « إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه ، فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .

دراسة الإسناد :

يزيد بن هارون :جاء في التقريب : ثقة ، متقن ، عابد (٢) ، قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: كان حافظاً ، متقناً للحديث . قال يحيى بن نعيم : ثقة (٣) . حريز بن عثمان : ثقة ثبت رمي بالنصب (٤) . سليم بن عامر : ثقة من الثالثة ، غلط من قال : أنه أدرك النبي ﷺ (٥) .

درجة الحديث : صحيح .

دلالة الحديث :

(١) أحمد ، المسند ، رقم ٢١٨٣٦ ، ج ٦ ، ص ٣٤٢ ، و قد انفرد به أحمد .
(٢) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ١٠٨٤ .
(٣) المزي أبو الحجاج ، تهذيب الكمال ، ج ٨ ، ص ١٥٥ .
(٤) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ٢٣١ .
(٥) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ٤٠٤ .

في هذا الحديث يأتي شابٌ قد سيطرت عليه الشهوة إلى النبي ﷺ و يستأذنه في الزنا ، و هذا دليل على جهله بحرمة الزنا و خطورته ، فما هو الأسلوب الذي اتبعه الرسول ﷺ في تعليمه لهذا الجاهل ؟ إنه أسلوب المحاورة و المناظرة و ما يسمى في كتب التربية بالحوار الحواري الإقناعي ، جاء في كتاب أصول التربية الإسلامية : « كان رسول الله ﷺ يحاور في سبيل الإقناع و إقامة الحجة ، فقد أراد شخص أن يدخل في الإسلام ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يبيح له الزنا ، فقال له الرسول ﷺ ما معناه : " ألك أم ؟ " قال نعم ، " ألك أخت ؟ " قال نعم ، ثم قال : أتريد أن يزنى بأمك ، قال : لا ، و هنا أقلع الرجل عن هذا الخلق الدنيء ، و تم إقناعه بترك الزنا عن طريق هذا الحوار النبوي ، الذي يتضمن قياس معاملة الغير على معاملة النفس ، و أن يترك الإنسان أذى الآخرين ، ما دام لا يريد أن يؤذيه الآخرون ..... هذا الحوار الإقناعي يقوم على سؤال المتعلم أو المخاطب عما يعرفه بالحس أو البداهة ، ثم يبني السائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر ، حتى يصل إلى الإقناع بكل ما يريد تعليمه إياه أو إقناعه به ، فقد كان حوار رسول الله ﷺ حواراً تدريجياً ...... و هكذا كان الحوار الاستجوابي في التربية الإسلامية بعد قراءة القرآن ، من الوسائل الناجحة لإقناع من يرجى إسلامه من المفكرين و العقلاء ، و هو وسيلة ناجحة في التدريس ، و ما زال من أفضل الوسائل المتبعة إلى يومنا ، إنه وسيلة للتعليم و الإقناع ، و إلزام الخصم بالحجة » (١) .

لقد لاحظنا في هذا الحديث أن النبي ﷺ سأل ذلك الشاب مجموعة من الاسئلة التي تثير كوامن الغيرة في داخل نفسه ، فسأله : أترضاه لأمك ، لابنتك ، لأختك ، ..... ، فتدرج معه من الأقرب إلى الأبعد ، كل ذلك ليرسم صورة في ذهنه تثير اشمئزازه من الزنا و الاقتراب منه ، فكما أنه لا يرضى الزنا لعرضه ، كذلك الناس لا يرضونه لأعراضهم ، و لقد لا حظنا الفرق بين أسلوب النبي ﷺ و أسلوب أصحابه - رضي الله عنهم - ، فالصحابة زجروه ، و النبي ﷺ حاوره بهدوء و رفق ، و دعا له .

إن النبي ﷺ يعرض دعوته عرضاً مقنعاً ، و بأسلوب سلس ، مستمداً ذلك من منهج القرآن العظيم ، فالقرآن يعرض المعتقدات الإسلامية من خلال لفت الأنظار إلى الواقع المحسوس حتى يوصل الناس إلى التأمل فيما حولهم ، و في أنفسهم ، تأملاً يوصلنا إلى معرفة الله و قدرته و وحدانيته وفقاً لطبيعتنا النفسية و فطرتنا الدينية ، فالباحث المنصف

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٢٢ هجري ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

إذا تأمل كلام الله يلاحظ كيف يلفت القرآن نظر الإنسان إلى نفسه ليرى كيف أن الله خلقه من علق ، وعلمه الكتابة و القراءة ، و استخدام الكائنات ، و جعله قابلاً للتعلم ، و كيف خلقه و كونه في رحم أمه أطواراً و مراحل حتى تكامل خلقه ، ثم ولد لا يعلم شيئاً ، فشبَّ حتى أصبح خصيماً مبينا .

إن هذا الأسلوب الاستجوابي الحسي العاطفي ، الذي يخاطب العقل و الوجدان و يحرك دمع العين مع نبضات القلب ، و تصورات الفكر و الجنان ، يدفع المعرفة لتصبح حركة فكرية و عاطفية ، تجعل الإنسان يتجه إلى العبادة و العمل الإسلامي المثمر في إعمار الكون ، و تحقيق عدل الله و شريعته في الحياة الإنسانية (١) .

---

(١) انظر غير مأمور ، أصول التربية الإسلامية و أساليبها ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هجري ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٩ .

المبحث الثالث

خطاب المتعنت

مفهوم المتعنت : نستطيع فهم هذا المصطلح في ضوء قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) ، يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة « و لو شاء الله لحرم ما أحله لكم من مخالطة أيتامكم بأموالكم أموالهم ، فجهدكم ذلك و شق عليكم ، و لم تقدروا على القيام باللازم لكم من حق الله تعالى و الواجب عليكم في ذلك من فرضه ، و لكنه رخص لكم فيه وسهله عليكم ، رحمة بكم و رأفة،و جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى الآية : و لو شاء الله لأحرجكم ، فضيق عليكم ، و لكنه وسع و يسر ، و كذلك جاء عن السدّي : يعني لشدد عليكم ، و قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأعْنتكُمْ ﴾ قال : لشق عليكم في الأمر ، ذلك العنت .

و هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرت عنه ، و إن اختلفت ألفاظ قائليها فيها ، فإنها متقاربات المعاني ، لأن من حُرّم عليه شيء فقد ضُيِّق عليه في ذلك الشيء، و من ضُيِّق عليه في شيء ، فقد أحرج فيه ، و من أحرج في شيء أو ضيق عليه فيه فقد جهد ، و كل ذلك عائد إلى المعنى الذي وصفت من أن معناه الشدة و المشقة ، و لذلك قيل : عنت فلاناً : إذا شق عليه و جهده » (٢) .

في ضوء ما تقدم ذكره ، و في تفسير الآية الكريمة ، يتجلى لنا معنى المتعنت ؛ و أنه الذي يطلب المشقة و الجهد و التضييق من خلال لجاجته و كثرة سؤاله في غير فائدة ، و نذكر فيما يأتي بعض الأحاديث التي وردت في المتعنت :

<u>الحديث الأول</u> :

---

(١) { البقرة : ٢٢٠ } .
(٢) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ، ج٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢١ هجري ، ٢٠٠١ م ، ضبط و تعليق محمود شاكر ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠ .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (١) عن أبي موسى قال : سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها ، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس : سلوني عما شئتم ، قال رجل : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، فقام آخر فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال : أبو سالم مولى شيبة ، فلما رأى عمر ما في وجهه، قال : يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز و جل .

التخريج : و أخرجه مسلم (٢) ، و الترمذي (٣) ، و أحمد (٤) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يكثر بعض الناس سؤال النبي ﷺ ما لا فائدة فيه ، فلما رأى النبي ﷺ منهم ذلك قال : سلوني ما شئتم ؟ على سبيل الغضب من كثرة السؤال ؛ و لذلك يقول أبو موسى راوي الحديث : فلما أكثر عليه غضب ، فالمتعنت ينبغي أن تبين له الحجة و الدليل في المسألة فإذا استمر في السؤال على سبيل اللجاجة و الإلحاح ، فالأصل الإعراض عنه ، كما فعل عمر بن الخطاب في نفس الحديث حيث قال : يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل ، فهو إعراض عن المستمرين في المجادلة بغير حق ، و لننظر في هذا الكلام النفيس لابن تيميه حيث يقول : و قوله : ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ (٥) ، إشارة إلى اتباع الشبهات ، و هو داء المبتدعة وأهل الأهواء و الخصومات . و كثيراً ما يجتمعان ، فقل من تجد في اعتقاده فساداً إلا وهو يظهر في عمله » (٦).إذن أهل الأهواء والخصومات يتبعون الشبهات ، و هذا هو حال المتعنتين .

الحديث الثاني :

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة و التعليم إذا رأى ما يكره ، رقم ٩٣ ، ج١ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ و ترك إكثار سؤاله ، ما لا ضرورة إليه أو ما لا يتعلق به تكليف و ما لا يقع ، و غير ذلك ، رقم ٦٠٧٨ ، ج٧ ، ٤٥٠ – ٤٥١ .

(٣) الترمذي ، السنن ، كتاب التفسير ، باب و من سورة المائدة ، رقم ٣٠٥٦ ، ص ١٤٥ .

(٤) أحمد ، المسند ، رقم ١٢٥٩٦ ، ١٢٧٢٢ ، ١٢٧٥٦ ، ج١١ ، ص ١١ – ١٥ .

(٥) { التوبة : ٦٩ } .

(٦) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخافة أصحاب الجحيم ، ج٢ ، من مطبوعات وزارة الأوقاف السعودية ، تحقيق و تعليق د. الصر العقل ، ط٧ ، ص ١٢١ .

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما ([١])([٢]) و اللفظ لمسلم ، عن أبي ذر قال : أتيت النبي ﷺ و عليه ثوب أبيض و هو نائم ، أتيته و قد استيقظ ، فقال : ما من عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك ؛ إلا دخل الجنة ، قلت : و إن زنى و إن سرق ؟ قال : و إن زنى و إن سرق، قلت: و إن زنى و إن سرق ؟ قال : و إن زنى و إن سرق ، قلت : و إن زنى و إن سرق ؟ قال : و إن زنى و إن سرق على رغم أنف أبي ذر .

التخريج : و أخرجه أحمد ([٣]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث أسلوب نبوي تربوي في إجابة السائل أو المعاند ، حيث يجيب النبي ﷺ أبا ذر ثلاث مرات ، و يعرض عنه بعد ذلك قائلا : "على رغم أنف أبي ذر" ، و كأن النبي ﷺ يرشدنا إلى الإعراض عن السائل بعد ثلاث ؛ فالإنسان إذا كان يريد الفائدة إعادة الحجة و البينة ثلاث مرات ، و إلا كان معاندا يبتغي المشقة و العنت ، و في هذا التوجيه حفظ للوقت و صون للنفس عن الدخول في المنازعات و المراء بالباطل ، و خاصة أن بعض الناس يبتغي إظهار النفس من خلال المراء و الجدال ، يقول عبود بن علي « و قد أشار بعض العلماء إلى أن التنافس على الدنيا من شرف و جاه و نحوه ، هو من الأسباب التي دعت أصحاب الأهواء إلى أن يتجادلوا فيما بينهم بالباطل،ويؤلفوا كتب الضلال والأهواء والشبهات » ([٤]) .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([٥]) عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سرِّح الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبيﷺ ، فقال رسول الله

([١]) البخاري،الصحيح مع الفتح ، كتاب اللباس ، باب الثياب البيضاء ، رقم ٥٨٢٧ ، ج١١ ، ص ٧٠١٢ .
([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يسرك بالله شيئا دخل الجنة ، رقم٢٦٩ ،ج٢،ص١٦٧.
([٣]) أحمد ، المسند ، رقم ٢١٣٥٨ ، ج ١٥ ، ص ٥٣٦ .
([٤]) عبود بن علي بن درع ، ظاهرة الغلو في الدين ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية ، ط١ ، ص ١٣٩ .
([٥]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المساقاة ، باب سكر الأنهار ، رقم ٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ ، ج٥ ، ص ٢٩٨٤ .

ﷺ للزبير : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاري ، فقال : أن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال : اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار ، فقال الزبير : و الله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

التخريج : و أخرجه مسلم ([1]) ، و أبو داود ([2]) ، و الترمذي ([3]) ، و النسائي ([4]) ، و ابن ماجه ([5]) ، و أحمد ([6]) .

غريب الحديث : شراج الحرة : مسيل الماء ، و أضيف إلى الحرة لكونها فيها ، و الحرة موضع معروف بالمدينة ([7]) .

دلالة الحديث :

نلاحظ في هذا الحديث أن النبيﷺ أعان ذلك الأنصاري في بداية الأمر ، و قال :" اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك " ، ولكن تعنت ذلك الأنصاري ، واتهامه النبي ﷺ بالمحاباة، جعل النبي ﷺ يضيق عليه ، وهو نوع من العلاج للإنسان المتعنت وضعه النبيﷺ في مثل هذه الحالات ، فيعاقب الإنسان صاحب اللجاجة حتى لا يتمادى في غيه ، ولنتأمل في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أنفسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ ، يقول الطبري في تفسيره : « يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ فلا ﴾ فليس الأمر كما يزعمون ، أنهم يؤمنون بما أنزل إليك ، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، و يصدون عنك إذا دعو إليك يا محمد . واستأنف القسم جل ذكره ، فقال : ﴿وَرَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي لا يصدقون بي و بك ،و بما أنزل إليك ﴿ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول : حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلف بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه » ([8]) .

([1]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الفضائل ، باب وجوب اتباعه ﷺ ، رقم ٦٠٦٥ ، ج٧ ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .

([2]) أبو داود ، السنن ، كتاب البيوع ، أبواب من القضاء ، رقم ٣٦٣٢ ، ج٤ ، ص ٢٣٥ .

([3]) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء ، رقم ١٣٦٣ ، ج٣ ، ص ٣٦ ، و رقم ٣٠٢٧ ، ج٥ ، ص ١٢١ .

([4]) النسائي ، السنن ، كتاب آداب القضاء ، باب الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم و هو غضبان ، رقم ٥٤٠٧ ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

([5]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ و التغليظ على من عارضه ، رقم ١٥ ، ص ٣٥ – ٣٦ .

( ) أحمد ، المسند ، رقم ١٤١٩ ، ج٢ ، ص١٩٧،رقم١٦٠٦١،ج١٢ ، ص ٤٦٠ .

( ) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٢٩٨٦ .

([8]) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج٥ ، ص ١٨٩ .

في ضوء ما تقدم ذكره من الأحاديث في هذا المبحث ، نجد أن النبي ﷺ خاطب المتعنت بأساليب متعددة ، منها : التكرار في الجواب ثلاث مرات ، و هذا يفيد أن المتعنت إن لم يستوعب بعد ثلاث فالأصل الإعراض عنه كما فعل النبي ﷺ في الحديث الذي ذكرناه ابتداءً ، وكذلك اتبع النبي ﷺ أسلوب العقاب كما في حديث عبد الله بن الزبير،الذي ذكرناه سابقا (١) ، هذا هو واقع النبي ﷺ في خطاب المتعنت ، و هذا هو الأسلوب الصحيح في خطاب هذه الفئة من الناس و ليس ما يتبعه الكثير في هذا الزمان من المراء و الجدال و كثرة الوقوع في الخلافات ، دون تحقيق أي فائدة تذكر ، إذ أصبح هم الكثيرين إظهار التفوق و الغلبة في الحجة و ليس الوصول إلى الحق .

---

(١) ص ٥٦ .

المبحث الرابع

خطاب المرأة

خاطب النبيﷺ الأم ، والأخت ، و الزوجة ، و البنت ؛ فاستولى على عرش القلوب بالكلمة الرقيقة التي تناسب رقة المشاعر الأنثوية ؛ فأنتج نساء أمثال عائشة ، و أسماء ، و نسيبه ، و الخنساء ؛ و غيرهن الكثير من مفاخر التاريخ الإسلامي ، و هذا ما يجب أن نتأمله و نحن نوجه الخطاب إلى المرأة في هذا الزمان ، فنخاطب رقة مشاعرها ، و نستخدم الكلمات الراقية عند دعوتها .

و في المبحث الآتي نتناول بعض الأحاديث التي خاطبت المرأة و نحاول أن نعالج واقعنا في الخطاب من خلالها .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([1]) عن أبي سَعيد الخُدْرِي قال: خرَجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في أضحى ـ أو في فطر ، إلى المصلَّى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدَقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم يا رسول اللهِ؟ قال: تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينِها .

التخريج : و أخرجه مسلم ([2]) ، و الترمذي ([3]) ، و النسائي ([4]) ، و ابن ماجه ([5]) ، و أحمد ([6]) .

([1]) صحيح البخاري ، كتاب ، باب ترك الحائض الصوم ، رقم ٣٠٢ ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، ص ٥٣٩ .

([2]) صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب أتى النساء فوعظهن ، رقم ١٩٩٨ ، ج ٦ ، ص ١٤٦ .

([3]) الترمذي ، السنن ، كتاب الإيمان ، باب في استكمال الإيمان ، رقم ٢٦٧٩ ، ج ٧ ، ص ٣٤٤ .

([4]) النسائي ، السنن ، كتاب صلاة العيدين ، باب الصدقة قيام الإمام في الخطبة ، رقم ١٥٧٦ ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

([5]) لبن ماجه ، السنن ، كتاب الفتن ، باب فتنة النساء ، رقم ٤٠٨٩ ، ج ٢ ، ص ١٣٢٦ .

([6]) أحمد ، المسند ، رقم ١٤١٣٢ ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .

غريب الحديث : (وتكفرن العشير) أي تجحدن حق الخليط - وهو الزوج - أو أعم من ذلك ([1]) .

دلالة الحديث :

لقد جاء الإسلام بتعاليم رفعت من شأن المرأة ؛ كما نرى في هذا الحديث الذي يحرص فيه النبي ﷺ على استنقاذ المرأة من صفات ذميمة كانت موجودة عند النساء في الجاهلية ، و منها كثرة اللعن ، و كفران العشير ، فخاطبها النبي ﷺ خطاب الخائف عليها من عذاب الله ، السالك بها إلى رضوانه ، هذه المرأة التي لم تكن في الجاهلية سوى متاع يتوارث كما يتوارث المال ، و محطة لقضاء الشهوة و المتعة ، أصبحت في ظل الإسلام ذات مكانة و منزلة رفيعة ، فهي الأم و الزوجة و البنت و الأخت ، التي ربط الله رحمته بالعبد بمقدار صلته لها .

و لو نظرنا إلى حل المرأة في هذا العصر لوجدناها عادت كما كانت في الجاهلية ، سلعة للمتعة و الشهوة ، تحت مسميات عديدة منها : حرية المرأة و تقدمها ، و انخراطها في سلك الحضارة ، يقول الفيلسوف (فورييه) ، و هو أشد أنصار حرية المرأة ما يأتي : « ما هي حال المرأة اليوم ؟ إنها لا تعيش إلا في الحرمان ، حتى في عالم الصناعة الذي ألمّ الرجل بجميع أنحاءه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة و شغل الريش .

أما المرأة فيراها الناس منكبة على أشق الأعمال . فما هي إذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ؟

آلمغزل ، أم جمالهن إذا كان لهن جمال ؟ نعم ، إن حيلتهن الوحيدة في السفاد العلني أو السري ليس إلا ، و هي الحيلة التي تنازعهن الفلسفة فيها للآن .

هذا هو الحظ التعيس الذي ألجأتهن إليه هذه المدنية ، و هذا الاستعباد الزوجي الذي لم يفكرن للآن في مهاجمته . هل يمكن أن نرى ظلاً من العدالة في حظ النساء هذا .

يقول محمد فريد وجدي معلقاً على هذا الكلام : فأين تذهب المرأة المسكينة بين هذه المزاحمات القاسية ؟ إذا كانوا يقولون أن الإنسان يرتقي كل عصر في العواطف النفسية ، و المرحمة القلبية ، كما يرتقي في السعادة المادية ، فلماذا لا تتفتت القلوب حسرة ، و

([1]) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، ج١ ، ص ٥٣٩ .

تذوب الأضلاع كمداً و رأفة على ما وصل إليه حال هذا الجنس الرقيق في القرن العشرين ؟ » (١)

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (٢)(٣) و اللفظ لمسلم ، عن عروة ؛ أن عائشة أخبرته ؛ أن بريرة جاءت عائشة تستعينها في كتابتها ، و لم تكن قضت من كتابتها شيئاً ، قالت لها عائشة : ارجعي إلى أهلك ، فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابتك و يكون ولائك لي ، فعلت ، فذكرت ذلك بريرة لأهلها ، فأبوا و قالوا : إن شاءت أن تحتسب عليك ، فلتفعل ، و يكون ولاؤك لنا ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : ابتاعي ، فأعتقي ، فإنما الولاء لمن أعتق ، قالت : ثم قام رسول الله ﷺ فقال : ما بال أناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله ، فليس له، و إن شرط مائة شرط ، شرط الله أحق و أوثق .

التخريج : و أخرجه أبو داود (٤) ، و الترمذي (٥) ، و النسائي (٦) ، و مالك (٧) ، و أحمد (٨) .

دلالة الحديث :

يدل هذا الحديث دلالة واضحة على احترام النبي ﷺ للمرأة و سعيه في تحريرها من ربقة العبودية و رفع مكانتها ، و هي التي كانت في الجاهلية رمز العار و الخزي ، و كان لا يعبأ بها ، و تعتبر كأنها متاعٌ للذة و الشهوة و قضاء الحاجة ،و لننظر في هذا الكلام النفيس لابن قيم الجوزية : « فإن الله سبحانه أكمل لهذه الأمة دينها و أتم عليها نعمته ،

---

(١) محمد فريد وجدي ، المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة و بيان دور المرأة في صلاح المجتمع و فساده ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هجري ، ١٩٩٩ م ، ص ٦٤ – ٦٥ .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المكاتب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب ، رقم ٢٥٦١ ،ج٦ ، ص ٣١٧٥.
(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق ، رقم ٣٧٥٦ ، ج٥ ، ص ٤٦٤ .
(٤) أبو داود ، السنن ، أبواب العتق ، باب بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة ، رقم ٣٩٢٥ ، ج٤ ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ .
(٥) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت ، رقم ٢١٢٤ ، ج٣ ، ص ٦٢٤ .
(٦) النسائي ، السنن ، كتاب البيوع ، باب بيع المكاتب ، رقم ٤٦٥٥ ، ج٧ ، ص ٣٠٥ .
(٧) مالك ، الموطأ ، كتاب العتق و الولاء ، باب مصير الولاء لمن أعتق ، رقم ١٧ ، ج٢ ، ص ٥٩٨ .
(٨) أحمد ، المسند ، رقم ٢٤٠٦٩ ، ج ١٧ ، ص ٢٥٤ .

و أباح لها من الطيبات ما لم يبحه لأمة غيرها ، فأباح للرجل أن ينكح من أطايب النساء أربعاً و أن يتسرّى من الإماء ما شاء ؛ و ليس التسري في شريعة أخرى ، ثم أكمل لعبده شرعه ، و أتم عليه نعمته ، بأن ملكه أن يفارق امرأته و يأخذ غيرها ، إذ لعل الأولى لا تصلح له و لا توافقه ، فلم يجعلها غلا في عنقه و قيدا في رجله و إصراً على ظهره ، و شرع له فراقها على أكمل الوجوه لها و له » ([1]) .

إذن لم يجعل الله المرأة غلا في عنق الرجل ، و لا قيداً في رجله ، كما كان حالها في الجاهلية ، بل أمر بتوقيرها و تبجيلها حتى في حال فراقها أمر أن يكون الفراق بالإحسان ، قال تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ ([2]).

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([3]) عن سهل بن سعد الساعدي ، أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي ، فنظر إليها رسول الله ، فصعد النظر إليها و صوبه ، ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقضي فيها شيئا جلست ، فقام رجل من أصحابه ، فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ، فقال : هل عندك شيء ؟ فقال : لا و الله يا رسول الله ، قال اذهب إلى اهلك فانظر هل تجد شيئا ؟ فذهب ، ثم رجع فقال : لا و الله يا رسول الله ، ما وجدت شيئا . قال : انظر و لو خاتما من حديد . فذهب ، ثم رجع ، فقال : لا و الله يا رسول الله ، و لا خاتما من حديد ، و لكن هذا إزاري – قال سهل : ما له رداء – فلها نصفه ، فقال رسول الله ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، و إن لبسته لم يكن عليك شيء، فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسول الله ﷺ موليا ، فأمر به فدعي ، فلما جاء. قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معي سورة كذا و سورة كذا ، و سورة كذا – عدها – قال : أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم . قال : اذهب ، فقد ملكتكها بما معك من القرآن .

([1]) ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عند رب العالمين ، ج٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، تحقيق و تعليق عصام الدين الصبابيطي ، ص ٨١ .
([2]) { البقرة : ٢٢٩ } .
([3]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراءة عن ظهر قلب ، رقم ٥٠٣٠ ،ج١٠ ، ص٥٩٢٨.

<u>التخريج</u> : وأخرجه مسلم [١] ، و أبو داود [٢] ، والترمذي [٣] ، و النسائي [٤] ، و ابن ماجه [٥] ، ومالك [٦] ، و البغوي [٧] .

<u>دلالة الحديث</u> :

تأتي امرأة إلى النبي ﷺ تقول : جئت لأهب لك نفسي ، بمطلق الحرية و كامل الاختيار ؛ فالإسلام نقل المرأة نقلة راقية جداً ، و نلاحظ أن النبي ﷺ كان في غاية الرقة مع تلك المرأة فلم يصرح برفضه لها بل طأطأ رأسه حتى لا يجرح شعورها و هذا التصرف هو قمة السمو في الخطاب يقول الدكتور فضل إلهي : « لقد كان إمام الدعوة رسولنا الكريم يعتني عناية شديدة بأحوال المخاطبين ، و كان يهتم اهتماما بالغا بمراعاتها أثناء الدعوة و التوجيه و الإرشاد . و قد شهد أصدق القائلين و أعظم الشاهدين ربنا عز و جل بقيامه بالدعوة إلى الله على بصيرة ، حيث قال عز من قائل : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٨] ، فقد كان ﷺ على بصيرة فيما يدعو إليه ، و على بصيرة في حال المدعو ، و على بصيرة في كيفية الدعوة » [٩]

.

<u>الحديث الرابع</u> :

أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما [١٠][١١] و اللفظ لمسلم ، عن أم عطية قالت : أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح ، فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة :أم سليم ، و أم العلاء ، و ابنة أبي سبرة ، امرأة معاذ ، و امرأتين ، أو ابنة أبي سبرة ، وامرأة معاذ ، و امرأة أخرى .

([١]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب النكاح ، باب الصداق و جواز كونه تعليم القرآن ، رقم ٣٤٧٢ ، ج٥ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
([٢]) أبو داود ، السنن ، كتاب النكاح ، باب في التزويج على العمل يعمل ، رقم ٢١٠٤ ، ج٣ ، ص٣٣ .
([٣]) الترمذي ، السنن ، أبواب النكاح ، باب ما جاء في مهور النساء ، رقم ١١١٤ ، ج٢ ، ص ٤٠٦ .
([٤]) النسائي ، السنن ، كتاب النكاح ، باب هبة المرأة نفسها لرجل بغير صداق ، رقم ٣٣٥٩ ، ج٦ ، ص ١٢٣ .
([٥]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب النكاح ، باب صداق النساء ، رقم ١٨٨٩ ، ج٢ ، ص ١٧٠ .
([٦]) مالك ، الموطأ ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في الصداق و الحباء ، رقم ٨ ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .
([٧]) البغوي ، شرح السنة ، كتاب النكاح ، باب الصداق ، رقم ٢٣٠٢ ، ج٩ ، ص ١١٧ – ١١٨ .
([٨]) { يوسف : ١٠٨ } .
([٩]) د. فضل إلهي ، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين ، ص ٣٣ .
([١٠]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب ما ينهى عن النوح و البكاء و الزجر عن ذلك ، رقم ١٣٠٦ ، ج٣، ص ١٧٥٦ .
([١١]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، رقم ٢١٦٠ ، ج٤ ، ص ٢٥٠ .

التخريج: و أخرجه أبو داود [١] ، و النسائي [٢] ، و أحمد [٣] .

دلالة الحديث:

يقول بكر أبو زيد « خلق الله سبحانه الرجل والمرأة شطرين للنوع الإنساني : ذكراً و أنثى ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ [٤] ، يشتركان في عمارة الكون كلٌ فيما يخصه، و يشتركان في عمارته بالعبودية لله تعالى ، بلا فرق بين النساء و الرجال في عموم الدين : في التوحيد و الاعتقاد و حقائق الإيمان ، و إسلام الوجه لله تعالى ، و في الثواب و العقاب ، و في عموم الترغيب و الترهيب و الفضائل ، و بلا فرق أيضاً في عموم التشريع في الحقوق و الواجبات كافة » [٥] ، و من هنا كانت بيعة النبي ﷺ للنساء خطاباً مباشراً من رأس الدولة في دلالة واضحة على اعتناء النبي ﷺ بإيصال رسالة الإسلام للنساء ، و مخاطبتهن بالتشريع الذي يبين ما لهن من الحقوق و ما يترتب عليهن من الواجبات ، بل إن النبي ﷺ اختصهن بأحكام كثيرة مستنداً في ذلك إلى الأمر الإلهي « و أما الأحكام التي اختص الله بها النساء فكثيرة تنتظم أبواب العبادات، والمعاملات، والأنكحة ،وما يتبعها، والقضاء ، وغيرها ،وهي معلومة في القرآن و السنة و المدونات الفقهية ، بل أفردت بالتأليف قديما و حديثا » [٦] .

من خلال ما تقدم ذكره من الأحاديث في هذا المبحث ، يتبين لنا تركيز الخطاب النبوي على إعطاء المرأة مكانتها و حقوقها و حفظ كرامتها ، و لكن ما هو واقع المرأة في هذا العصر ، تقول فدى قصير في كتابها " المرأة المسلمة بين الشريعة الإسلامية و الأضاليل الغربية : « إن الناظر إلى وضع المرأة المسلمة و الشرقية بشكل عام يجد أنه وضع سيئ للغاية . فلم تزل المرأة في معظم البلاد الإسلامية رهينة الجهل و التخلف ، حبيسة المنزل ، مهينة لا كرامة لها و لا رأي و لا اعتبار . كثيرة الشقاء دون سعادة ، كثيرة البذل دون مقابل، تتخذ أداة لقضاء الشهوة و الاستمتاع ليس إلا ، هذا هو الواقع فعلا في معظم بلادنا ، و لكن كيف السبيل لرفع مكانة المرأة ، و لجعلها تقوم بدورها في هذه الحياة ، و بالتالي لا يخسر المجتمع نصف قواه و قدراته . إن مشكلة المرأة الشرقية ليست كمشكلة نظيرتها في الغرب . فالمرأة الغربية كانت تناضل و تكافح للحصول على حقوق غير معترف بها

---

[١] أبو داود ، السنن ، كتاب الجنائز ، باب في النوح ، رقم ٣١١٩ ، ج ٤ ، ص ٢٥ .
[٢] النسائي ، السنن ، كتاب البيعة ، باب بيعة النساء ، رقم ٤١٧٩ ، ج ٧ ، ص ١٤٩ .
[٣] أحمد ، المسند ، رقم ٢٠٦٧٦ ، ٢٠٦٧٧ ، ج ١٥ ، ص ٣٢٥ .
[٤] { النجم : ٤٥ } .
[٥] بكر أبو زيد ، حرلسة الفضيلة ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، الرياض ط ٦ ، ص ١٥ .
[٦] المصدر السابق ، ص ١٩ .

أصلا لم يسن لها قانون و لا تشريع ، و إنما كان شأن المرأة في الحصول على هذه الحقوق ، كشأن سائر المطالبين بها في تلك الحقبة من الزمن ، وقد حصلوا وحصلت عليها نتيجة الثورة الصناعية ، واحتياج هذه الثورة إلى الأيدي العاملة وبالذات إلى أيدي النساء. فكانت المساواة بينها وبين الرجل ، التي دفعتها إلى الشارع ، إلى المصانع والمتاجر ، إلى قارعات الطريق. المرأة المسلمة لا تحتاج اليوم لحل مشكلتها إلى مثل هذه الحلول ، بل تحتاج إلى فهم عميق لمفهوم الإسلام وغايته من التشريع ، وهذا كله لا يتعلق بالمرأة فقط ، بل بالقيمين عليها ، وبالقيمين على المجتمع كله » (١) .

من هنا يجب على الدعاة أن يصلحوا خطابهم الموجه إلى المرأة ،ليتناسب مع الخطاب الراقي الذي وجهه النبي ﷺ للمرأة والذي حفظ لها حقوقها ، ونقلها من آصار العبودية إلى أجواء الحرية ، ومن حضيض الذل إلى معالي العزة، ومن قهر العادات إلى سماحة الإسلام .

---

(١) فدى قصير ، المرأة المسلمة بين الشريعة الإسلامية و الأضاليل الغربية ، مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع، ص ١٤٧ .

المبحث الخامس
خطاب الطفل

إن التربية الصحيحة للطفل ، هي الطريق الموصل إلى بناء مجتمع سوي قادر على الإنتاج و العطاء ؛ و لذلك عني النبي ﷺ بخطاب الطفل خطابا سليما يحبب الإسلام إليه و يجعله ينشأ و قد تغلغلت تعاليم الإسلام في ثنايا روحه ، و هذا ما يجب أن يفهمه الدعاة في هذا العصر ؛ فلا بد من تحبيب الأطفال بالإسلام ، و ترغيبهم فيه ، و جعل تعاليمه مكونات أساسية في شخصيتهم ، و هذا ما سنحاول بيانه في الصفحات الآتية .

الحديث الأول :

قال الترمذي (١) : حدَّثنا أَحْمَدُ بنُ محمدِ بن مُوسَى، أخبرنا عَبْدُ الله بنُ المُبَارَكِ، أخبرنا لَيْث بنُ سَعْدٍ وَابْنُ لهيعَة عن قَيْس بنِ الحَجَاج، قالَ حدثنا عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، أخبرنا أبُو الوَلِيدِ، أخبرنا لَيْث بنُ سَعْدٍ حدثني قَيْسُ بنُ الحَجَّاج، المَعْنى وَاحِدٌ، عن حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عن ابنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما – قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً ، فقال : يا غلام ، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده اتجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، و إذا استعنت فاستعن بالله ، و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، و إن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام و جفت الصحف .

التخريج : و أخرجه أحمد (٢) ، و أبو يعلى (٣) .

دراسة الإسناد :

(١) الترمذي ، السنن ، كتاب صفة القيامة ، رقم ٢٥٦٦ ،ج ٧ ، ص ٢٢٨ ، و قال : حديث حسن صحيح .
(٢) أحمد ، المسند ، رقم ٢٦٧٢ ، ج١ ، ص ٤٨٢ ، و رقم ٢٧٦٦ ، ج١ ، ص ٤٩٩ .
(٣) أبو يعلى الموصلي ، المسند ، رقم ٢٥٥٨ ، ج ٤ ، دار الكتب العلمية ، ص ٤٣٠ .

أحمد بن محمد بن موسى : ذكره ابن حبان في الثقات ، و قال ابن وضاح : ثقة ثبت ، و قال النسائي : لا بأس به ([١]) . عبد الله بن المبارك : قال أحمد بن حنبل : كان رجلاً صاحب حديث حافظ ، و قال ابن عيينة : كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً ([٢]) . الليث بن سعد : قال أحمد بن حنبل : الليث ثقة ثبت ، قال ابن معين : ثقة([٣]) . ابن لهيعة : قال أحمد بن صالح : ابن لهيعة ثقة ، و ما روي عنه من الأحاديث فيها تخليط يطرح ذلك التخليط ([٤]) . قيس بن الحجاج : قال ابو حاتم : صالح ، و ذكره ابن حبان في الثقات ([٥]) . عبد الله بن عبد الرحمن : ذكره ابن حبان في الثقات ([٦]) . حنش الصنعاني : قال أحمد بن عبد الله العجلي و أبو زرعة : ثقة ، و قال أبو حاتم : صالح ([٧]) .
درجة الحديث : قال الترمذي : حسن صحيح .

دلالة الحديث :

جاء في كتاب منهج التربية النبوية للطفل : « أرأيت إلى جمال هذا الخطاب المباشر ، الذي ابتدأ في شد انتباه الطفل لكلمة : " يا غلام " التي تثير انتباه الطفل ، و تشعره بنشوة اهتمام الآخرين به ، مثلما يشعر الشباب عندما يسمعون النداء : " يا شباب " .

ثم هل رأيت بياناً جامعاً شاملاً ، يخاطب عقل الطفل مثل هذا الخطاب ؟! ، و هل قرأت أو سمعت مثل هذه القواعد الكلية التي تؤسس فكر و عقل الطفل ؛ لتكون مرتكزاً له في مواجهة الحياة ؟ كذلك فإن الرسول ﷺ ليرشد الطفل بخطابه المباشر إلى طريقة عملية ؛ ليتخلص من أدران أمراض القلب كالحسد ، و البغضاء ، و الحقد ، و الكيد ، و ذلك بتسلسل فكري عجيب .

إن الخطاب المباشر في مخاطبة عقل الطفل ، و تبيين الحقائق له ، و ترتيب المعلومات الفكرية ليحفظها مع فهمها ، يجعل من الطفل أشد قبولاً ، و أكثر استعداداً للتلقي ، أما اللف

([١]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ١٣٠ ، ج ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، ٦ مجلدات ، ص ٤٨ ،
([٢]) المُزّي أبو الحجاج ، تهذيب الكمال ، ج ٩ ، دار الفكر ، عدد المجلدات ٢٢ ، ص ٣٨١ .
([٣]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٦٦٣٨ ، ج ٥ ، ص ٧٩ .
([٤]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٤١١٢ ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ .
([٥]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٦٤٩٩ ، ج ٥ ، ص ٣٥ .
([٦]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٣٩٥٣ ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
([٧]) المزي ، تهذيب الكمال ، ج ٢ ، دار الرسالة ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣١٦ .

و الدوران ، فليس له في التعامل مع الطفل نصيب ، و هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نتوجه إلى الطفل في كثير من المناسبات بالخطاب المباشر بصراحة و بوضوح (١) .

إن النبي ﷺ يؤسس لابن عباس ، وهو يمثل فئة الأطفال ، قواعد عقدية في الاعتماد على الله عز و جل ، و أن النفع و الضر بيده سبحانه ؛ كما يزرع في نفس الطفل المسلم معاني العزة و ذلك واضح في قوله عليه السلام " إذا سألت فسأل الله " ، كل ذلك بأسلوب سلس ، و بكلمات بسيطة تصل إلى قلب الطفل و إلى وجدانه دون تعقيد و لا فلسفات يصعب فهمها ، و بأسلوب محبب و لين يرسخ منهجاً تربوياً يعجز عنه أعظم علماء النفس في هذا الزمان ، و لن نعجب من ذلك ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ؛ كما في قوله سبحانه ﴿ وَ مَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلَا وَحْيٌ يُوحى ﴾ (٢) .

الحديث الثاني :

قال الترمذي (٣) : حدَّثنا مُسْلِمُ بنُ حَاتِمِ الأنصَارِيُّ البَصْرِيُّ ، حدثنا مُحمَّدُ ابنُ عَبْدِ الله الأنصَارِيُّ ، عن أبيه ، عن عَلِيِّ بنِ زَيْدٍ، عن سَعِيدِ بنِ المَسْيَّبِ قال : قالَ أنسُ بنُ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قال : قال لي النبي ﷺ : يا بني إذا قدرت أن تصبح و تمسي ، و ليس في قلبك غشٌ لأحد ، فافعل ، ثم قال لي : يا بني و ذلك من سنتي ، و من أحيا سنتي فقد أحياني ، و من أحياني كان معي في الجنة .

دراسة الإسناد :

مسلم بن حاتم الأنصاري : قال عنه قال الترمذي و أبو القاسم الطبراني : كان ثقة ، و ذكره ابن حبان في الثقات (٤) . محمد بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي : قال عنه ابن حجر العسقلاني : ثقة (٥) . عبد الله الأنصاري : قال عنه يحيى بم معين و أبو زرعة و أبو حاتم : صالح ، و ذكره ابن حبان في الثقات (٦) . علي بن زيد :

---

(١) محمد نور عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، دار البن كثير ، دمشق – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٧ هجري ، ٢٠٠٦ م ، ص ١١٦ – ١١٧ بتصرف .
(٢) { النجم : ٣ – ٤ } .
(٣) الترمذي ، السنن ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ، ج ٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت تحقيق أحمد شاكر ، ص ٤٦ . و لم يروه إلا الترمذي ، و قال حسن غريب .
(٤) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج ١٠ ، دار الفاروق الحديثة ، ط ١ ، ص ١٢٥ .
(٥) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، دار العاصمة ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هجري ، ص ٨٦٥ .
(٦) المزي أبو الحجاج ، تهذيب الكمال ، ج ٤ ، ص ٢٦٣ .

قال عنه يحيى بن معين : ليس بذاك القوي ([١]) . سعيد بن المسيب : جاء في تقريب التهذيب : أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ([٢]) .

درجة الحديث : قال الترمذي : حسن غريب ، و لم يروه إلا الترمذي .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يخاطب النبي ﷺ بأسلوب محبب إلى قلبه و هو " يا بني " ، يقول الدكتور حسان شمسي باشا : « و لا يمكن للتربية أن تتم بدون حب ، فالأطفال الذين يجدون من مربيهم عاطفة و اهتماماً ينجذبون نحوه ، و يصغون إليه بسمعهم و قلبهم ، و لهذا ينبغي على الأبوين أن يحرصا على حب الأطفال ، و لا يقوما بأعمال تبغضهم بهما ، كالإهانة ، و العقاب المتكرر و الإهمال ، و حجز حريتهم ، و عدم تلبية مطالبهم المشروعة ، و عليهما إذا اضطرا يوماً إلى معاقبة الطفل أن يسعيا لاستمالته بالحكمة ، كيلا يزول الحب الذي لا تتم التربية بدونه » ([٣]) .

إذاً هكذا تتوافق أساليب التربية الحديثة للطفل مع ما جاء به النبي ﷺ من إظهار المودة و المحبة للطفل ، و احترام شخصيته ، و تنمية الصفات الإيجابية فيها و الفطرة السليمة كما قال النبي ﷺ لأنس : " إذا قدرت أن تصبح و تمسي ، و ليس في قلبك غشٌ لأحد ، فافعل " .

في هذا الحديث الشريف يرسم الرسول ﷺ للوالدين منهجاً تربوياً في أسلوب زرع المفاهيم الصحيحة في نفوس أبنائهم ، و من الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب حقوق الاولاد :« جاء في ترجمة أبي عثمان بن أبي عبد الرحمن فروخ ، المعروف بربيعة الرأي ، فقيه المدينة ، و شيخ الإمام مالك .

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخاً خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً ، و ربيعة حملٌ في بطن أمه ، و هو لا يدري به ، و خلّف عند زوجته ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع و عشرين سنة ، و هو راكب

([١]) المزي أبو الحجاج ، تهذيب الكمال ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ .
([٢]) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ١٣٨٨ .
([٣]) د. حسان شمسي باشا ، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان ، دار القلم ، دمشق ، ط ٥ ، ١٤٢٧ هجري ، ٢٠٠٦ م ، ص١٦ .

فرساً ، و في يده رمح ، فنزل ، و دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، و قال : يا عدو الله ، أتهجم على منزلي ؟! .

فقال فروخ : يا عدو الله ، أنت دخلت على حرمي ! .

فتواثبا ، و تلبب كل واحد منهما بصاحبه ، حتى اجتمع الجيران .

فقال الشيخ : هي داري ، و أنا فروخ .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت و قالت : هذا زوجي ، و هذا ابني الذي خلفه و أنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً ، و بكيا ، فدخل فروخ المنزل ، و قال لها : أخرجي المال الذي لي عندك ، و هذه معي أربعة آلاف دينار .

فقالت : قد دفنته ، و أنا أخرجه بعد أيام .

ثم خرج ربيعة إلى المسجد ، و جلس في حلقته ، فأتاه مالك ، و الحسن بن زيد ، و بن أبي علي اللهجي ، و المساحيقي ، و أشراف أهل المدينة ، و أحدق الناس به ، فقالت امرأة فروخ لزوجها : اخرج فصلَ في مسجد رسول الله ﷺ .

فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها ، فوقف عليها ، فأفرجوا له قليلاً ، فنكس ربيعة رأسه ، يوهنه أنه لم يره ، فشك أبوه فيه ، فقال : من هذا الرجل ؟ فقالوا : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

فقال : قد رفع الله ابني . و رجع إلى منزله ، و قال لزوجه : لقد رأيت و لدك على حالة ، ما رأيت أحداً من أهل العلم و الفقه عليها .

فقالت له : فأيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار ، أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا و الله بل هذا . فقالت : فإني أنفقت المال كله عليه . فقال : فوالله ما ضيعته .

فانظر كيف أثمرت التربية الصالحة من هذه الام الصالحة في ولدها هذه الثمرة المباركة حتى صار ولدها عالم المدينة » (١) .

إن هذه الأم قد تشبعت بإصول التربية الإسلامية الصحيحة فزرعتها في ولدها ، فأقرت به عين والده ، و كان لهما نعم الثمرة التي يأكلان منها في الدنيا و الآخرة .

---

(١) محمد شريف الصواف ، حقوق الأولاد من منظار الشريعة الإسلامية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط ١ ، ١٤٢١ هجري ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٥ – ٢٧ .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما [١][٢] و اللفظ لمسلم ،عن أنس بن مالك – رضي الله عنه - قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير – فطيم – قال : و كان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ قال : نغر كان يلعب به .

التخريج : و أخرجه الترمذي [٣] ، أحمد [٤] .

غريب الحديث : النغير:بضم النون تصغير النغر ، وهو طائر صغير جمعه نغران [٥] . الفطيم : بمعنى المفطوم [٦] .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يخاطب النبي ﷺ طفلاً صغيراً بالكنية دون الاسم ، وهذه قمة المؤانسة والملاطفة من النبي ﷺ لهذا الطفل ، يقول النووي في شرح هذا الحديث : « في هذا الحديث فوائد كثيرة جدا منها ملاطفة الصبيان وتأنيسهم ، وبيان ما كان النبيﷺ عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع » [٧] ، يعتبر هذا الحديث رسالة تربوية من النبي ﷺ إلى الداعية في كل زمان في كيفية ترغيب الأطفال بالإسلام من خلال التلطف بهم و رحمتهم و الرفق في خطابهم ، بخلاف ما عليه كثير من الدعاة في هذا الزمان ، من فظاظة الأسلوب ، و غلظة القول ، و الشدة في غير موضعها ؛ و لذلك نجد أن كثيراً من الأطفال تتلقفهم جهات متعددة و تحدث تشوهات في فطرتهم .

---

[١] البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الآداب ، باب الكنية للصبي ، رقم ٦٢٠٣ ، ج١٢ ، ص ٧٣٨١ .
[٢] مسلم الصحيح مع النووي ، كتاب الآداب ، جواز تكنية من لم يولد له و تكنية الصغير ، رقم ٥٥٨٧ ، ج٧ ، ص ٢٥١.
[٣] الترمذي ، السنن ، أبواب البر و الصلة ، باب ما جاء في المزاح ، رقم ١٩٨٩ ، ج٣ ،ص ٣١٤ .
[٤] أحمد ، المسند ، رقم ١٢١٣٨ ، ١٢٦٨٩ ، ص ٣٨٤ – ٥٥٢ ، و رقم ١٣٠١١ ، ١٣٨٨٩ ، ج١١ ، ص ٨٤ .
[٥] النووي ، شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ٧ ، ٢٥١ .
[٦] المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٥١ .
[٧] المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٥١ .

الحديث الرابع :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (١) عن عمر بن أبي سلمة قال : كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ ، و كانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام، سمِّ الله ، و كل بيمينك ، و كل مما يليك . فما زالت تلك طعمتي بعد .

التخريج : و أخرجه مسلم (٢) ، و ابن ماجه (٣) ، أحمد (٤) ، و البغوي (٥) .

دلالة الحديث :

هذا خطاب جديد من النبي ﷺ للطفل ، متمثل في عمر بن أبي سلمة ، حيث يعلمه النبيﷺ أدب من آداب الطعام و هذه إشارة إلى المربين في كل زمان بوجوب الاعتناء بتأديب الأطفال بآداب الإسلام ، و غرس أحكامه فيهم منذ الصغر ؛ لما في ذلك من أثر على شخصيتهم عند البلوغ ، يقول ابن حجر العسقلاني « قوله في حجر رسول ﷺ بفتح الحاء المهملة و سكون الجيم ، أي في تربيته و تحت نظره ، و أنه يربيه في حضنه تربية الولد » (٦) ، و نلاحظ قول ابن حجر في شرح الحديث : " و أنه يربيه في حضنه تربية الولد " ، أي أن أطفال المسلمين و توجيه الخطاب التربوي الصحيح لهم ، هو مسؤولية كل من كان في عهدته طفل ، من داعية، أو مربي ، أو معلم .

من خلال هذه الأحاديث التي ذكرناها في خطاب الطفل ، و هي غيض من فيض من أحاديث كثيرة تعتني بالطفل و تحرص على خطابه خطابا سليما خاليا من التشوهات ، نستجلي الواجب الملقى على عاتق الله في هذا العصر ، عند خطابهم للطفل ، و بخاصة تحقيق القدوة العملية أمامهم ؛ لأن الطفل يتأثر بالتطبيق العملي أكثر من القول المجرد ، فلا بد من ملئ الصفحة البيضاء و هي مرحلة الطفولة بالممارسات السليمة جاء في كتاب مبادئ في تربية النشء المسلم « فالإنسان يولد صفحة بيضاء و طاقة محايدة قابلة للتشكل

---

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام و الأكل باليمين ، رقم ٥٣٧٦ ، ج١١ ، ص ٦٤٨٠ .
(٢) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام و الشراب و أحكامهما ، رقم ٥٢٣٧ ، ج٧ ، ص ١١١.
(٣) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل باليمين ، رقم ٣٢٦٧ ، ج٣ ، ص ١٥٦ .
(٤) أحمد ، المسند ، رقم ١٦٢٨٢ ، ١٦٢٨٣ ، ١٦٢٨٤ ، ج ١٢ ، ص ٥٢٥ .
(٥) البغوي ، شرح السنة ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الأكل و الحمد في آخره ، رقم ٢٨٣٣ ، ج١١ ، ص ٢٧٤ .
(٦) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، ص ٦٤٨٢ .

و الانتماء و اكتساب ألوان السلوك و الممارسات . و مرحلة الطفولة تقرر بصورة أساسية هوية الشخصية ، و تشكيل الملامح العامة لها ، من هنا حرصت الرسالة الإسلامية على تربية الطفل و الاهتمام لبناء شخصيته ، بناءً سويا بعيداً عن الانحراف ، و التعقيد ، و الأمراض النفسية ، و العادات السيئة ، و على أساس من مبادئها و قيمها ؛ لأن بناء شخصية الطفل هو عملية بناء المجتمع الإسلامي ، والتمهيد لإقامة الحياة و الدولة و القانون و الحضارة على أساس الإسلام ، و تحقيق سعادة الإسلام » (1) .

---

(1) مؤسسة البلاغ ، مبادئ في تربية النشء المسلم ، نشر لجنة التأليف ، ط١ ، ص ٦ .

الفصل الثالث
خطاب غير المسلمين في ضوء الهدي النبوي

المبحث الأول : طرق خطاب غير المسلمين ، و يتضمن ثلاث مطالب :

المطلب الأول : نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين .

المطلب الثاني : الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب .

المطلب الثالث : رسائل النبي ﷺ إلى الملوك .

المبحث الثاني : التدرج في عرض مادة الخطاب على غير المسلمين ، و يتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مراعاة الأولويات في الخطاب :

المطلب الثاني : إبراز وسطية الخطاب الدعوي في ضوء الهدي النبوي .

المطلب الثالث : التركيز على الإشارات العلمية في الحديث النبوي عند خطاب غير المسلمين .

إن أعظم ما يميز رسالة الإسلام الخالدة أن نفعها لا يقتصر على فرد من الأفراد بل يشمل الناس عامة ؛ و لذلك فإن المسلم و خاصة الداعية يترتب عليه مسؤوليات كثيرة ، من أهمها و أجلها خطراً الوصول إلى غير المسلمين و إبلاغهم رسالة هذا الدين العظيم ، و هذا يستلزم أسلوبا راقيا يصل إلى شغاف القلوب ، و يتغلغل في ثنايا الأفئدة ، و يخاطب العقول بالحجة الدامغة و البرهان الساطع ، شأنه شأن سطوع هذه الرسالة العظيمة .

و إننا نلاحظ في هذه الأيام التقصير البالغ من المسلمين في حمل هذه الرسالة و إيصالها للغير ، و سنحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على بعض الوسائل و الطرق في خطاب غير المسلمين ، مع إبراز وسطية الخطاب في ضوء الهدي النبوي ، و التركيز على الإشارات العلمية في الأحاديث ، حيث أن العلم أصبح اللغة الدارجة في هذا العصر ، و خاصة عند الملاحدة و اللادينيين .

المبحث الأول

خطاب غير المسلمين في ضوء الهدى النبوي

المطلب الأول : نماذج من خطاب النبى ﷺ للمشركين .

الحديث الأول :

أخرج البخاري في صحيحه بسنده ([1]) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قدم طفيل بن عمرو الدوسي و أصحابه على النبي ﷺ ، فقالوا يا رسول الله : إن دوساً عصت و أبت ، فادع الله عليها ، فقيل هلكت دوس . قال : اللهم اهد دوسا و ائت بهم .

التخريج : و أخرجه مسلم ([2]) ، و أحمد ([3]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث توجيه عظيم للصحابة و من جاء بعدهم برحمة الناس والحرص على هدايتهم و صلاحهم ، و لذلك يجب أن يكون هدف الداعية الأول الأخذ بأيدي الناس و الرفق بهم ، و الحرص على عدم هلاكهم ، فعندما قال الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه عن قبيلة دوس :" ادع الله عليهم " ، ما كان من النبي ﷺ إلا أن دعا لهم لا عليهم ، و في هذا الدعاء رسالة واضحة للبشرية جمعاء في كل العصور أن هذا الدين دين الرحمة ، و ليس دين الشدة و العنف .

و هذا التوجيه النبوي يجب أن يتخذه الدعاة إلى الله شعاراً لهم ، و منهجاً يسيرون عليه عند دعوتهم للناس ، و ليحذر الداعية من مخالفة أمر النبي ﷺ و توجيهه ؛ لأن في

([1]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، رقم ٢٩٣٧ ،ج٦ ،ص٣٥٧٦ .

([2]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب دعاء النبي ﷺ لغفار و أسلم ،رقم ١٩٧ ، ج٢ ، ص ١٣٦.

([3]) أحمد ، المسند ، رقم ٩٠٧٨ ، ص .

ذلك هلاكه قال الله تعالى ﴿ فليَحذرْ الذين يُخالِفُونَ عَنْ أمْرهِ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنة أو يُصِيبَهُم عَذابٌ أليم ﴾ ([١]) يقول عبد المالك الجزائري : « ما دام قد كتب الله لأتباع نبيه الثبات على الدين ، فقد جعل مخالفيه على خطر من دينهم فقال : ﴿ وَ إذا قِيلَ لهُمْ تعَالوا إلى مَا أنْزَلَ اللهُ وَ إلى الرَسُول رَأيْتَ المُنافِقِينَ يَصدُّونَ عَنكَ صُدُودَا ﴾ ([٢]) . قال ابن القيم : توعدهم لأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ، و أديانهم ، و بصائرهم ، و أبدانهم ، و أموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول ﷺ و تحكيم غيره و التحاكم إليه ، كما قال تعالى : ﴿ فإنْ توَلوا فاعْلمْ أنَمَا يُرِيدُ اللهُ أنْ يُصِيْبَهُمْ ببَعْضِ ذنوبهم ﴾ ([٣]) ، اعتذروا لأنهم إنما قصدوا الإحسان » ([٤]) .

إننا في دعوتنا في هذا الدين يجب أن نمتثل شخصية هذا النبي العظيم ، هذه الشخصية التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء ، يقول الدكتور معين القدومي : « قبل سنوات قليلة نشر الأستاذ هارت كتابه المثير " أعظم مئة في التاريخ " راح فيه و هو العالم الذي نال أكثر من درجة دكتوراة في تخصصات مختلفة يرتب أعظم مئة عند جميع الأمم ، أثروا في التاريخ البشري على اختلاف انجازاتهم ، فكانت المفاجئة إن هذا العالم العلماني المحايد ، قد وضع الرسول الكريم محمد ﷺ في أول درجة من درجات سلم العظماء ، و قد سوغ تسنيمه هذه الرتبة المتفوقة أنه استطاع و ما يزال يشد الناس ، و يغير مسارهم على نحو مذهل هائل ، و هو اليتيم الفقير ، الذي كان يعيش في بلاد عزلاء على هامش الحضارة المتقدمة للروم و الفرس في تلك الأيام . و عد الكاتب الإنجليزي توماس كاريل في كتابه (الأبطال) الرسول العربي مثال البطولة الإنسانية التي يعز نظيرها ، و مثله الفيلسوف الكبير جوته فقد امتلأ إعجاباً بشخصية الرسول ﷺ بعد أن قرأ سيرته » ([٥]) .

فلا بد للدعاة في هذا العصر عند دعوتهم للمشركين من الحكمة و الموعظة الحسنة التي مثلتها شخصية النبي ﷺ في دعوته للمشركين .

الحديث الثاني :

([١]) { النور : ٦٣ } .
([٢]) { النساء : ٦١ } .
([٣]) { المائدة : ٤٩ } .
([٤]) عبد المالك بن أحمد الجزائري ، مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية و الإنفعالات الحماسية ، دار أهل الحديث ، ط٢ ، ص .
([٥]) د. معين القدومي ، الإسلام و المسلمين في أمريكا ، غيداء للدعاية و الإعلان ، أمية للتسويق ، ط٣ ، ١٩٩٥ ، ص٦ .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لما نزلت ﴿ و أنذِرْ عَشِيرَتكَ الأقرَبين ﴾ ([٢]) ، و رهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه . فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام . فنزلت ﴿ تبَّت يَدَا أبي لهَبٍ وَ تبْ ﴾ ([٣]) .

التخريج : و أخرجه مسلم ([٤]) ، و الترمذي ([٥]) ، و النسائي ([٦]) .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([٧]) : عَنْ مُوسَى بْنِ طَلحَة عَنْ أبي هُرَيْرَة ، قالَ: لمَّا أنزِلتْ هذِهِ الآيَة: ﴿ وَأنذِرْ عَشِيرَتكَ الأقرَبينَ ﴾ ([٨]) دَعَا رَسُولُ اللهِ قرَيْشاً. فاجْتمَعُوا. فعَمَّ وَخصَّ. فقال : يَا بَنِي كعْبِ بْنِ لؤَيَ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي مُرَّة بْنِ كعْبٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي هَاشِمٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ المُطلِبِ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا فاطِمَة أنقِذِي نفسَكِ مِنَ النَّار. فإنِّي لا أمْلِكُ لكمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً. غيْرَ أنَّ لكمْ رَحِماً سَأبُلُّهَا ببلالِهَا .

التخريج : و أخرجه النسائي ([٩]) ، و أحمد ([١٠]) .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب سورة تبت يدا أبي لهب و تب ، رقم ٤٩٧١ ، ج٩ ، ص ٥٨٢٠ .

([٢]) { الشعراء : ٢١٤ } .

([٣]) { المسد : ١ } .

([٤]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وَ أَنْذِر عَشِيرَتَك الأَقْرَبين ﴾ ، رقم ٣٤٨ ، ج٢ ، ص ٣٤٦ .

([٥]) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب و من سورة الشعراء ،رقم ٣١٨٤ ، ٣١٨٥ ، ج٥ ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

([٦]) النسائي، السنن ،كتاب الوصايا ،باب إذا أوصى لعشيرته ، الأقربين ، رقم ٣٦٤٦ ، ٣٦٤٧ ، ج٦ ، ص ٢٤٨ – ٢٥٠.

([٧]) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وَ أَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبين ﴾ ، رقم ٤٥٤ ، ج ٣ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ ، ص ٦٣ .

([٨]) { الشعراء : ٢١٤ } .

([٩]) النسائي ، السنن ، كتاب الوصايا ، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ، رقم ٣٦٤٨ ، ج ٦ ، ص ٥٥٨ .

([١٠]) أحمد ، المسند ، رقم ٨٣٥١ ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

دلالة الحديثين :

يقول صاحب كتاب الرحيق المختوم : « هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ؛ فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات فيه.وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله » (١) . هكذا ينوع النبي ﷺ في خطابه للمشركين ، فتارة يقرأ عليهم القرآن ، و تارة يدعو لهم بالهداية ، و تارة يجمعهم و يثبت لهم بالحجة و البرهان صدق دعوته ؛ كما في هذا الحديث الذي أوردناه ؛ فقد أقام النبي ﷺ عليهم الحجة بقوله : " أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً " ، إذاً قولهم : ما جربنا عليك كذباً ، هو إقامة للحجة عليهم ؛ فإن النبي ﷺ لم يكن كاذباً يوماً في حياته على البشر ، فكيف يكذب في نقله عن رب البشر ؟ .

و هذه الأساليب من قبل النبي ﷺ في خطاب المشركين هي دروس عظيمة لمن يحمل ثقل رفع كلمة التوحيد ، و من أعظم هذه الدروس أن يتعلم من انشغل بهم الدعوة كيفية إقامة الحجة و البرهان على صدق دعوته عند عرض الإسلام ؛ كما عليه أن يحرص على عرضه بصورة حضارية تتناسب مع عظمة هذا الدين و شموليته ، و بخاصة في هذا الزمان الذي أصبح فيه الإسلام مستهدفاً ، و الأمة ممزقة . يقول محمد جميل زينو : « إن المسؤولية ضخمة ، و عن الأمانة جسيمة ، فالأمة ممزقة ، و ثرواتها ضائعة ، و ممتلكاتها مغصوبة ، و أغلب أفرادها جهلة بحق دينهم ، و كثير من شعوبها يلاقون صنوف الأذى و العذاب ، و الملتزمون بشيء من شريعتها مستضعفون مختلفون » (٢) .

المطلب الثاني : الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب :

الحديث الأول:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده (٣) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا على اليمن ، قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب، ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم

---

(١) صفي الرحمن المبارك كفوري ، الرحيق المختوم ، الجامعة السلفية ، الهند ، ١٤١١ هجري ، ١٩٩١م ، ص ٩٣ .

(٢) محمد بن جميل زينو ، التحذير من فتنة الكفر و التكفير ، مطبعة دار المجمع العلمي ، جدة ، ط٢ ، ص ١٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٤ .

و ليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم ، و ترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم و توق كرائم أموالهم .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يذكر النبي ﷺ رسوله إلى أهل اليمن ، و هو معاذ بن جبل بأنه يقدم على قوم أهل كتاب ، و في هذا التذكير إشارة إلى أن مخاطبة أهل الكتاب لها أسلوب مختلف عن غيرها ، و ذلك للعلم الموجود عندهم سابقاً ، و الكتب التي يتدارسونها فيما بينهم ، و هذا ما يجب أن يتنبه له الداعية عند مخاطبته لأهل الكتاب ، و نلاحظ بأن النبي ﷺ رتب لمعاذ الأمور التي يدعوهم إليها ، فابتدأ بأمرهم بعبادة الله و المقصود بها توحيد الله ، ثم الصلاة ثم الزكاة ، و ذلك لأن أهل الكتاب حصل عندهم التثليث في العقيدة ، فأراد أن يبتدئ بالأساس و هو التوحيد و تطهيره من هذا الاعتقاد ، يقول الدكتور البوطي في معرض الحديث عن أهمية التوحيد:« و العقيدة الصحيحة التي يهدي إليها العقل و العلم ، الإيمان بوجود الله و وحدانيته ، و أن لا سلطان حقيقياً في الكون غير سلطانه ، و لا قوة قاهرة غير قوته ، و لا ملك غير ملكه ، و كل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز و جلّ يمنحه حيث يشاء و يسلبه عندما يشاء ، و أنه الرقيب على عباده كلهم ، و سيبعثهم من بعد الموت فيحاسب كلاً على ما كسب أو اكتسب ... إلى أن يقول : فمن هنا كانت حاجة الإنسانية كلها إلى أن تدين لبارئها عزّ و جلّ بالاعتقاد الجازم بوجوبه و وحدانيته » (1) .

و قد يقول قائل : أن رسالة الإسلام للناس كافة تدعوهم أول ما تدعوهم إلى توحيد الله و نبذ الشرك ، فلماذا خص النبي ﷺ أهل الكتاب في هذا الحديث ؟ و الجواب : هو في قول الله تعالى : ﴿ وَ لَمَّا جَاءَهُم كِتابٌ مِنْ عِندِ اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُم وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلى الذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِه فَلَعنَة اللهِ عَلى الكافِرين ﴾ (2) ، فأهل الكتاب موجود عندهم في كتبهم ما سيأتي به الرسول الكريم ﷺ ، و لكن جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً و حسداً .

من خلال هذا الحديث و الشرح له ، نستنتج طريقة من طرق النبي ﷺ في مخاطبة أهل الكتاب ، و هي البدء معهم بالأهم ثم المهم بطريقة منظمة و متسلسلة ، تتوافق و درجات

---

(1) د. محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ص٦٧ – ٦٨.
(2) { البقرة : ٨٩ } .

الإنحراف عندهم ، فنبدأ معهم بالتوحيد ثم سائر العبادات ؛ كما رتب النبي ﷺ لمعاذ ، فإن الظل لا يستقيم و العود أعوج ، و كذلك فإن العبادات لا تستقيم و الشرك موجود .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، و الأرضين على إصبع ، و الشجر على إصبع ، و الماء و الثرى على إصبع ، و سائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه وَ الأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيَامَةِ وَ السَّمَاواتُ مَطويَّاتٌ بيَمِينِه سُبْحَانَهُ وَ تعَالى عمَّا يُشرِكون ﴾ ([٢]).

التخريج : و أخرجه مسلم ([٣]) ، و الترمذي ([٤]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يبين لنا النبي ﷺ طريقة جديدة من طرق مخاطبة أهل الكتاب، و هي تصديقهم فيما يأتون به من الحق ، و قد جاء هذا العالم من علماء اليهود ليعرض على النبي ﷺ حقائق موجودة عندهم في كتبهم ، تتعلق بخلق السماوات و الأرض ، و غيرها من المخلوقات ؛ فلما وجد النبي ﷺ أن ما جاء به الحبر صحيحاً ، أقره على ذلك ، و ضحك حتى بدت نواجذه .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ، باب ﴿ وَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه ﴾ ، رقم ٤٨١١ ، ج٩، ص ٥٥٧٩ .

([٢]) { الزمر : ٣٧ } .

([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب صفة القيامة و الجنة و النار ، رقم ٦٩٧٧ ، ج٩ ، ص ٦٩ .

([٤]) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب و من سورة الزمر ، رقم ٣٢٣٨ ، ج٥ ، ص ٢٨٧ .

إن تصديق أهل الكتاب في الصواب الذي يتفق مع دين الإسلام يعتبر طريقة ناجحة في الوصول إلى نقاط الإتفاق معهم ، و بالتالي استمالتهم إلى هذا الدين العظيم ؛ لأن مبادئ الحوار الناجحة أن تبتدئ مع محاورك بالأمور التي تلتقون فيها .

و لننظر في هذا الحوار بين النبي ﷺ و عداس النصراني ، و كيفية استمالته إلى الإسلام و ذلك من خلال تركيزه على الأمور المشتركة بين النبي ﷺ و يونس عليه السلام جاء في كتاب " البداية و النهاية في سياق قصة ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف : « قال : فلمّا رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس (وقالا له): خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال: «بِسْمِ اللهِ » ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمِنْ أَهْلِ أيِّ بلادٍ أنتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُكَ؟ » قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » . فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَلِكَ أخِي كانَ نبيًّا وَأنا نبيٌّ » . فأكبّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلاّ نبيّ. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه » (١) .

لو تأملنا هذا الحوار لوجدنا نقاطاً مهمة ساهمت و لعبت دوراً كبيراً في إسلام عداس فيما بعد ، و من هذه النقاط :

<u>أولاً</u> : بدأ عليه الصلاة و السلام الأكل بالتسمية قائلاً " بسم الله " ، وكانت هذه نقطة الالتقاء الأولى بين ما جاء به الرسول ﷺ و ما هو مستقر من تعاليم دينية في ذهن عداس .

---

(١) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج ٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ١٣٥ .

ثانياً : خاطبه باسمه قائلاً : " و من أهل أي البلاد أنت يا عداس " ، و ذكر اسم الشخص أثناء الحوار يحبب النفس أن تستمع إلى الطرف الآخر .

ثالثاً : وصفه ﷺ ليونس عليه السلام " بالرجل الصالح " و قوله : " ذاك أخي " ليدلل على رابطة الأخوة التي تجمع بين الأنبياء ، و أن دينهم واحد ، و مصدر التلقي عندهم واحد ، مما كان له أكبر الأثر في نفس عداس .

لقد دفع هذا الحوار عداساً أن يؤمن إيماناً راسخاً بنبوة محمد ﷺ ، و هذا واضح من رده على ابني ربيعة عندما قال : " يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبيّ ، إن هذه العبارة تدل على تولد الإيمان الجازم عند عداس بصدق ما جاء به الرسول ﷺ .

إن الداعية يجب عليه أن لا يتشنج في دعوته لأهل الكتاب ، فيخاطبهم و في ذهنه أن كل ما عندهم باطل ، وهذا يدل على ضحالة ثقافة الداعية و عدم اطلاعه على ما عند الآخرين .

يقول الدكتور فضل إلهي : « و مما يدل على ضرورة التعرف على أحوال المدعوين و أهمية مراعاتها أثناء الدعوة أنه سبحانه و تعالى أمر نبيه الكريم ﷺ بالقيام بالدعوة بعدة طرق. فعلى سبيل المثال جاء الأمر الإلهي بالقيام بالدعوة بثلاث طرق في قوله عز و جل ﴿ ادعُ إلى سَبيلِ رَبكَ بالحِكمَةِ وَ المَوعِظةِ الحَسَنة وَ جَادِلهُم بالَّتي هِيَ أحسَن ﴾ (1) . ففي الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بثلاث طرق ، و هي :

١ ــ الحكمة .

٢ ــ الموعظة الحسنة .

٣ ــ المجادلة بالتي هي أحسن .

و تستخدم مع كل صنف طريقة تناسبه و تلائمه .

قال الإمام ابن القيم في تفسير الآية : جعل الله سبحانه مراتب الدعوة ، بحسب مراتب الخلق : فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق و لا يأباه : يدعى بطريق الحكمة . و القابل الذي عنده نوع غفلة و تأخر : يدعى بالموعظة الحسنة : و هي الأمر و النهي المقرون بالترغيب و الترهيب . و المعاند الجاهل يجادل بالتي هي أحسن . و ورد الأمر

---

(1) { النحل : ١٢٥ } .

الرباني باستخدام الشدة و الغلظة مع الكفار و المنافقين في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيّ جَاهِدِ الكُفّارَ وَ المُنَافِقِين وَ اغْلظ عَليهم وَ مأوَاهُم جَهَنَّمُ وَ بئسَ المَصير ﴾ ([1]) .

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الآية : فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، و المنافقين باللسان ، و أذهب الرفق عنهم . و جمعت الدعوة باللين و الرفق مع الدعوة بالغلظة و الشدة بقوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلوا أهلَ الكِتاب إلا بالَّتي هِيَ أحْسَنُ إلا الذِينَ ظلمُوا مِنهُم ﴾ ([2]) . ففي الآية الكريمة إرشاد و توجيه إلى المجادلة بالتي هي أحسن – و هي الدعوة باللين و الرفق – لغير الظلمة ، و المجادلة بغير التي هي أحسن – و هي الدعوة بالغلظة و الشدة – للذين ظلموا من أهل الكتاب . قال العلامة الزمخشري في تفسير الآية : بالخصلة التي هي أحسن : و هي مقابلة الخشونة باللين و الغضب بالكظم ؛ كما قال : ﴿ إلّا بالّتي هِيَ أحسَن ﴾ . ﴿ إلا الذِينَ ظلمُوا ﴾ فأفرطوا في الاعتداء و العناد و لم يقبلوا النصح ، و لم ينفع فيهم الرفق ، فاستعملوا معهم الغلظة . فخلاصة الكلام أن الله عز و جل أمر النبي الكريم ﷺ باستخدام عدة طرق للدعوة إلى الله تعالى ، مع كل صنف الطريقة التي تناسبه . و إن اختيار طريقة من تلك الطرق مع الطائفة من الطوائف يتطلب معرفة حال تلك الطائفة حتى تستخدم لها الطريقة الملائمة في الدعوة » ([3]) .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([4]) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة و هو يتوكأ على عسيب معه ، فمر نفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، و قال بعضهم : لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ، ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت ، فلما انجلى عنه ، قال : ﴿ وَيَسْألونكَ عَنْ الروح قل الرّوح مِن أمرِ رَّبي وَ مَا أوتِيتم مِنَ العِلم إلا قليلا ﴾ ([5]) .

([1]) { التوبة : ٧٣ } .
([2]) { العنكبوت : ٤٦ } .
([3]) د. فضل إلهي ، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين ، ص ١٣ – ١٤ .
([4]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، باب قوله تعالى ﴿ وَ مَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلا ﴾ ، رقم ١٢٢ ، ج١ ، ص ٢٩٥ .
([5]) { الإسراء : ٨٥ } .

التخريج : و أخرجه مسلم (١) ، و الترمذي (٢) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يسأل نفر من اليهود النبي ﷺ عن الروح ، و هذا السؤال يراد به إثارة الشبهات ، و لكن النبي ﷺ يستخدم معهم غاية الحكمة في الخطاب ؛ كما جاء في الحديث " فسكت النبي ﷺ " ، يعني أن النبي ﷺ لم يتسرع بالإجابة نفياً أو إثباتاً ، و لكنه انتظر نزول الوحي ليجيب اليهود عن سؤالهم الذي لم يأتي من فراغ ، بل هو مبني على علم عندهم و في كتبهم ؛ و لذلك قال قائلهم : " لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه " ، فعلى الدعاة أن يستخدموا الحكمة و الحنكة و العلم في خطابهم لأهل الكتاب ، فإذا تعرض الداعية لإثارة شبهة حول نص من القرآن أو السنة فعليه أن يبني أجوبته على نصوص الوحيين و بتأني و عمق في الطرح ؛ كما فعل النبي ﷺ .

إننا نجد في هذا الزمان كثيراً من الجهلاء ممن يتصدر للدعوة يتسرع في إجاباته ، و يتسابق في إصدار الفتاوى و دون إدراك لخفايا كثير من الشبهات التي تثار بين الفينة و الأخرى .

و لنستجلي خطورة الشبهات التي تثار في هذا الزمان حول الإسلام ، و التي تعتبر امتداد لشبهات اليهود و النصارى قديماً علينا أن نمعن النظر في النص الآتي : « و ليس في ذاكرة الغرب عن محمد ﷺ إلا ما تلقوه في الكتب المدرسية التي لا تزيد في تعريفه عن كونه بدوياً من عرب مكة ، أتيح له الإتصال ببعض أهل الكتاب في عصره فقبس منهم بعض المبادئ ، ثم لم يلبث أن أقام عليها جديداً جمع لنصرته آلاف الأعوان من الجاهلين الذين أكرهوا شعوبا على اعتناقه بقوة السيف ، و الأدهى من ذلك و الأمر أن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية و الأمريكية من المغرضين ، ماذا ينتظر منهم غير تشويه الحقائق تحت ستار البحث العلمي و حرية الفكر ؟ .

يقول الدكتور و المفكر الفرنسي موريس بوكاي : إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية ، و لا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة ، فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان ، و كيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإنسان . و يقول أيضاً : إن كثيراً من النصارى الذين تربوا في ظل

---

(١) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب صفات المنافقين و أحكامهم ، باب سؤال النبي ﷺ عن الروح ، و قوله تعالى : ﴿ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ ﴾ ، رقم ٦٩٩٠ ، ج٩ ، ص ٧٦ .

(٢) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب من سورة بني اسرائيل ، رقم ٣١٤١ ، ج٥ ، ص ٢٠٨ .

روح عدائية صريحة للمسلمين ، هم مبدئياً أعداء بكل تأمل في الإسلام ، بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة ، صدرت ضد الإسلام ، و لذلك فإنهم يظلون في جهالة لحقيقة الإسلام» (١) .

إن هذا يبين لنا أهمية أن يتصدى لمخاطبة الكتابيين و شبهاتهم أهل الاختصاص و الباع الطويل في ميدان الدعوة ، ليحسنوا مجادلتهم و دعوتهم إلى دين الإسلام .

في نهاية هذا المطلب نعرض جدولاً - يعتبر كالخلاصة لما تقدم ذكره – حول الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب :

طرق مخاطبة أهل الكتاب			
- ١ - بيان اتفاق أنبيائهم مع نبينا ﷺ في أصول العقائد .	- ٢ - الترتيب و التنظيم و التسلسل في عرض الأفكار المطروحة عليهم .	- ٣ - إقامة الحجة و البرهان عند دعوتهم بالنص و العقل .	- ٤ - حسن الرد على شبهاتهم بطريقة علمية و بأسلوب حسن .

المطلب الثالث : رسائل النبي ﷺ إلى الملوك :

لم تقتصر دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام على عامة الناس ، و لكنها امتدت إلى الطبقة العليا وهم الملوك ؛ و ذلك لأنه لا يخاطب فئة محددة ، و إنما يريد لجميع الناس الهداية و الخروج من الظلمات إلى النور ؛ كما يريد لهذا الدين أن يكون ظاهراً على الدين كله ؛ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَو كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾ (٢) ، و في هذا المطلب نذكر بعض نماذج رسائل النبي ﷺ إلى الملوك .

---

(١) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٤ هجري ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٠ .
(٢) { الصف : ٩ } .

<u>الحديث الأول :</u>

أخرج الامام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : بسم الله الرحمن الرحيم : مِنْ مُحمدٍ عبدِ اللهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقلَ عظِيم الرُّوم. سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بعدُ فإنّي أدْعُوكَ بدِعايةِ الإسْلام، أسْلِمْ تسْلَمْ، يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتين. فإنْ توَلَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثْمَ الأريسِيِّين و ﴿ يا أهلَ الكِتابِ تعالوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينكم أنْ لا نعبُدَ إلاَّ اللهَ ولا نُشْرِكَ بهِ شيئاً ولا يَتَّخِذ بعضُنا بعضاً أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ، فإنْ توَلَّوْا فقولوا اشْهَدُوا بأنا مسلمون ﴾ ([٢]) .

<u>التخريج</u> : و أخرجه مسلم ([٣]) ، و أبو داود ([٤]) ، و الترمذي ([٥]) ، و أحمد ([٦]) .

<u>غريب الحديث</u> : الأريسيين : الأتباع الفلاحين ([٧]) .

<u>دلالة الحديث :</u>

في هذا الحديث يرسل النبي ﷺ قواعد راسخة في مخاطبة الملوك ، و دعوتهم إلى الإسلام ، و من هذه القواعد :

القاعدة الأولى: أن النبي ﷺ يخاطب هرقل بقوله : " إلى هرقل عظيم الروم " ، يقول النووي : « ولم يقل هرقل فقط ، بل أتى بنوع من الملاطفة ، فقال : عظيم الروم ، أي الذي يعظمونه و يقدمونه،وقد أمر الله بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال : ﴿ ادْعُ إلى سَبيل رَبِّكَ بالحِكمَةِ وَ المَوعِظةِ الحَسَنة ﴾ ([٨]) ، و قال تعالى : ﴿ فقولا لهُ قوْلا ليِّناً ﴾

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب ﴿ قُلْ يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلى كَلِمَةٍ سَواء ﴾ ، رقم ٤٥٥٣ ، ج٩ ، ص ٥١٤٨ ، و هو جزء من حديث طويل .

([٢]) { آل عمران : ٦٤ } .

([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، رقم ٤٥٨٣ ، ج٦ ، ص ٣٦٩ .

([٤]) أبو داود ، السنن ، كتاب الآداب ، رقم ٥١٣٦ ، ج٥ ، ص ٤٠٩ .

([٥]) الترمذي ، السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في كيف يكتب إلى أهل الشرك ، رقم ٧١٧ ، ج٤ ، ص ٤٤٠ .

([٦]) أحمد ، المسند ، رقم ٢٣٧٠ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٢ ، ج٣ ، ص ٧٩ – ٨٣ .

([٧]) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، ص ١١٢ .

([٨]) { النحل : ١٢٥ } .

(١) ، وغير ذلك » (٢) ، فهذا يدل على وجوب الملاطفة ، و استخدام الحكمة في دعوة الملوك .

القاعدة الثانية : استخدام الترغيب و عظم الأجر في حال استجابة الملوك لدعوة الإسلام ؛ كما قال النبي ﷺ لهرقل : " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " .

القاعدة الثالثة : حرص النبي ﷺ على هداية الجميع إلى الحق ، و نقلهم من الخير إلى الشر ، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية ، و هذا يدل على كمال شريعته ﷺ ، جاء في كتاب مختصر كتاب إظهار الحق « إن شريعته ﷺ اشتملت على الاعتقادات و العبادات و المعاملات و السياسات و الآداب و الحكم بأكمل وجه ، و من نظر إلى هذا الكمال و الشمول في شريعته ﷺ علم أنها من الوضع الإلهي و الوحي السماوي ، و أن المبعوث بها نبي مرسل من الله تعالى ، و لا منشأ للإعتراض عليها إلا حب الفساد الصرف و الإعتساف » (٣).

<u>الحديث الثاني</u> :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده (٤) ، عن انس – رضي الله عنه – أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى ، و إلى قيصر ، و إلى النجاشي ، و إلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى . و ليس للنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

غريب الحديث : كسرى : و هو لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، و قيصر لقب من ملك الروم ، و النجاشي لكل من ملك الحبشة ، و خاقان لكل من ملك الترك ، و فرعون لكل من ملك القبط ، و العزيز لكل من ملك مصر ، و تبع لكل من ملك حمير .(٥)

---

(١) { طه : ٤٤ } .
(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٣٧٤ .
(٣) رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، مختصر كتاب إظهار الحق ، طبع و نشر وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٦ هجري ، ١٩٩٥ م ، تدقيق د. محمد أحمد ملكاوي ، ص ٢٠٧ .
(٤) مسلم الصحيح مع النووي ، كتاب الجهاد و السير ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز و جل ، رقم ٤٥٨٥ ، ج٦ ، ص ٣٧٦ .
(٥) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٣٧٧ .

<u>دلالة الحديث</u> :

جاء في كتاب عالمية الإسلام « و قد حرص ﷺ كل الحرص على دخول الناس في دين الله ، فما ترك وسيلة يبلغ بها رسالة ربه عز و جل إلى القريب و البعيد إلا سلكها ، و كانت رسائله إلى الملوك و الأمراء و العظماء في عصره هي الانطلاقة الأولى للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك .

" عن انس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى و إلى قيصر و إلى النجاشي و إلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى " (١) . و كان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام و نشره و تبليغه للناس ، و تذكيرهم بما سبق التمهيد له و التبشير به على لسان الانبياء ، و دعوتهم إلى الإيمان به . و هذا العمل يدل على صدقه و ثقته بنصر ربه ، و قد كان أتباعه في ذلك الوقت قليلين مستضعفين ، فضلاً عن ان يكون لديه من العدد و العدة ما لدى الفرس و الروم و غيرهم ، و إلا فكيف يخاطر بذلك ؟ و يظهر هذا الأمر من محتوى الرسائل ، حيث يقول فيها : " إن ديني سيظهر إلا منتهى الخف و الحافر " . علماً بأن الدعوة إلى الله تعالى بطريق الرسائل و الوفادات و إقام الحجج و البراهين من اعمال الأنبياء ، و ليس من قبيل التحدي العسكري أو السياسي، كما دعى موسى عليه السلام فرعون إلى عبادة الله وحده.

و قد من الله على بعض الملوك و الامراء الذين أرسل إليهم ، فدخل بعضهم في الإسلام ، و أسلم معهم قومهم ، و ردّ بعضهم ردّاً جميلا ، فأكرموا السفراء ، و أرسلوا ببعض الهدايا » (٢) .

جاء في كتاب زاد المعاد في سياق بيان رسائل النبي ﷺ إلى الملوك : « وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهمي إلى كسرى، واسمه أبرويز بن هُرمز ابن أنوشروان، فمزق كتابَ النبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ مَزِّقْ مُلكه» فمزق الله ملكه، وملك قومه.

وبعث حاطب بن أبي بَلتعة إلى المُقَوْقِس، واسمه جُريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط، فقال خيراً، وقارب الأمر ولم يُسلم، وأهدى للنبي مارية، وأختيها سيرين وقيسرى، فتسرى مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وأهدى له جارية أخرى، وألفَ مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دُلدل، وحماراً أشهب، وهو

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، ص ٧ – ٨ .

عُفير، وغلاماً خصياً يقال له: مابور. وقيل: هو ابن عم مارية، وفرساً وهو اللزاز، وقدحاً من زجاج، وعسلاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ضَنَّ الخبيث بملكِهِ، وَلاَ بَقَاءَ لِمُلْكِهِ».

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني ملك البلقاء، قاله ابن إسحاق والواقدي. قيل: إنما توجه لِجَبَلَة ابنِ الأَيْهَم. وقيل: توجه لهما معاً. وقيل: توجه لهرقل مع دِحية بن خليفة، والله أعلم.

وبعث سَلِيطَ بن عمرو إلى هَوْذَة بن علي الحنفي باليمامة، فأكرمه. وقيل: بعثه إلى هوذة وإلى ثمامَة بنِ أثال الحنفي، فلم يُسْلِمْ هَوذة، وأسلم ثمامة بعد ذلك، فهؤلاء الستة قيل: هم الذين بعثهم رسولَ الله في يوم واحد.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد الله ابني الجُلَندَى الأزديين بعُمان، فأسلما، وصدقا، وخلّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل فيما بينهم حتى بلغته وفاة رسول الله .

وبعث العلاء بن الحَضْرمي إلى المنذر بن سَاوَى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من «الجِعْرَانةِ» وقيل: قبل الفتح فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كُلال الحِميري باليمن، فقال: سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك. وقيل: بل سنة عشر من ربيع الأول داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهلها طوعاً من غير قتال.

ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب إليهم، ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبد الله البَجَلي إلى ذي الكلاع الحِميري، وذي عمرو، يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما، وتوفي رسولُ اللهِ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضَّمْري إلى مسيلمَة الكذاب بكتاب، وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يُسلم.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجُذامي يدعوه إلى الإسلام. وقيل: لم يبعث إليه، وكان فروة عاملاً لقيصر بمعان، فأسلم، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وبعث إليه هدية مع مسعود بن سعد، وهي بغلة شهباء يقال لها: فضة، وفرس يقال لها: الظَّرب، وحمار يقال له: يعفور، كذا قاله جماعة، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن عفيراً ويعفور واحد، عفير تصغير يعفور تصغير الترخيم.

وبعث أثواباً وقَبَاءً مِنْ سندس مُخَوَّصٍ بالذهب، فقبل هديته، ووهب لمسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشاً.

وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث، ومسروح، ونعيم بني عبد كلال من حمير » (١) .

و السؤال المطروح هنا : ماذا يستفيد الداعية في هذا الزمان من عرض خطاب النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ؟ .

لا شك أن الفائدة العظمى تتمثل في قوة هذا الدين الذي يتكلم الدعاة باسمه ، و لو أحسنوا فهم هذا الدين و أحسنوا عرضه لوصلت دعوتهم إلى أعتى ملوك الأرض ، و إلى الناس كافة ؛ كما أن الداعية يرى تجسد قوله تعالى : ﴿ فقولا لهُ قوْلاً ليِّناً ﴾ (٢) في خطاب النبي ﷺ للملوك، و إن من أعظم الفوائد كذلك فهم قول الله عز و جل الوارد في سورة مريم :﴿ يَا يَحيَى خُذ الكِتابَ بقوَّة ﴾ (٣) ، و هو ما كان ينطلق منه النبي ﷺ في رسائله حيث خاطب الملوك بمنتهى القوة دون خوف أو تردد ، لاعتقاده اعتقاداً جازماً بوجود المعية الإلهية معه مستحضراً قوله تعالى : ﴿ لا تحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا ﴾ (٤) و قوله تعالى : ﴿ كلا إنَّ مَعِيَ رَبي سَيَهْدِين ﴾ (٥) .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، فصل في كتبه و رسله إلى الملوك ، ج ١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ ، ص ٨٦ .
(٢) { طه : ٤٤ } .
(٣) { مريم : ١٢ } .
(٤) { التوبة : ٤٠ } .
(٥) { الشعراء : ٦٢ } .

المبحث الثاني
التدرج في عرض مادة الخطاب على غير المسلمين

المطلب الأول : فقه الأولويات و أهميتها في الخطاب

لا بد لنا في بداية هذا المطلب من الوقوف على تعريف فقه الأولويات ، لنستطيع الولوج في أعماق هذا الموضوع المهم .

جاء في كتاب فقه الأولويات : « تعريف الفقه : كلمة الفقه كما هو معروف يقصد يها العلم بالشيء و الفهم له . يقال : فقه الشيء أو الكلام أي فهمه ، تعريف فقه الاولويات : إذا كان مصطلح الأولويات لم يعرفه أحد – حسب اطلاعي – فإن فقه الأولويات سبق أن عرف . و أول من عرّفه – و لا أحسب أن أحداً آخر عرفه – هو الدكتور يوسف القرضاوي .

فقد عرفه في كتابه " أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة " بقوله : و أما فقه الأولويات فنعني به وضع كل شيء في مرتبته ، فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير ، و لا يصغر الأمر الكبير ، و لا يكبر الأمر الصغير . إلا أن هذا التعريف لو سلك فيه المعرف المنهج المتعارف عليه و هو التعريف الجزئي أولاً ، ثم التعريف الإضافي ثانياً ، لجاء أكثر دقة و أكثر ضبطاً .... إلى أن يقول : فقه الأولويات هو : العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناءً على العلم بمراتبها و بالواقع الذي يتطلبها » (١) .

و على ضوء التعريف السابق نستطيع أن نلج إلى هذا الموضوع و أن نقف على بعض الأحاديث التي جاءت فيه .

الحديث الأول :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده (٢) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا على اليمن ، قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب، ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم

---

(١) محمد الوكيلي ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن – فيرجينيا - ط ١ ، ١٤١٦ هجري ، ١٩٩٧ م ، ص ١٥ – ١٦ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤ .

و ليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم ، و ترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم و توق كرائم أموالهم .

دلالة الحديث :

إن هذا الحديث هو منهج تربوي خطه النبي ﷺ لأصحابه – رضي الله عنهم – مستمداً ذلك من المنهج القرآني ، فالقرآن لم ينزل جملة واحدة ، و إنما نزل منجماً ، يتدرج في الرقي بالمجتمع و في اقتلاع الفساد الاجتماعي المتجذر شيئاً فشيئاً ، و هكذا بدأ بأحكام العقيدة قبل أحكام الشريعة ، و نلاحظ أن النبي ﷺ في هذا الحديث ابتدأ لمعاذ بالعقيدة قبل الشريعة ، فأمره بالتوحيد ثم الصلاة ، مقدماً في كل هذا الأهم على المهم .(١)

ذكر لي بعض الثقات عن بعض الدعاة في هذا العصر ، أنه كان يدرس في بريطانيا ، و يعظ الناس عن الفرق بين الناسخ و المنسوخ ، و هذا يعتبر من العقم في الخطاب ؛ لأنه يخاطب أناس لا يعرفن بديهيات العلم الشرعي ، فكان حرياً به أن يبين لهم أحكام الشهادتين و الصلاة و أركان الإسلام و ما يصلح به امور دينهم . إن هذا العقم في الفهم ، و هذه السلبية في الخطاب هي التي قادت الكثير من الناس إلى النفور من هذا الدين ، و قد ذكرت هذا المثال لأدلل على انعدام فقه الأولويات عند الكثير ممن يتصدر لميدان الدعوة و خلطهم في الأمور التي يجب أن تقدم للناس .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : إذا وضع العَشاء و أقيمت الصلاة فابدءوا بالعَشاء .

---

(١) انظر غير مأمور فقه الأولويات ، محمد الوكيلي ، ص ٦١ – ٦٢ .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأطعمة ، باب إذا حضر العِشاء فلا يعجل عن عَشَاءه ، رقم ٥٤٦٢ ، ج١١ ، ص ٦٥٥٨ .

<u>التخريج</u> :وأخرجه مسلم (١) ، والترمذي (٢) ،والنسائي (٣) ، و ابن ماجه (٤) ، و أحمد (٥) .

<u>دلالة الحديث :</u>

إن هذا التوجيه النبوي يدل على فقه الأولويات الذي أمر به النبي ﷺ ، سواءً بلسان حاله أو بلسان مقاله ، فالنبي ﷺ يريد من المصلي أن يتفرغ كلياً للعبادة ، و لا يكون ذهنه منشغل بالطعام أو بغيره ، يقول النووي في شرح هذا الحديث : « في هذه الأحاديث كراهة الصلاة لحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به ، و ذهاب كمال الخشوع ، و كراهتها مع مدافعة الأخبثين و هما البول و الغائط ، و يلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب و يذهب كمال الخشوع » (٦) .

لا بد لنا أن نفقه مثل هذه الأحاديث ، و بخاصة عند توجيه الخطاب لغير المسلمين ، فنرتب الأمور حسب أولويتها عند دعوتنا لغيرنا ، و ما حصل الإفساد إلا من خلال جهلة من الناس تصدروا لما لا يحسنون ، فضلوا و أضلوا ، وجعلوا الولاء و البراء في أمور فقهية ، مثل إطالة اللحية و تقصير الثوب ، و شعر الخدين وجوداً و عدماً ، فترى الجاهل من هؤلاء ينظر إليك طولاً و عرضاً ليرى طول ثوبك و قصر لحيتك ، ثم تكون عداوته لك على ضوء ذلك ، فإذا ما انتقل هؤلاء إلى خطاب غير المسلمين ، فسيكون إفسادهم أكثر ، و تشويههم لصورة الدين أعظم ، لعدم مراعاتهم لفقه الأولويات الذي أمر فيه الشارع الحكيم .

<u>الحديث الثالث :</u>

---

(١) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ، رقم ١٢٤١ ، ج٣ ، ص ٢٦٣ .
(٢) الترمذي ، السنن ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء إذا حضر العشاء و أقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ، رقم ٣٥٣ ، ج١، ص ٣٨ .
(٣) النسائي ، السنن ، كتاب الآذان ، باب العذر في ترك الجماعة ، رقم ٨٥٢ ، ج٢ ، ص ١١١ .
(٤) ابن ماجه ، السنن ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، باب إذا حضرت الصلاة و وضع العشاء ، رقم ٩٣٣ ، ج١ ، ص ٣٦٤ .
(٥) أحمد ، المسند ، رقم ٤٧٠٩ ، ج٤ ، ص ٣٦٨ .
(٦) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٣٦٥ .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([١]) عن مالك بن الحويرث – رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومه ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، و كان حليماً رفيقاً ، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا ، قال : ارجعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم ، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة ؛ فليؤذن لكم أحدكم ،وليؤمكم أكبركم .

دلالة الحديث :

يبتدأ النبي ﷺ في هذا الحديث بالأهم ثم المهم بقوله :" علموهم ، و صلوا " فابتدأ بالعلم قبل الصلاة ، وهذا متوافق مع قوله تعالى ﴿ فاعْلم أنَه لا إله إلا الله ﴾ ([٢]) ، فقدم سبحانه العلم على أساس الإسلام و هو الشهادتين ؛ لأن الشهادتين تحتاج إلى علم بمضمونها قبل النطق بها ؛ و لأن الجاهل يفسد في عبادته أكثر مما يصلح ، ولذلك نجد البخاري يضع باباً خاصاً بعنوان " باب العلم قبل القول و العمل لقوله تعالى ﴿ فاعْلم أنَه لا إله إلا الله ﴾ فبدأ بالعلم " ([٣]) .

الحديث الرابع :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([٤])عن ابن مسعود قال : يَقولُ : قالَ لنا رَسُولُ اللهِ : يَؤُمُّ القَوْمَ أقرَأهُمْ لِكِتابِ الله وَأقدَمُهُمْ قِرَاءَةً. فإنْ كانتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فليَؤُمَّهُمْ أقدَمُهُمْ هِجْرَةً. فإنْ كانوا فِي الهجْرَةِ سَوَاءً فليَؤُمَّهُمْ أكبَرَهُمْ سِناً. وَلا تؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أهْلِهِ وَلا فِي سُلطانِهِ. وَلا تجْلِسْ عَلى تكرِمَتِهِ. فِي بَيْتِهِ، إلاَّ أنْ يَأذنَ لكَ. أوْ بإذنِهِ .

التخريج : و أخرجه أبو داود ([٥]) ، و الترمذي ([٦]) ، و النسائي ([٧]) ، و ابن ماجه ([٨]) ، و أحمد ([٩]) .

دلالة الحديث :

([١]) سبق تخريجه ص ٤٩ .
([٢]) { محمد : ١٩ } .
([٣]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، ج١ ، ص ٢١٠ .
([٤]) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٤٨٤ ، ج ٥ ، ص ١٤٣ .
([٥]) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٥٨٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
([٦]) الترمذي ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٢٣٣ ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
([٧]) النسائي ، السنن ، كتاب الإمامة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٧٧٨ ، ج٢ ، ص ٤١٠ .
([٨]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب إقامة الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٠١٣ ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
([٩]) أحمد ، المسند ، رقم ١٦٧٦٦ ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يقدم الأعلم بكتاب الله في إمامة الصلاة ، ثم الأعلم بالسنة إن تساوو في القراءة و العلم بكتاب الله ، ثم الأقدم هجرة إن كانوا في السنة سواء ، ثم الأقدم سناً إن كانوا في الهجرة سواء ، و هذا دليل واضح على مراعاة النبي ﷺ لفقه الأولويات ، سواء في الأمور التعبدية أو الفكرية أو غيرها ، يقول الدكتور العلواني حول قضية مراعاة الأولويات في الأمور الفكرية و غيرها : « إنه ما من سبيل للخروج من الخلل الفكري الذي أصاب العقل المسلم ، و الأزمة الأخلاقية التي يعاني منها السلوك المسلم ، إلا بمعالجة جذور الأزمة الفكرية و إصلاح مناهج التفكير ، فلا بد من إعادة الصياغة الفكرية للعقول ، و إعادة الترتيب المفقود للأولويات و تربية الأجيال المسلمة على ذلك ؛ و لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه الصدر الأول من أسلافنا من تمسك بكتاب ربهم و سنة رسولهم ﷺ » (١) .

إن عدم ترتيب الأولويات يقود إلى التخبط ، و السير على طريقة من يقرأ ﴿ فَوَيلٌ لِلمُصَلِّين ﴾ (٢) و يقف عليها ، و هذا يقود إلى صورة مبتورة ، و جملة غير مكتملة ، تعطي معناً مغلوطاً و فهماً سقيماً ، و لا بد من عرض بعض فروض أولويات العصر المتفق عليها .

يقول محمد الوكيلي : « بناءً على المحدد الظرفي الواقعي فإن هناك عدة أعمال تعتبر من فروض عصرنا و من أولوياته ، يجب أن تولى العناية و تقدم على غيرها منها : العناية بفقه المعاملات ، السعي نحو الاتفاق و الوحدة ، أسلمة العلم و التعليم ، غرس التربية الدينية و الأخلاقية » (٣) .

بعد هذا العرض لبعض الأحاديث التي تعنى بفقه الأولويات فإننا نخلص إلى القواعد التالية في فقه الأولويات :

قواعد فقه الأولويات		
معرفة الأهم فالمهم و عرض الإسلام على أساس ذلك .	تصدر العلماء العارفين بفقه الأولويات لميدان	الإحاطة بمستجدات هذا العصر و ترتيب الاولويات على حسب ذلك .

(١) د . طه جابر علواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدار العربية للعلوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٥ .
(٢) { الماعون : ٤ } .
(٣) محمد الوكيلي ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط ، ص ١٨٣ – ١٨٧ .

	الدعوة و بخاصة لغير المسلمين .	

المطلب الثاني :

إبراز وسطية الخطاب الدعوى في ضوء الهدى النبوى :

إن إبراز وسطية الخطاب الدعوي تنبع من الفهم العميق للنصوص التي تدل على هذه الوسطية ، من مثل قوله تعالى : ﴿ وَ كذلِكَ جَعَلنكم أمَّة وَسَطا لِتكونوا شهَدَاءَ عَلى النَّاس وَ يَكونَ الرَّسُولُ عَليكم شَهيدا ﴾ (١) ، و نلاحظ بأن الآية جاءت في وسط سورة البقرة تماماً ، إذ إن عدد آيات سورة البقرة مئتان و ست و ثمانون آية ، و جاءت آية الوسطية برقم مئة و ثلاث و أربعون ، ليتوافق المعنى مع رقم الآية ، مما يدل على تحقق الوسطية لفظاً و رقما و معنى ؛ و لذلك فإن على الدعاة إبراز هذه الوسطية في الخطاب ، و بخاصة لغير المسلمين ، إذ أن أكثر الاتهامات بالإرهاب و التطرف و العنف الموجهة للإسلام و المسلمين تأتي من أمثال هؤلاء ، و سنبين في هذا المطلب بعض الأحاديث التي تدل على وسطية هذا الدين ، و وجوب انتهاج الدعاة للوسطية في خطابهم سيراً على خطى النصوص القرآنية و النبوية .

الحديث الأول :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار و تقوم الليل؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم و أفطر ، و قم و نم ؛ فإن لجسدك عليك حقاً ، و إن لعينك عليك حقا ، و إن لزوجك عليك حقا ، و إن لزورك عليك حقا ، و إن لحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ؛ فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ؛ فإن ذلك صيام الدهر كله ، فشددت ، فشدد عليّ ، قلت : يا رسول الله إني أجد قوة ، قال : فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ، و لا تزد عليه ، قلت : و ما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال : نصف الدهر ، فكان عبد الله يقول بعدما كبر : ياليتني قبلت رخصة النبي ﷺ .

---

(١) { البقرة : ١٤٣ } .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الصوم ، باب حق الجسم في الصوم ، رقم ١٩٧٥ ، ج٥ ، ص ٢٥٩٩ .

التخريج : و أخرجه مسلم ([١]) ، وابو داود ([٢]) ،والترمذي ([٣]) ، و النسائي ([٤]) ، وابن ماجه ([٥]) ، و أحمد ([٦]) .

دلالة الحديث :

لا شك أن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على مفهوم الوسطية ، فالنبي ﷺ يبين لعبد الله بن عمرو كيفية العبادة دون إفراط ولا تفريط ، و بما يحفظ التوازن بين حظ النفس و حق الرب ، و لما طلب عبد الله من النبي ﷺ أن يزيده في عدد الأيام التي سيصومها ، تمنى في شيخوخته أن لو أخذ بنصيحة النبي ﷺ ؛ لأن جسده بعدما كبر لم يستطع التحمل مثلما كان شاباً .

إن هذا الحديث يؤسس قاعدة ينطلق منها الداعية في أمور عبادته و دعوته للناس ، و بخاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه المفاهيم عند كثير من الناس فأصبحوا لا يفرقون بين السنة و الواجب ، و غدت السنة عندهم واجباً و المكروه محرماً ؛ كما أخذوا يلزمون الناس بفهمهم السقيم مما أدى إلى الغلو في الدين و إعطاء الناس صورة مغلوطة عن حقيقته ، و قادهم ذلك كله إلى ترك تعاليمه و الإنحلال من أوامره و نواهيه ، و لو أبرزت أمثال هذه الأحاديث و شرحت للناس لرغبوا في أن يتمسكوا فيما أمرهم به القرآن العظيم و السنة المطهرة ، يقول الدكتور محمد عمارة عن الوسطية الإسلامية : « هي التي برأت من الغلو و الإغراق في المادية أو في الروحانية ، و إذا كانت المدنية الاوروبية – كما يقول الإمام محمد عبدو – هي مدينة الملك و السلطان مدنية الذهب و الفضة ، مدنية الفخفخة و البهرج ، مدينة الختل و النفاق ، و حاكمها الأعلى هو الجنيه عند قوم ، و الليرة عند قوم آخرين ، و لا دخل للإنجيل في شيء من ذلك ، فلقد ظهر الإسلام ، لا روحياً مجداً و لا جسدياًَ جامداً ، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك ، آخذاً من كلا القبيلين بنصيب ، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، و لذلك سمى نفسه دين الفطرة

([١]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ، أو فوت به حقا ، رقم ٢٧٢١ ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ .

([٢]) أبو داود ، السنن ، كتاب الصيام ، باب في صوم الدهر ، رقم ٢٤٢٧ ، ص ١٧٩ ، رقم ٢٤٤٨ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .

([٣]) الترمذي ، السنن ، أبواب الصوم ، باب ما جاء في سرد الصوم ، رقم ٧٧٠ ، ج٢ ، ص ١٣١ .

([٤]) النسائي ، السنن ، كتاب الصيام ، باب صوم نبي الله داود ، رقم ٢٣٤٤ ، ج٤ ، ص ١٩٨ .

([٥]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيام الدهر ، رقم ١٧٠٦ ، ج٢ ، ص ١٠٠ .

([٦]) أحمد ، المسند ، رقم ٦٤٩١ ، ج٦ ، ص ٤٥ ، و رقم ٦٩٢١ ، ج٦ ، ص ٣٩٦ .

، و عرف ذلك له خصوه اليوم ، و عدوه المدرسة الأولى التي يرقى البابرة على سلم المدنية » (١) .

الحديث الثاني :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل و هو أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ، و ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط ،و إني لأسبحها .

التخريج : و أخرجه مسلم (٣) ، و مالك (٤) .

دلالة الحديث :

نلاحظ قول السيدة عائشة – رضي الله عنها - : " إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل و هو يحب أن يعمل به " ؛ فالنبي ﷺ لرأفته بالناس و رحمته بهم ، يحرص على عدم إيقاعهم في العنت و المشقة ، وهذه الصورة من صور وسطية هذا الدين ؛ فالأصل أن نبين للناس قولاً و عملاً ما يعكس هذه الوسطية و هذه الرحمة التي تعد من أبرز صفات هذا الدين ، و أبرز صفات نبيه الكريم ﷺ ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ لقَدْ جَاءَكُم رَسُلٌ مِن أنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلِيهِ مَاعَنِتُم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحِيم ﴾ (٥) ، و من الأدلة على رحمة هذا الدين ووسطيته أنه لا يعاقب المذنب مباشرة و لكن يعطيه الفرصة للتراجع و التوبة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ قلْ يَا عِبَادِيَ الذينَ أسْرَفوا عَلى أنفسِهِم لا تقنطوا مِنْ رحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنُوبَ جَمِيعًا إنَّـهُ هُوَ الغفورُ الرَّحِيم ﴾ (٦) .

---

(١) د. محمد عمارة ، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي و الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٣ هجري ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ،كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل و النوافل من غير إيجاب ، رقم ١١٢٨ ، ج ٣ ، ص ١٥٤٥ .

(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ،كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب استحباب صلاة الضحى و أن أقلها ركعتان ، رقم ١٦٥٩ ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٤) مالك ، الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب صلاة الضحى ، رقم ٢٩ ، ج١ ، ص ١٤٣ .

(٥) { التوبة : ١٢٨ } .

(٦) { الزمر : ٥٣ } .

و من الأدلة على وسطية هذا الدين و عدم ابتغاءه العنت و المشقة للناس ، أنه أسقط الصيام عن المريض و العاجز و الكبير و المرضع و الحامل إذا تضررتا ، و كذلك رخص في قصر الصلاة للمسافر و الحاج ، و الأمثلة كثيرة في الفقه الإسلامي التي تدل على وسطية التكاليف الشرعية .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([1]) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن أعرابياً بال في المسجد ، فقاموا إليه ، فقال رسول ﷺ : لا تزرموه ، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه .

غريب الحديث : لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله ([2]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث تطبيق عملي لمفهوم الوسطية من قبل النبي ﷺ ، فليس هناك أكبر جرماً و أعظم ذنباً من البول في المسجد ؛ كما دل على ذلك ردود أفعال الصحابة – رضي الله عليهم - ، و لكن النبي ﷺ و هو معلم البشرية يوضح للصحابة كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف ، بقوله لهم : " لا تزرموه " أي لا تقطعوا عليه بوله ، و هذا نهي لهم عن استخدام الغلظة و الشدة بحق ذلك الأعرابي ؛ لأن ذلك سينفره من هذا الدين ، و هذه هي الوسطية بعينها ، فلا إفراط و لا تفريط ، فالنبي ﷺ أخذ بعين الاعتبار جهل ذلك الأعرابي ، و عدم معرفته بحرمة المسجد فعالج الموقف برحمة و لطف .

إن هذا الدين لا يدعو إلى العنف و الغلظة ، بل يدعو إلى الرفق و الرحمة ، و إن الصور التي نراها اليوم من قبل البعض بحيث يجرمون الغير ، و يقتلونهم بدعوى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لا تعكس الصورة الحقيقة لهذا الدين ، بل تعكس الفهم السقيم الذي قاد إلى مثل هذه الأفعال ، و لقد أكدت رسالة عمان السامية على هذه المفاهيم

([1]) سبق تخريجه ص ٥٢ .
([2]) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٢ ، ص ٧٢٢٠ .

، و دعت جميع الطوائف و الفرق إلى إبراز وسطية هذا الدين و رحمته و نبذ العنف و التطرف .

وسنذكر فيما يأتي مثالاً على تصرفات المكفرين والغلاة و التي تنافي وسطية هذا الدين ؛ لنوضح الفرق بين من تلبس بلبوس الدين و بين حقيقة هذا الدين ، يقول الشيخ محمد جميل زينو تحت عنوان " من أخلاق المكفرين " : « نزلت ضيفاً عند أحد الخطباء ، و ذهبت معه إلى المسجد يوم الجمعة ، و كفر حكام المسلمين بغير دليل شرعي و لا برهان ، و لما جئت إلى بيته قال لي والد زوجته : إن الشيخ ضرب زوجته على عينها بكأس الشاي ، فتأثرت عينها ، و هي ابنتي ، فقلت لهذا الشيخ : أنت كفرت الحكام لأنهم في زعمك لا يحكمون بما أنزل الله ، و أنت في بيتك لم تطبق حكم الله على أهلك ، لأن الرسول ﷺ يقول : " إذا ضرب أحدكم خادمه فليجتنب الوجه " . متفق عليه . فسكت و لم يعطي جواباً .

فإذا كان ضرب الخادم على وجهه لا يجوز ، فكيف بضرب الزوجة و غيرها ، لأن الوجه فيه السمع و البصر و الأنف ، و هي من الحواس التي تتأثر بالضرب » ([1]) .

و كم من الأمثلة التي تدل على جهل هؤلاء ، و إساءتهم لهذا الدين ، و تنفيرهم للناس منه ، و لنستمع إلى ما يقوله : - صاحب كتاب الإرهاب – عن كيفية علاج مرض الغلو و الذي يصادم الوسطية مصادمة مباشرة : « إن علاج هذا المرض بل الوقاية منه هو في التوعية الإسلامية الرشيدة التي لا يحسنها إلا العلماء » ([2]) .

الحديث الرابع :

قال أبو داود ([3]) : حدثنا ابنُ المُثَنَّى أخبرنا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ أخبرنا أبي قال سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ أيُّوبَ يُحَدِّث عن يَزِيدَ بن أبي حَبيبٍ عن عِمْرَانَ بنِ أبي أنَسٍ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جُبَيْرٍ المصري عن عَمْرِو بنِ العَاصِ قال: احْتَلَمْتُ في لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ في غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاسِلِ، فأشْفَقْتُ إنْ أغتسِلت أن أهْلِكَ فتيَمَّمْتُ ثمَّ صَلَّيْتُ بأصْحَابي الصُّبْحَ، فذكروا ذلِكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من

([1]) محمد بن جميل زينو ، التحذير من فتنة الكفر و التكفير ، ص ٩٠ .
([2]) زيد بن محمد المدخلي ، الإرهاب و آثاره على الأفراد و الأمم ، مكتبة الفرقان ، عمان ، ١٤٢٠ هجري ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٤ .
([3]) أبو داود ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم ، رقم ٣٣٤ ، ج ١ ، ص ٥٣٠ .

الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول ﴿ وَلا تقتلوا أنفُسَكُمْ إنَّ الله كانَ بكُمْ رَحِيماً ﴾ ([١]) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا .

التخريج : و أخرجه أحمد ([٢]) .

دراسة الإسناد :

ابن المثنى : أبو موسى محمد بن المثنى : ثقة ثبت ([٣]) . وهب بن جرير : وهب بن جرير بن حازم : ذكره ابن حبان في الثقات ، و قال النسائي : ليس به بأس ([٤]) . جرير : هو جرير بن حازم ، قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين : ثقة ، و قال النسائي : ليس به بأس ([٥]) . يحيى بن أيوب : يحيى بن أيوب الغافقي ، قال اسحق بن منصور عن ابن معين : صالح ، و قال مرة : ثقة ، و ذكره ابن حبان في " الثقات " ([٦]) . يزيد بن أبي حبيب : و اسمه سويد الأزدي ، قال الليث : يزيد بن أبي حبيب سيدنا و عالمنا ، ذكره ابن حبان في " الثقات " ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ([٧]) . عمران بن أبي أنس : قال أحمد و ابن معين و أبو حاتم و النسائي : ثقة ([٨]) . عبد الرحمن بن جبير المصري : قال النسائي : ثقة ، و ذكره ابن حبان في " الثقات " ، روى له مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي ([٩]) .

درجة الحديث : إسناده صحيح .

دلالة الحديث :

([١]) { النساء : ٢٩ } .
([٢]) أحمد ، المسند ، رقم ١٧٤٧٩ ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
([٣]) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، رقم ٦٥٥٢ ، ج ٩ ، ص ٣٦٨ .
([٤]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٨٧٠٧ ، ج ٦ ، ص ١٩٩ .
([٥]) المزي ، تهذيب الكمال ، رقم ١٠٠٠ ، ج ٣ ، ص ٧٥ .
([٦]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ،رقم ، ٨٤٧٤ ، ج ٦ ، ص ١٩٩ .
([٧]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٨٩٤٦ ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ .
([٨]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٦٠٢٣ ، ج ٤ ، ص ٤٦٣ .
([٩]) المزي ، تهذيب الكمال ، رقم ٤٢٥٥ ، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ .

إن في إقرار النبي ﷺ لعمرو بن العاص على ما فعله ، لصورة واضحة على سعة هذا الدين ، و أنه بريء من التشدد و الغلو ، و لقد رأينا كيف استشهد عمرو بن العاص لما فعله بقول الله تعالى : ﴿ وَلا تقتلوا أنفسَكمْ إنَّ الله كانَ بكمْ رَحِيماً ﴾ (١) ، فالله رحيم بعباده ، و لذلك جعل الأمر في التكاليف الشرعية واسع ، و جاء الاختلاف بين العلماء رحمة لهذه الأمة ، و لكن ضيق هذه الرحمة تشنج بعض الناس و ادعائهم احتكار الحقيقة .

يقول الدكتور طه جابر العلواني حول موضوع الاختلاف : « إن الاختلاف في وجهات النظر ، و تقدير الأشياء و الحكم عليها أمر فطري طبيعي و له علاقة بالفروق الفردية إلى حد كبير ، إذ يستحيل بناء الحياة ، و قيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية و النمطية المتطابقة ، إذ لا مجال – عندئذ – للتفاعل و الإكتساب و العطاء ! ذلك أنه من طبيعة الأعمال الذهنية و العملية اقتضاء مهارات و قدرات متفاوتة و متباينة ، و كأن حكمة الله تعالى اقتضت أن بين الناس بفروقهم الفردية – سواء أكانت خلقية أم مكتسبة – و بين الأعمال في الحياة قواعد و التقاء ، و كل ميسر لما خلق ، و على ذلك فالناس مختلفون و المؤمنون درجات ، فمنهم الظالم لنفسه ، و منهم المقتصد و منهم السابق بالخيرات . ﴿ وَ لو شَاءَ رَبُّك لجَعَلَ النَّاسَ أمَّة وَاحِدَة وَ لا يَزَالونَ مُخْتلِفين ﴾ (٢) .

و مما يؤسف له أن تحول الاختلاف بوجهات النظر من ظاهرة صحة تغني العقل المسلم بخصوبة رأي ، و عمق تمحيص ، و اطلاع أوسع على وجهات نظر متعددة و زوايا رؤية مختلفة و إمعان نظر و تدقيق و قدح لزناد الفكر تحول عن كل هذه الإيجابيات عند مسلمي عصر التخلف إلى مرض عضال و سم زعاف أدى إلى التآكل و التفتت و التشتت و التدابر و التناحر ، حتى كاد يصل الأمر عند بعض المختلفين إلى حد التصفية الجسدية ، و تطرف البعض الآخر منهم حتى أخذ يرى – بمقايسات محزنة – أن أعداء الدين و أهل الكتاب أقرب إليه من المخالفين له بالرأي من إخوانه المسلمين الذين يلتقون معه على أصول العقيدة و صفاء التوحيد . و لهذا في التاريخ القريب و البعيد شواهد كثيرة يؤسف لها و يتحسر على طاقات الأمة الهائلة التي أهدرت وقوداً لنار الفتن و الاختلاف التي ما زادتها إلا استعاراً و تأججاً و العياذ بالله .

كثيراً ما يعجز الإنسان عن النظرة الكلية السوية للأمور ، و الرؤية الشاملة المتزنة للأبعاد المتعددة للمسائل فيضيق ذهنه على جزئية صغيرة يضخمها و يكبرها و يقبع وراءها

---

(١) { النساء : ٢٩ } .
(٢) { هود : ١١٨ } .

و ينفخ فيها حتى تستغرقه ، و تأخذ لباب فكره إلى درجة لا يمكن أن يرى معها شيئاً آخر أو إنساناً آخر يخطئه ، فيفاضل عليها ، و يوالي عليها ، و يحب و يبغض فيها ، و قد يستنصر و يتقوى بأعداء الدين على صاحب الرأي المخالف .

يروى أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحسوا الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا و دعوني و إياهم ، و كانوا قد أشرفوا على العطب . فقالوا : شأنك . فخرج إليهم ، فقالوا : ما أنت و أصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله و يعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناك ، قال : فعلمونا . فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، و جعل يقول : قد قبلت أنا و من معي . قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ، قال : ليس ذلك لكم ، قال الله تبارك و تعالى : ﴿ وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (١) فأبلغونا مأمننا ، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذاك لكم . فساروا بأجمعهم حتى بلغوا المأمن .

لقد وصلت حدة الاختلاف إلى مرحلة أصبح المشرك معها يأمن على نفسه عند بعض الفرق الاسلامية التي ترى أنها على الحق المحض أكثر من المسلم المخالف لها بوجهة النظر و الاجتهاد في مسائل فرعية و جزئية حيث أصبح لا سبيل معها للخلاص من الأذى و العذاب إلا بإظهار صفة الشرك !! .

إنه اختلاف الأهوج ، و الهوى الغالب الذي يتطور و يتضخم ة تتعمق أخاديده في القلوب فيسيطر على الشخص و يتملك عليه حواسه و عقله حتى ينسى معها المعاني الجامعة و الكليات العامة ، و الصعيد المشترك و الغايات و المقاصد و القواعد الأصيلة للإسلام . فيعدم صاحبه البصيرة و الإبصار و ينسى أبجديات الخلق الإسلامي فتضطرب الموازين و تختل الرؤية و تختلط الأوراق و تختفي الأولويات و يسهل القول بغير علم و الفتوى بغير نور و العمل بغير دليل و ينتشر التفسيق و التكفير و الاتهام . و يسقط ذلك المريض في هاوية التعصب الأعمى السحيقة و تظلم الدنيا من حوله فلا يكاد يرى إلا سواداً و ظلمة كالحة و ما هي – في حقيقة الأمر – إلا انعكاس لنفسيته المظلمة التي انطفأ فيها نور العلم و خبت منها جذوة التعقل ﴿ وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور ﴾ (٢) » . (٣)

---

(١) { التوبة : ٦ } .
(٢) { النور : ٤٠ } .
(٣) د. طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدار العربية للعلوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١١ – ١٣ .

إن هذا الكلام الماتع للدكتور العلواني يبين خطر الاختلاف و أثره في تفرق الأمة و تشتتها شيعا ، و إن الاختلاف المذموم الذي يرى صاحبه أنه يحتكر الحقيقة يضاد الوسطية و يخالفها تمام المخالفة ، و يوقع في التطرف الذي نراه في أيامنا هذه ، و التي قادت إلى فرقة الأمة و تشتتها و استباحة مقدراتها .

إن الأمثلة من السنة النبوية على وسطية و سمو هذا الدين كثيرة ، و لكن فيما سبق بيانه ما يغني اللبيب ، و يصل إلى فهم الأريب ، دون إسهاب ممل و لا تقصير مخل .

المطلب الثالث :التركيز على الإشارات العلمية في الحديث النبوي عند خطاب غير المسلمين

إن من فن خطاب غير المسلمين دعوتهم بالحجة العلمية التي يؤمنون بها ، لبيان صدق ما جاء به النبي ﷺ و ترغيبهم في الإسلام من خلال ذلك ، و قد جاءت الأحاديث النبوية حافلة بالإشارات العلمية التي تثبت أن ما جاء به النبي ﷺ هو من الوحي الإلهي و ليس من عند نفسه ، و بخاصة أن النبي ﷺ لم يكن يقرأ و لا يكتب ، و نشأ في بيئة أمية ؛ كما يقول الله تعالى : ﴿ وَ مَا كُنتَ تتلوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تخُطّه ُ بيَمِينِك إذاً لارْتابَ المُبْطِلون ﴾ (١) ، جاء في كتاب موسوعة العلم و الإيمان « فلو أن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة و الكتابة لكانت فرصة لا تعوض للناكرين الجاحدين للحق للطعن بالقول بأن القرآن من إنشائه و صنعه، أو على الأقل ، فإن ما عرفه الرسول ﷺ يكون قراءة من كتب آخرين .

من هنا كانت حكمة الله عز و جل في أن يكون خاتم المرسلين لا يقرأ و لا يكتب ليبقى الاحتمال الصحيح ، و هو أن ما جاء به من قرآن ، إنما هو من لدن عليم خبير ، هو الخالق العظيم سبحانه و تعالى » (٢) .

الحديث الأول :

---

(١) {العنكبوت : ٤٨ }.
(٢) د . أحمد زكي ، د . سيد رمضان هداهدة ، موسوعة العلم و الإيمان ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٨٦ .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([١]) عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال : قال النبي ﷺ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك ، و فوضت أمري إليك ، و ألجأت ظهري إليك ، رغبة و رهبة إليك ، لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، و بنبيك الذي أرسلت ، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة .

التخريج : و أخرجه البخاري ([٢]) و أبو داود ([٣]) ، و الترمذي ([٤]) ، و ابن ماجه ([٥]).

دلالة الحديث :

في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يأمر البراء بالنوم على الشق الأيمن ، و لنستمع إلى العلم الحديث ماذا يحدثنا عن النوم على الشق الأيمن : يقول الدكتور محمد راتب النابلسي :« حينما يأوي الإنسان إلى فراشه ليراقب نفسه كيف ينام ، بعض الناس ينامون على بطونهم ، و بعضهم ينام على ظهره ، و بعضهم ينام على شقه الأيمن ، و بعضهم ينام على شقه الأيسر ، فالذين ينامون على بطونهم يشعرون بضيق في التنفس ؛ لأن ثقل الظهر و الهيكل العظمي يقع على الرئتين ، إضافة إلى أن هذه النومة غير لائقة .

أما الذين ينامون على ظهورهم فإنهم يعطلون جهازاً من أدق الأجهزة ، و هو جهاز التسخين و التصفية ، ففي الأنف سطوح متداخلة ، فيها شرايين ذوات عضلات ، إذا توسعت العضلات جاءت كمية كبيرة من الدم ، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة على نحو حلزوني ، و لامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الأنف بفعل عضلات الشرايين عندئذ يسخن الهواء ، و يصل إلى أول القصبة بدرجة ٣٨ ، و لو كان قبل دخوله الأنف بدرجة الصفر ، أضف إلى أن هذه السطوح فيها مادة لزجة ، فأي غبار ، و أي هباب ، أي جسم ، أي شيء يمكن أن يعلق بها ، و لو تصورنا أن شيئاً ما استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها ، أو أن يعلق عليها ، فهناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة ، و هذه الأشياء العالقة في الهواء ، إنه أرقى جهاز

([١]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار ، باب ما يقول عند النوم و أخذ المضجع ، رقم ٦٨٢٠ ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ .
([٢]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الوضوء ، باب فضل من بات على الوضوء ، رقم ٢٤٧ ، ج ١ ، ص ٤٦٥ .
([٣]) أبو داود ، السنن كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم ، رقم ٥٠٤٦ ، ٥٠٤٧ ، ج ٥ ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ .
([٤]) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، رقم ٣٣٩٤ ، ج ٥ ، ص ٤٠١ .
([٥]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ، رقم ٣٨٧٦ ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .

تسخين ، و أرقى جهاز تصفية من أجل أن يصل الهواء إلى الرغامى نقياً ، دافئاً ، نظيفاً ، مصفى .

إذا نام الإنسان على ظهره ، و تنفس من فمه فكأنه عطّل هذه الأجهزة البالغة التعقيد ، و لذا يرى المرء أنفه عند البرد الشديد أحمر قانياً ، و إذا تنفس الإنسان من فمه ماذا يحدث ؟ سيكون أكثر تعرضاً للزكام من غيره ، و تجف لثته ، و إذا جفت تراجعت ، و تراجع اللثة عن الأسنان مرض العصر ، أضف إلا أن الشخير الذي لا يحتمل سببه هو التنفس من الفم .

إذاً النوم على الظهر أو البطن ليس صحياً ، بقي النوم على الشق الأيسر ؛ فإن الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة ، فإذا نام الإنسان على الشق الأيسر استغرق هضم الطعام من خمس إلى ثماني ساعات ؛ لأن الرئة اليمنى – و هي الكبيرة – تضغط على القلب ، و الكبد – و هو أكبر الأعضاء – يبقى معلقاً قلقاً ، أما إذا نام الإنسان على شقه الأيمن والرئة اليسرى أصغر و أخف ، و الكبد هو أكبر أعضاء الجسم مستقرٌ في الجسد على جهة الأرض ؛ فإن الهضم يتم بسرعة ، قال بعضهم : النوم على الظهر نومة الأمراء ، و النوم على البطن نومة الشياطين ، و النوم على الشق الأيسر نومة الأغنياء ، فإنهم بكثرة أكلهم ينامون على الشق الأيسر كي يستريحوا ، أما النوم على الشق الأيمن فهو نوم العلماء » ([1]) .

إذاً هكذا يؤيد العلم الحديث ما أمر به النبي ﷺ أمته من النوم على الشق الأيمن ، و قد تبين لنا عظم الفوائد المترتبة من النوم على الشق الأيمن ، و بمثل هذه الإشارات العلمية نخاطب غير المسلمين ، مدللين على عدم تناقض صحيح المنقول مع صريح المعقول ، و على عظمة ما جاء به النبي ﷺ و انه من عند الله ؛ و لذلك نجد الآيات في القرآن الكريم تولي الجانب العلمي و النظر في الآيات الكونية اهتماماً كبيراً يقول الله تعالى : ﴿ وَ فِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِين وَ فِي أنفسِكُمْ أفلا تُبْصِرُون ﴾ ([2]) .

الحديث الثاني :

([1]) د. محمد راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة آيات الله في الانسان ، دار المكتبي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .
([2]) { الذاريات : ٢٠ -٢١ } .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال : ذالك رجل بال الشيطان في إذنيه . أو قال : في أذنه .

التخريج : و أخرجه مسلم ([٢]) ، و النسائي ([٣]) ، و ابن ماجه ([٤]) ، و أحمد ([٥]) .

دلالة الحديث :

جاء في كتاب موسوعة الإعجاز العلمي : « أثبتت الدراسات الطبية حديثاً أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة على وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب بنسب عالية جداً، و تعديل هذه الظاهرة أن شحوم الدم تترسب على جدران الشرايين الإكليلية للقلب ، بنسبة كبيرة إذا طالت ساعات النوم ، مما يؤدي إلى إضعاف عمل هذه الشرايين ، و فقدها لمرونتها، فلا تصلح بعدئذٍ لضخ كميات الدم المناسبة لتغذية عضلة القلب ، كل شريان قلب فيه مرونة ، و المرونة كالمطاط ، فحينما يأتيه نبض القلب يتسع بحكم مرونته ، و يجب أن يعود إلى ما كان عليه ، فإذا عاد إلى ما كان عليه دفع الدم إلى القسم الآخر من الشريان ، فكل شريان يعين القلب في ضخ الدم ، هذه اسمها المرونة ، حينما تترسب الشحوم على جدران الشرايين تفقد هذه الشرايين مرونتها .

إن النوم المديد لساعات طويلة يبطئ نبض القلب ، و مع بطئ النبض يبطؤ تدفق الدم في العروق ، و تترسب الشحوم على جدران الشرايين ، فيفقد الشريان مرونته ، و هذه الترسبات الدهنية أيضاً تضيق لمعة الشريان (أي قطره) ، و هذا أيضاً إلى نقص التروية في عضلة القلب ، و هذا النقص في التروية يؤدي إلى متاعب لا يعلمها إلا الله .

هؤلاء العلماء البعيدون عن منهج الله ، و الذين لا يعرفون عن الإسلام شيئاً ، يقولون : ينصح الباحثون أن يقوم الإنسان من نومه بعد أربع أو خمس ساعات لإجراء بعض

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس و جنوده ، رقم ٣٢٧٠ ، ج ٧ ، ص ٣٨٥٤ .

([٢]) مسلم : الصحيح مع النووي ، كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب ما روي فيمن الليل أجمع حتى أصبح ، رقم ١٨١٤ ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

([٣]) النسائي ، السنن ، كتاب صلاة العيدين ، باب الترغيب في قيام الليل ، رقم ١٦٠٧ ، ج٣ ، ص ٢٠٤ .

([٤]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، باب ما جاء في قيام الليل ، رقم ١٣٣٠ ، ج ، ص ٥٠١ .

([٥]) أحمد ، المسند ، رقم ٤٠٥٩ ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

الحركات الرياضية ، أو المشي لربع ساعة تقريباً ، للحفاظ على مرونة الشرايين القلبية ، و وقايتها من الترسبات الدهنية ، لتجنب الإصابة بأمراض القلب .

فإذا نمت أربع أو خمس ساعات فيجب أن تستيقظ ، و تجري بعض الحركات الرياضية ، فإذا نمت الساعة الحادية عشرة مثلاً يجب أن تستيقظ الساعة الخامسة لصلاة الفجر ، إما أن تمشي ربع ساعة إلى المسجد ، و إما أن تؤدي بعض الحركات الرياضية فحسب ، و هي الصلاة .

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل ، فقيل : ما زال نائماً حتى أصبح ، ما قام إلى الصلاة ، فقال : " بال الشيطان في أذنه " .(١) .....أرأيت - أيها المسلم – إن قيامك لأداء صلاة الفجر وقاية لقلبك من الإحتشاء ، والذبحة ، و ما إلى ذلك ، و وقاية لشرايينك من التصلب و الانسداد .

هذا ما يقوله علماء ما عرفوا الإسلام أبداً ..... فالصلاة صحة ، إضافة إلى أنها في الأصل عبادة ، و قرب من الله عز و جل ، ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٢) » (٣) .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : الفطرة خمس : الختان ، و الاستحداد ، و نتف الإبط ، و تقليم الأظافر ، و قص الشارب .

التخريج : و أخرجه مسلم (٥) ، و أبو داود (٦) ، و الترمذي (٧) ، و النسائي (٨) ، و ابن ماجه (٩) .

دلالة الحديث :

(١) سبق تخريجه ص .
(٢) { طه : ١٤ } .
(٣) د . محمد راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة آيات الله في الإنسان ، ص ١٠٩ – ١١١ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر ، رقم ٥٧٥٧ ، ج ١١ ، ص ٥٤ .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، رقم ٥٥١ ، ج ٣ ، ص ١١٩ .
(٦) أبو داود ، السنن ، كتاب الترجل ، باب في أخذ الشارب ، رقم ٤١٩٨ ، ج ١١ ، ص ٢٥٢ .
(٧) الترمذي ، السنن ، كتاب الآداب ، باب ما جاء في تقليم الأظافر ، رقم ٢٩٠٥ ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
(٨) النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب ذكر الفطرة و الاختتان ، رقم ٩ ، ج ١ ، ص ٢٠ .
(٩) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الفطرة ، رقم ٣٠٤ ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

وسنتكلم عن الإشارة العلمية في سنة الختان ، يقول الدكتور صالح رضا : « نشرت المجلة الطبية البريطانية مقالاً في عام ١٩٨٧ . جاء فيه :"إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود ، و في البلدان الإسلامية ، حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة ، و أثبتت الإحصائيات الطبية أنن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله " .

و في المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال مقال جاء فيه : (إن الرجل غير المختون يعتبر معرضاً لسرطان القضيب ، في حين يمكن منع حدوث هذا السرطان إذا ما اتبع مبدأ الختان عند الوليدين) .

قال الدكتور حسان شمسي باشا : أجل سرطان القضيب و هو من أشنع السرطانات يمكن أن يختفي من الوجود بمجرد أن يعود الإنسان إلى فطرته ، و يسلم الفرد لحكم رب العالمين .

قال : و قد أثبتت دراسات أخرى أن سرطان القضيب يعزى إلى عدم إجراء الختان ، و قلة الاعتناء بنظافة القضيب ، و بقاء مفرزات بين الحشفة ، و القلفة .

و أكدت المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال : أن العوامل الدينية عند المسلمين و اليهود التي تقرر اتباع الختان تلعب عاملاً أساسياً في حث هؤلاء على الأخذ بهذه الفطرة .

يقول الدكتور فارس علوان : إن فوائد الختان جلية للعيان ، و منافعه واضحة البيان فلا يماري فيها إلا متعصب ذميم ، أو جاهل لئيم .

لقد بدأت عيون الغرب في العقدين الأخرين تتفتح على هذه السنة المباركة ، و بدا بعضهم يجري الختان لنفسه طواعية بعد كبر سنه .

يقول : إن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون بمثابة المستنقع الذي يتم فيه أكثر العوامل المرضية ، و يسقيها البول بنجاستها ، فتتكاثر و تنتعش .

و تتكون على جدر هذا الجيب مادة بيضاء مترسبة هي نتيجة بقايا الجراثيم و الفطور و إفرازات الغدد الدهنية ، و العرقية مع توسفات النسيج المخاطي ، و ترسبات من البول و محتوياته .

و من هنا يسهل علينا أن نتصور كيف تدخل العوامل المرضية من صماخ البول عند من لم يختتن ، و تلج هذه إلى الإحليل و منه إلى المثانة ثم إلى الكلية ، أو انها تتابع طريقها إلى البروستات أو إلى الخصية و البربخ ، و قد تسبب العقم عند الرجال نتيجة

التهاب الخصية و البربخ ، و قد ثبت أن الختان يمنع سرطان رأس القضيب ، إذ لا وجود لهذا السرطان عند المختونين ، و كلما كان الختان في سنٍ أبكر ، تكون الوقاية أضمن .

ثم بين أن هذه الالتهابات قد تنتقل إلى المرأة فتسبب عندها التهابات الفرج ،والتهابات غدة بارتولان ، و التهاب المهبل ، أو يلتهب عنق الرحم ، و يتقرح و قد يكمل الالتهاب سيره المشروم فيصيب الرحم و الملحقات كالبوتين ، مما يسبب العقم عند المرأة .

قال : و لا أقول إن الختان يمنع أو يخفف كثيراً من هذه الالتهابات التي ذكرت فحسب ، و إنما هناك أمراض لا يفيد فيها إلا الختان ، مثل : تضيق القلفة الخلقي ، أو الالتهابي الأمامي و الخلفي ، و بعض أنواع حصر البول المتكرر بسبب القلفة .

و يقول : نؤكد هنا أن ختان الزوج له دور كبير في وقاية الزوجة من أكثر أمراض النساء الالتهابية » (١) .

إذاً النبي الكريم يخبرنا و قبل ١٤٠٠ سنة عن أهمية الختان دون أن يتطرق لشيء من هذه الحقائق العلمية التي ذكرناها آنفاً ، ليأتي العلم الحديث و بعد هذه المدة الطويلة ليخبرنا عن الفائدة الطبية للختان من الناحية العلمية المحضة ، و ليؤكد الأطباء الغربيين الذين لا علاقة لهم بالإسلام أهمية الختان و أثره على صحة الرجل و المرأة في آن واحد ، فحق لنا أن نفخر بهذا الدين و بهذا النبي ﷺ ،و أن نباهي به الأمم ، و أن نطبق قول الله عز و جل:﴿ قُلْ إِنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لكُمْ ذُنوبَكُم و اللهُ غفُورٌ رَحيم ﴾ (٢) ، و قوله سبحانه : ﴿ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تهْتدُوا ﴾ (٣) .

<u>الحديث الرابع :</u>

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أولاهن بالتراب .

---

(١) د . صالح بن أحمد رضا ، الاعجاز العلمي في السنة النبوية ، ج١ ، مكتبة العبيثان ، الطبعة الأولى ،١٤٢١ هجري ، ٢٠٠١ م ، ص ٨٠ – ٨٣ .
(٢) { آل عمران : ٣١ } .
(٣) { النور : ٥٤} .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب إذا شرب الكلب في الإناء ، رقم ١٧٢ ، ج١ ، ص ٣٣٠ .

التخريج : و أخرجه مسلم (١) ، و أبو داود (٢) ، و الترمذي (٣) ، و النسائي (٤) ، و ابن ماجه (٥) ، و أحمد (٦) .

دلالة الحديث :

جاء في كتاب الإعجاز العلمي في السنة النبوية : « لقد وقف علماء الفقه و الحديث في هذا الحديث موقف المستغرب ، إذ كيف يكون التراب مطهراً ؟ و هو يجعل الشيء الذي يلامسه متسخاً لا نظيفاً ، و وقف أكثرهم من هذا الحديث لأنه أمر تعبدي لا يناقش فيه ، و لا يسال عن علة هذا المسح بالتراب ، فنحن نسمع و نطيع ، و نغسله بالتراب ، و لو لم نعرف العلة في ذلك ، اتباعاً لظاهر لفظ الحديث .

و جاء القرن العشرون بما يحمله من دراسات و بحوث و أدوات متقدمة تيسر البحث ، و تظهر أموراً كان من الصعب على الناس أن يصلوا إليها في عصورٍ سابقة دون هذه الأدوات المتقدمة المتطورة .

و كان من جملة ما أجري من بحوث حول علاقة التراب بداء الكلب ، فالكلب مرض من الأمراض التي تكون في لعاب الكلب ، و تنتقل منه إلى الإنسان ، و قد يكون الحيوان حاملاً لهذا الداء و إن لن تظهر عليه علامات الإصابة به ، و مثله مثل أي حيوان أو أي حيّ ينقل جراثيم مرض دون أن يصاب بذلك المرض .

ذلك البحث أجري في اسبانيا منذ زمن ، كما أجراه أحد الأطباء الباكستانيين قريباً ، حيث وجد أن داء الكلب ، و جراثيمه مهما غسلت بالماء فإن الماء لا يذهب بها ، فإذا مسحت بالتراب ، فإن التراب يذهب بها و لا يبقِ في الإناء أثراً لها ، و كذا إذا كان الكلب يحمل جراثيم أمراض أخرى ، و صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ، و أمر المسلمين أن يتخذوا وقاية لهم من الإصابة بالأمراض سبقاً علمياً لا مثيل له في عالم الطب الوقائي » . (٧)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب حكم ولوغ الكلب ، رقم ٦٠٥ ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .
(٢) أبو داود ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من سؤر الكلب ، رقم ٧٣ ، ج١ ، ص ١٣٧ .
(٣) الترمذي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في سؤر الكلب ، رقم ٩١ ، ج١ ، ص ٦١ .
(٤) النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب تطهير الإناء إذا ولغ فيه كلب الصيد و الغنم ، رقم ٦٧ ، ج١ ، ص ٥٧ .
(٥) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب غسل الإناء من ولوغ الكلب ، رقم ٣٨٦ ، ج١ ، ص ١٣٠ .
(٦) أحمد ، المسند ، رقم ٧٥٦٩ ، ج٢ ، ص ٥٢١ .
(٧) د . صالح أحمد رضا ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، ج٢ ، ص ٨٤١ .

الحديث الخامس :

قال أبو داود (١) : حدثنا أحمد بن عبيد الله ، أخبرنا غسان بن عوف أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه ، فقال : يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتني ، و ديون يا رسول الله ، قال : أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته اذهب الله عز وجل همك ، و قضى عنك دينك . فقال : بلى يا رسول الله . قال : قل إذا أصبحت و إذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن ، و أعوذ بك من العجز و الكسل ، و أعوذ بك من البخل و الجبن ، و أعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال . قال : فقلت ذلك ؛ فأذهب الله عز وجل همي و قضى عني ديني .

دراسة الإسناد :

أحمد بن عبيد الله : قال ابن حجر العسقلاني في التقريب : صدوق (٢) . غسان بن عوف : لين الحديث (٣) . سعيد بن إياس الجريري : قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل : الجريري محدث أهل البصرة ، قال عباس الدوري عن يحيى بن معين : ثقة ، و قال النسائي : ثقة (٤). أبي نضرة : قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه : ما علمت إلا خيرا ، و قال اسحق بن منصور عن يحيى بن معين و أبو زرعة و النسائي : ثقة (٥) .
درجة الحديث : ضعيف .

دلالة الحديث :

يقول الأستاذ سمير عمران في بحث له تحت عنوان " الإعجاز النبوي في تنمية الشخصية " : « القصة بسيطة ، فأبو أمامة يمثل المهمومين و المحبطين في هذه الحياة ، ممن يظنون أن كل الأبواب قد أوصدت في وجوههم ، و لم يعد هناك أي باب يلجون منه نحو حياة أفضل . فأبو أمامة يمثل شريحة كبيرة من أفراد المجتمع اليوم ، ممن ركبتهم

---

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الوتر ، باب الاستعاذة ، رقم ١٥٥٦ ، ج ٤ ، ص ٤١٢ ، انفرد به أبو داود .
(٢) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ٩٥ .
(٣) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ص ٧٧٦ .
(٤) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ، ص ١٣٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .

الديون و غلبتهم الهموم . و رؤية الرسول ﷺ له و إرشاده إلى ما يفعل يمثل القيادة الواهية المرشدة ، و الملهمة من ربها ، حين أرشده إلى ما يذهب عنه ما به ، و يعيده إلى الحياة إنساناً جديداً فعالاً، و قد جاء إرشاد الرسول ﷺ في مقدمة موجزة ، و أزواج من الكلمات مقسمة إلى اربع مجموعات ، كل مجموعة عبارة عن زوج متناسق من التعاليم ، تعالج جانباً من جوانب الشخصية و زيادة فعاليتها .

فالمقدمة هي : " قل إذا أصبحت و إذا أمسيت ".

و المجموعات هي :

مجموعة : الهم و الحزن : لتفريغ الفكر من سوالبه ، و مما يشغله ؛ لتأمين شخصية ذات عقل واع .

مجموعة : العجز و الكسل : لتخليص الجسم من معطلات قدراته الجسدية و العقلية ، و إطلاق مهاراته .

مجموعة : الجبن و البخل ؛ لزيادة قوة الإرادة ، و الإقدام ، و مبدأ تبادل المنافع ، و القبول بالتضحية .

مجموعة : غلبة الدَّين و قهر الرجال ؛ للتغلب على المعوقات النفسية ، و الظروف البيئية المحيطة .

إلى أن يقول : فائدة و معنى " قل " . إن لكلمة " قل " فائدتين مهمتين :

الأولى : هي أن النطق بما بعدها – أي بما ستقول – يمثل معتقداً لديك ، تؤمن به في قلبك ، و تردده بلسانك ، و تعمل من أجله بكل جوارحك ؛ لذلك فأنت تردده لتعبر عما يختلج في صدرك ؛ لتخرجه من مكمنه من النفس ، معلناً عنه كمنهج لك في الحياة ، يوجه سلوكك رغبة في تحقيقه .

و الثانية : هي تعبيرها عن حاجتك أمام الله تعالى ﴿وَقَالَ رَّبُكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ (١) . فعلى الرغم من أن الله تعالى عليم بذات الصدور إلا أننا مطالبون بأن نعلن حاجتنا بين يدي الله تعالى .

الملاحظ في هذه الأيام أن كلمة " قل " لا تأخذ أبعادها الحقيقة كما سلف ؛ فهي تقال باللسان دون أن يسندها معتقد أو عمل بها ، لقد كانت كلمة " قل " في قاموس الصحابة تعني العمل و الالتزام بما يقول ، فلم يكن أحد منهم يقول ما لا يفعل ، أو لا يؤمن بما يقول ، حتى المشركين كانوا يدركون تمام الإدراك حجم و مسؤولية النطق بشهادة أن لا إله إلا

---

(١) { غافر: ٦٠ } .

الله ؛ لذلك لم يقولوها حتى و لو بتمريرها على اللسان ؛ لعلمهم بما يترتب عليهم من تبعات و التزامات .

و اليوم نلاحظ طلب محاضري دورات التنمية من الجمهور ترديد كلمات مثل : أنا قادر، أنا أستطيع ، يمكنني أن أكون أفضل » (١) .

في هذا الحديث يربط النبي ﷺ بين الإنسان و بين ربه سبحانه و تعالى قبل البدء بأي عمل ، وهذا فرق كبير عن المحاضرين في هذا المجال ، الذين يقولون : إن الإنسان يمكنه أن ينجز كل شيء و أن يحقق ما يريد ، دون أن يربطوا ذلك بمشيئة الله تعالى . إن ربط النبي ﷺ بين " الهم و الحزن " في الحديث لأنهما يتعلقان بالماضي و المستقبل ، فالهم هو : كل تكليف تكلف به نفسك و تأخذ على عاتقك إنجازه ؛ لشعورك بالمسؤولية تجاهه . فيصبح انجازه همك، و تتراكم المسؤوليات على الإنسان على شكل هموم مطلوب منه انجازها ، و مع تراكم الهموم نتيجة عدم الإنجاز ، تتراكم الاحباطات حتى يعجز الإنسان عن الحركة في الحياة .

و الحزن : ألم في النفس ، يحصل نتيجة التصور الذي يتولد عند الإنسان من فقدان شيء أو فوات فرصة ، و ما اختيار الرسول ﷺ لهذا الزوج من الكلمات ، إلا لأنه يريد أن يبعد الإنسان عن هم التفكير الزائد في المستقبل ، و حزن التفكير فيما مضى ، و في إزالة هذه المعوقات " الهم و الحزن " زيادة كبيرة في فعالية هذا الإنسان نتيجة لتنمية قدراته العقلية بتصفيتها من التفكير بما لا ينفع ، و تهيئتها لوعي اللحظة الحالية ، فالعقل الواعي حجر الأساس في تنمية الشخصية ، و هو مفتاح القدرات الأخرى للإنسان .

و أما ربط النبي ﷺ بين " العجز و الكسل " ؛ فلأن العجز ناتج عن عدم وجود القدرات أصلاً ، أما الكسل فناتج عن عدم الرغبة في الإنجاز رغم توفر القدرات . و أياً كان الحال فالرسول ﷺ في إرشاده لنا يريد أن يفعل هذا الإنسان ، و أن يطلق قدراته الجسدية و المهارات التي يتمتع بها بالإستعاذة من الكسل ، و طرده من النفس ، و يريد ممن لا يملك شيئاً من القدرات أو المهارات أن يكمل نفسه ، و يعلمها شيئاً تصبح به قادرة على ممارسة دورها في الحياة ، فلا تبقى على حالها عالة على المجتمع ، ذات أداء سالب.

و في اقتران الإستعاذة من " الجبن و البخل " في الحديث ، إرشاد من النبي ﷺ في إطلاق قوة الإرادة بعدم الجبن ، وأهمية الإنفاق و عدم البخل ؛ لزيادة فعالية الإنسان ، و تنمية موارده و أدواته و زيادة رأس ماله ، فالبخل يعيق التقدم ، و يعدم التطوير و الإبداع

---

(١) الأستاذ سمير عمران . بحث بعنوان الإعجاز النبوي في تنمية الشخصية . مجلة آيات ، العدد الحادي عشر ، مطابع برجي – بيروت ، لبنان ، سنة الطبع ١٤٢٥ هجري ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٧ – ١٨ .

اللذين هما مفتاح التقدم و الفاعلية في الحياة ، و بذلك يكزن الرسول ﷺ قد سبق القول المشهور عند الاقتصاديين " في أن رأس المال جبان " .

و في ربط النبي ﷺ بين " غلبة الدين وقهر الرجال " دلالة على أهمية البيئة المحيطة و أثرها على حركة الإنسان في الحياة ، و أهمية توفير المناخ المناسب للتنمية و الاستثمار ، و على ضرورة إزالة المعوقات ، فغلبة الدين مثال على القوانين السيئة ، و التعسف في استخدام الحق ، و قهر الرجال مثال على المنافسة غير الشريفة التي تأتي نتيجة الاحتكار ، و التكتلات الرأسمالية ، و سحق الكبار للصغار لإخراجهم من الأسواق .

و بهذا يتفوق الرسول ﷺ على المحاضرين من أصحاب الاختصاص ، عندما يغمضون أعينهم عن سوء الأحوال المحيطة بالإنسان ، و يطالبونه بأن يكون كذا .....و كذا ..... و البيئة من حوله لا تساعد على نمو حشرة (١) .

الحديث السادس :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن أبي سَعيد الخُدْرِي قال: خرَجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في أضحى ـ أو في فطر ، إلى المصلَى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدَقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم يا رسول اللهِ؟ قال: تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينِها .

دلالة الحديث :

إن في قول النبي ﷺ " ناقصات عقل " إشارة علمية لم تكن معروفة في عهده ﷺ ، توصل إليها العلم الحديث في ظل التقدم الهائل للعلوم الطبية ، جاء في كتاب المرأة المسلمة : « أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة في مركز الادراك ؛ فمما لا مشاحة فيه ، حيث

---

(١) انظر غير مأمور المصدر السابق ، ص ١٧ – ١٩ .
(٢) سبق تخريجه ص ٦١ .

أثبتتها (البسيكولوجيا) (علم النفس بالتجربة) فقد شوهد أنه يوجد فارق جسيم بين مخي الرجل و المرأة مادة و شكلاً .

أثبت العلم أن مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار مائة غرام في المتوسط .

و لا يعترض علينا لأن هذا الفرق منشأه الاختلاف بين حجمي الجسمين ، لأنه شوهد أن نسبة مخ الرجل إلى جسمه هي كنسبة ١ : ٤٤ ، و أما نسبة مخ المرأة إلى جسمها كنسبة ١ : ٤٠ و فرق بين النسبتين .

و غير هذا فإن مخ المرأة أقل ثنياناً ، و تلافيفه أقل نظاماً .

و هذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين ، و كذلك يوجد اختلاف بين المخين في الجوهر السنجابي الذي هو النقطة المدركة من المخ ، فهي عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة محسوسة جداً ، و لكن في مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس و التهيج عند المرأة أحسن تركيباً منها عند الرجل .

قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبرى : و هذا مطابق لمميزات الجنسين من الحيثية النفسية ، فإن الرجل أكثر ذكاءً و إدراكاً ، و أما المرأة فأكثر انفعالاً و تهيجاً .

لا شك أن كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على أن مركز الادراك في الرجل أرقى منه في المرأة ، فيكون هو أفضل منها إدراكاً » (١) .

---

(١) محمد فريد وجدي ، المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة و بيان دور المرأة في صلاح المجتمع و فساده ، ص ٣٠ – ٣١ .

الفصل الثالث

خطاب غير المسلمين فى ضوء الهدى النبوى

المبحث الأول : طرق خطاب غير المسلمين ، و يتضمن ثلاث مطالب :

المطلب الأول : نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين .

المطلب الثاني : الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب .

المطلب الثالث : رسائل النبي ﷺ إلى الملوك .

المبحث الثاني : التدرج في عرض مادة الخطاب على غير المسلمين ، ويتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مراعاة الأولويات في الخطاب :

المطلب الثاني : إبراز وسطية الخطاب الدعوي في ضوء الهدي النبوي .

المطلب الثالث : التركيز على الإشارات العلمية في الحديث النبوي عند خطاب غير المسلمين .

إن أعظم ما يميز رسالة الإسلام الخالدة أن نفعها لا يقتصر على فرد من الأفراد بل يشمل الناس عامة ؛ و لذلك فإن المسلم و خاصة الداعية يترتب عليه مسؤوليات كثيرة ، من أهمها و أجلها خطراً الوصول إلى غير المسلمين و إبلاغهم رسالة هذا الدين العظيم ، و هذا يستلزم أسلوبا راقيا يصل إلى شغاف القلوب ، و يتغلغل في ثنايا الأفئدة ، و يخاطب العقول بالحجة الدامغة و البرهان الساطع ، شأنه شأن سطوع هذه الرسالة العظيمة .

و إننا نلاحظ في هذه الأيام التقصير البالغ من المسلمين في حمل هذه الرسالة و إيصالها للغير ، و سنحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على بعض الوسائل و الطرق في خطاب غير المسلمين ، مع إبراز وسطية الخطاب في ضوء الهدي النبوي ، و التركيز على الإشارات العلمية في الأحاديث ، حيث أن العلم أصبح اللغة الدارجة في هذا العصر ، وخاصة عند الملاحدة و اللادينيين .

المبحث الأول

خطاب غير المسلمين في ضوء الهدى النبوي

المطلب الأول : نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين .

الحديث الأول :

{ ٤٧ } أخرج البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قدم طفيل بن عمرو الدوسي و أصحابه على النبي ﷺ ، فقالوا يا رسول الله : إن دوساً عصت و أبت ، فادع الله عليها ، فقيل هلكت دوس . قال : اللهم اهد دوسا و ائت بهم .

التخريج : و أخرجه مسلم ([٢]) ، و أحمد ([٣]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث توجيه عظيم للصحابة و من جاء بعدهم برحمة الناس والحرص على هدايتهم و صلاحهم ، و لذلك يجب أن يكون هدف الداعية الأول الأخذ بأيدي الناس والرفق بهم ، و الحرص على عدم هلاكهم ، فعندما قال الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه عن قبيلة دوس :" ادع الله عليهم " ، ما كان من النبي ﷺ إلا أن دعا لهم لا عليهم ، و في هذا الدعاء رسالة واضحة للبشرية جمعاء في كل العصور أن هذا الدين دين الرحمة ، و ليس دين الشدة و العنف .

و هذا التوجيه النبوي يجب أن يتخذه الدعاة إلى الله شعاراً لهم ، و منهجاً يسيرون عليه عند دعوتهم للناس ، و ليحذر الداعية من مخالفة أمر النبي ﷺ و توجيهه ؛ لأن في ذلك هلاكه قال الله تعالى ﴿ فليَحذرْ الذين يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَة أو يُصِيبَهُم عَذابٌ أليم ﴾ ([٤]) ، جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير : « أي: عن أمر رسول الله صلى الله

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، رقم ٢٩٣٧ ،ج٦ ،ص٣٥٧٦ .

([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب دعاء النبي ﷺ لغفار و أسلم ،رقم ١٩٧ ، ج٢ ، ص ١٣٦.

([٣]) أحمد ، المسند ، رقم ١٠٣٠١ ، ج ٣ ، ص ٢٩٦ .

([٤]) { النور : ٦٣ } .

عليه وسلم، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائنا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عمل عَمَلا ليس عليه أمرنا فهو رَد([1]).

أي: فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: في الدنيا، بقتل أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك. » ([2]) .

إننا في دعوتنا في هذا الدين يجب أن نمتثل شخصية هذا النبي العظيم ، هذه الشخصية التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء ، يقول الدكتور معين القدومي : « قبل سنوات قليلة نشر الأستاذ هارت كتابه المثير " أعظم مئة في التاريخ " راح فيه و هو العالم الذي نال أكثر من درجة دكتوراة في تخصصات مختلفة يرتب أعظم مئة عند جميع الأمم ، أثروا في التاريخ البشري على اختلاف انجازاتهم ، فكانت المفاجئة إن هذا العالم العلماني المحايد ، قد وضع الرسول الكريم محمد ﷺ في أول درجة من درجات سلم العظماء ، و قد سوغ تسنيمه هذه الرتبة المتفوقة أنه استطاع و ما يزال يشد الناس ، ويغير مسارهم على نحو مذهل هائل ، و هو اليتيم الفقير ، الذي كان يعيش في بلاد عزلاء على هامش الحضارة المتقدمة للروم و الفرس في تلك الأيام . و عد الكاتب الإنجليزي توماس كاريل في كتابه (الأبطال) الرسول العربي مثال البطولة الإنسانية التي يعز نظيرها ، و مثله الفيلسوف الكبير جوته فقد امتلأ إعجاباً بشخصية الرسول ﷺ بعد أن قرأ سيرته»([3]).

فلا بد للدعاة في هذا العصر عند دعوتهم للمشركين من الحكمة و الموعظة الحسنة التي مثلتها شخصية النبي ﷺ في دعوته للمشركين .

الحديث الثاني :

[1]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الصلح ، باب اذا اصطلحوا على صلح جور ، رقم ٢٦٩٧ ، ج٥ ، ٣٩٨ ، مسلم مع النووي ، كتاب الأقضية،باب نقض الأحكام الباطلة ، ١٧١٨ ، ج١٢ ، ص٢٤ .

([2]) ابن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، مجلد ٦ ، ص ٨٩ ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هجري ، ١٩٩٩ م ، تحقيق سامي بن محمد السلامة .

([3]) د. معين القدومي ، الإسلام و المسلمين في أمريكا ، غيداء للدعاية و الإعلان ، أمية للتسويق ، ط٣ ، ١٩٩٥ ، ص٦ .

{ ٤٨ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لما نزلت ﴿ و أنذِرْ عَشِيرَتكَ الأقرَبين ﴾ ([٢]) ، و رهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه . فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام . فنزلت ﴿ تبَّت يَدَا أبي لهَبٍ وَ تبْ ﴾ ([٣]) .

التخريج : و أخرجه مسلم ([٤]) ، و الترمذي ([٥]) ، و النسائي ([٦]) .

الحديث الثالث :

{ ٤٩ } أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([٧]) : عَنْ مُوسَى بْنِ طَلحَة عَنْ أبي هُرَيْرَة قالَ: لمَّا أنزلتْ هذِهِ الآيَة: ﴿ وَأنذِرْ عَشِيرَتكَ الأقرَبينَ ﴾ ([٨]) دَعَا رَسُولُ اللهِ قرَيْشاً. فاجْتمَعُوا. فعَمَّ وَخصَّ. فقال : يَا بَنِي كعْبِ بْنِ لؤَيَ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي مُرَّة بْنِ كعْبٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي هَاشِم أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا بَنِي عَبْدِ المُطلِبِ أنقِذوا أنفسَكمْ مِنَ النَّار. يَا فاطِمَة أنقِذِي نفسَكِ مِنَ النَّار. فإنِّي لا أمْلِكُ لكمْ مِنَ الله شَيْئاً. غيْرَ أنَّ لكمْ رَحِماً سَأبُلُّهَا ببلالِهَا .

التخريج : و أخرجه النسائي ([٩]) ، و أحمد ([١٠]) .

دلالة الحديثين :

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب سورة تبت يدا أبي لهب و تب ، رقم ٤٩٧١ ، ج٩ ، ص ٥٨٢٠ .
([٢]) { الشعراء : ٢١٤ } .
([٣]) { المسد : ١ } .
([٤]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وَ أَنْذِر عَشِيرَتك الأَقْرَبين ﴾ ، رقم ٣٤٨ ، ج٢ ، ص ٣٤٦ .
([٥]) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب و من سورة الشعراء ،رقم ٣١٨٤ ، ٣١٨٥ ، ج٥ ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .
([٦]) النسائي، السنن ،كتاب الوصايا ،باب إذا أوصى لعشيرته ، الأقربين ، رقم ٣٦٤٦ ، ٣٦٤٧ ، ج٦ ، ص ٢٤٨ – ٢٥٠ .
([٧]) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وَ أَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبين ﴾ ، رقم ٤٥٤ ، ج ٣ ، ص ٦٣ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ .
([٨]) { الشعراء : ٢١٤ } .
([٩]) النسائي ، السنن ، كتاب الوصايا ، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ، رقم ٣٦٤٨ ، ج ٦ ، ص ٥٥٨ .
([١٠]) أحمد ، المسند ، رقم ٨٣٥١ ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

يقول صاحب كتاب الرحيق المختوم : « هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ؛ فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات فيه.وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله » (١) . هكذا ينوع النبي ﷺ في خطابه للمشركين ، فتارة يقرأ عليهم القرآن ، وتارة يدعو لهم بالهداية ، و تارة يجمعهم و يثبت لهم بالحجة و البرهان صدق دعوته ؛ كما في هذا الحديث الذي أوردناه ؛ فقد أقام النبي ﷺ عليهم الحجة بقوله : " أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً " ، إذاً قولهم : ما جربنا عليك كذباً ، هو إقامة للحجة عليهم ؛ فإن النبي ﷺ لم يكن كاذباً يوماً في حياته على البشر ، فكيف يكذب في نقله عن رب البشر ؟ .

و هذه الأساليب من قبل النبي ﷺ في خطاب المشركين هي دروس عظيمة لمن يحمل هم رفع كلمة التوحيد ، و من أعظم هذه الدروس أن يتعلم من انشغل بهم الدعوة كيفية إقامة الحجة و البرهان على صدق دعوته عند عرض الإسلام ؛ كما عليه أن يحرص على عرضه بصورة حضارية تتناسب مع عظمة هذا الدين و شموليته ، و بخاصة في هذا الزمان الذي أصبح فيه الإسلام مستهدفاً ، و الأمة ممزقة . يقول محمد جميل زينو : « إن المسؤولية ضخمة ، و عن الأمانة جسيمة ، فالأمة ممزقة ، و ثرواتها ضائعة ، وممتلكاتها مغصوبة ، و أغلب أفرادها جهلة بحق دينهم ، و كثير من شعوبها يلاقون صنوف الأذى و العذاب ، و الملتزمون بشيء من شريعتها مستضعفون مختلفون » (٢) .

الحديث الرابع :

{ ٥٠ } أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (٣)(٤) و اللفظ لمسلم : أن جُندَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيَّ بَعَث إلى عَسْعَس بْنِ سَلامَة، زَمَنَ فِتنةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فقالَ: اجْمَعْ لِي نفرا مِنْ إخوانك حَتّى أحَدِّثهُمْ. فبَعَث رَسُولاً إليْهِمْ. فلمَّا اجْتمَعُوا جَاءَ جُندَبٌ وَعَليْهِ بُرْنسٌ أصْفرُ. فقالَ: تحَدَّثوا بمَا كُنتم تحَدَّثونَ بهِ. حَتّى دَارَ الحَدِيث. فلمَّا دَارَ الحَدِيث إليْهِ حَسَرَ البُرْنسَ عَنْ رَأسِهِ. فقالَ: إنّي أتيْتكمْ وَلا أرِيْدُ أنْ أخبركم عَنْ نبيِّكمْ. إنَّ رَسُولَ اللهِ بَعَث بَعْثا مِنَ المُسْلِمِينَ إلى قوْم مِنَ المُشْرِكِينَ. وَإنّهُمُ التقوْا فكانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ إذا

(١) صفي الرحمن المبارك كفوري ، الرحيق المختوم ، الجامعة السلفية ، الهند ، ١٤١١ هجري ، ١٩٩١م ، ص ٩٣ .

(٢) محمد بن جميل زينو ، التحذير من فتنة الكفر و التكفير ، مطبعة دار المجمع العلمي ، جدة ، ط٢ ، ص ١٨ .

(٣) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ، رقم ٤١٧٠ ، ج ٨ ، ص ٣٠٧ .

(٤) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله ، رقم ٢٣٩ ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

شَاءَ أنْ يَقصِدَ إلى رَجُل مِنَ المُسْلِمِينَ قصَدَ لهُ فقتلهُ. وَإنَّ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمِينَ قصَدَ غفلتهُ. قالَ: وَكُنَّا نحَدِّث أنَّهُ أسَامَة بْنُ زَيْدٍ. فلمَّا رَفعَ عَليْهِ السَّيْفَ قالَ: لا إلـهَ إلاَّ اللهُ، فقتلهُ. فجَاءَ البَشِيرُ إلى النَّبيِّ . فسَألهُ فأخْبَرَهُ. حَتَّى أخْبَرَهُ خبَرَ الرَّجُل كيْفَ صَنَعَ. فدَعَاهُ. فسَألهُ. فقالَ «لِمَ قتلتهُ؟» قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أوْجَعَ فِي المُسْلِمِينَ. وَقتلَ فلانا وَفلانا. وَسَمَّى لهُ نفرا. وَإنِّي حَمَلتُ عَليْهِ. فلمَّا رَأى السَّيْفَ قالَ: لا إلـهَ إلاَّ اللهُ. قالَ رَسُولُ اللهِ «أقتلتهُ؟» قالَ: نعَمْ قالَ «فكيْفَ تصْنعُ بلا إلـهَ إلاَّ اللهُ إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اسْتغفِرْ لِي. قالَ: «وَكيْفَ تصْنعُ بلا إلـه إلاَّ اللهُ إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» قالَ: فجَعَلَ لا يَزِيدُهُ عَلى أنْ يَقولَ: «كيْفَ تصْنعُ بلا إلـهَ إلاَّ اللهُ إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ .

التخريج : و أخرجه أحمد (١) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يشدد النبي ﷺ على أسامة ، و ينكر عليه قتله ذلك المشرك بعدما قال : " لا إله إلا الله " ، و على رغم كل ما قدمه أسامة من اعتذارات و تبريرات ، إلا أن النبي ﷺ لم يزد على أن قال : " فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة " ، إن هذا الكلام من النبي ﷺ هو توجيه للأمة الإسلامية قاطبة ، و من خلال حادثة أسامة بن زيد أن تكون حريصة على هداية المشركين ، و أن هدف هذا الدين العظيم ليس قتل الناس و لا سفك دمائهم ، و إنما هدايتهم و إخراجهم من الظلمات إلى النور ، كما قال الله تعالى : ﴿ كِتابٌ أنزَلناهُ إليكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظلمَاتِ إلى النُور بإذنِ رَبِّهم إلى صِرَاطِ العَزيزِ الحَميد ﴾ (٢) .

إن من أعظم ميزات هذه الأمة التي وصفها بها القرآن العظيم ، أنها تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، كما قال الله عز و جل : ﴿ كُنتم خيْرَ أمَّةٍ أخرِجَت لِلنَّاس تأمُرونَ بالمَعْرُوفِ وَ تنهَونَ عَنْ المُنكرِ وَ تؤمِنونَ بالله ﴾ (٣) .

---

(١) أحمد ، المسند ، رقم ٢١٣٦٦ ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ .
(٢) { ابراهيم : ١ } .
(٣) { آل عمران : ١١٠ } .

ينقل عكاشة عبد المنان عن الأستاذ أبو الحسن الندوي في معرض تعليقه على هذه الآية : « و قد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة في معرفة طبائع الأمم و الإطلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم ، و أثارت علماً دفيناً ، و كنزاً مضموراً ، و أحدثت انقلاباً في النظرة إلى هذه الأمة ، و مركزها و قيمتها ، و هو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم و مسرح التاريخ و الأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية ، أو كتلة إنسانية ، و لم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة و لا من فقاقيع الماء التي تظهر و تختفي ، و تتكون و تندحر ، إنه ليس خروجاً كخروج سائر الأمم ، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإنسانية ، و تمده إرادة الله القاهرة » (١) .

إن هذه المزية لهذه الأمة تحتم عليها أن تفقه جيداً المراد من رسالة هذا الدين ، الحريص على هداية الناس ، و كيفية خطاب النبي ﷺ للمشركين ، و حرصه على استنقاذهم من النار و من غضب الجبار بأسلوب الرحمة و الرفق ، لا بالعنف والقتل ؛ كما دل عليه حديث أسامة الذي ذكرناه .

المطلب الثاني : الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب :

لو نظرنا في القرآن العظيم لوجدنا النداء بصيغة ﴿ يَا أَهْلَ الكِتابِ ﴾ يتعدد في ثناياه ، و في مواضع مختلفة مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتابِ تَعَالوا إلى كلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُم أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيئا ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتابِ لا تغْلوا في دِينِكُم غَيرَ الحَقِّ ﴾ (٣) ، و هذا التخصيص في الخطاب يدل على أن مخاطبة أهل الكتاب تختلف عن مخاطبة غيرهم ، لوجود العلم بالكتب السماوية عندهم ، و سنحاول في هذا المطلب أن نعرض بعض طرق النبي ﷺ في مخاطبته لأهل الكتاب ، و كيفية الاستفادة منها في زمننا الحاضر .

الحديث الأول:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده (٤) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا على اليمن ، قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب، ليكن أول ما

---

(١) عكاشة عبد المنان ، الأمر بالمعروف و الدعوة إلى الله ، دار الروضة للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٣ هجري، ٢٠٠٢ م ، ص ٧ – ٨ .
(٢) { آل عمران : ٦٤ } .
(٣) { المائدة : ٧٧ } .
(٤) سبق تخريجه ص ٢٢ .

تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم و ليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم ، و ترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم و توق كرائم أموالهم .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يذكر النبي ﷺ رسوله إلى أهل اليمن ، و هو معاذ بن جبل بأنه يقدم على قوم أهل كتاب ، و في هذا التذكير إشارة إلى أن مخاطبة أهل الكتاب لها أسلوب مختلف عن غيرها ، و ذلك للعلم الموجود عندهم سابقاً ، و الكتب التي يتدارسونها فيما بينهم ، و هذا ما يجب أن يتنبه له الداعية عند مخاطبته لأهل الكتاب ، و نلاحظ بأن النبي ﷺ رتب لمعاذ الأمور التي يدعوهم إليها ، فابتدأ بأمرهم بعبادة الله و المقصود بها توحيد الله ، ثم الصلاة ثم الزكاة ، و ذلك لأن أهل الكتاب حصل عندهم التثليث في العقيدة ، فأراد أن يبتدئ بالأساس و هو التوحيد و تطهيره من هذا الاعتقاد ، يقول الدكتور البوطي في معرض الحديث عن أهمية التوحيد:« و العقيدة الصحيحة التي يهدي إليها العقل و العلم ، الإيمان بوجود الله و وحدانيته ، و أن لا سلطان حقيقياً في الكون غير سلطانه ، و لا قوة قاهرة غير قوته ، و لا ملك غير ملكه ، و كل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز و جلّ يمنحه حيث يشاء و يسلبه عندما يشاء ، و أنه الرقيب على عباده كلهم ، و سيبعثهم من بعد الموت فيحاسب كلاً على ما كسب أو اكتسب ... إلى أن يقول : فمن هنا كانت حاجة الإنسانية كلها إلى أن تدين لبارئها عزّ و جلّ بالاعتقاد الجازم بوجوبه و وحدانيته » (١) .

و قد يقول قائل : أن رسالة الإسلام للناس كافة تدعوهم أول ما تدعوهم إلى توحيد الله و نبذ الشرك ، فلماذا خص النبي ﷺ أهل الكتاب في هذا الحديث ؟ و الجواب : هو في قول الله تعالى : ﴿ وَ لَمَّا جَاءَهُم كِتابٌ مِنْ عِندِ اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُم وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلى الذِينَ كفرُوا فلمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفوا كفرُوا بْه فلعنة اللهِ عَلى الكافِرين ﴾ (٢) ، جاء في كتاب " الدر المنثور " في تفسير هذه الآية الكريمة : « كتابٌ من عند الله : هو القرآن ، مصدق لما معه : التوراة و الإنجيل » (٣) ، فأهل الكتاب موجود عندهم في

---

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ص٦٧ – ٦٨.
(٢) { البقرة : ٨٩ } .
(٣) السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص ٢١٥ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ .

كتبهم ما سيأتي به الرسول الكريم ﷺ ، و لكن جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً و حسداً .

من خلال هذا الحديث و الشرح له ، نستنتج طريقة من طرق النبي ﷺ في مخاطبة أهل الكتاب ، و هي البدء معهم بالأهم ثم المهم بطريقة منظمة و متسلسلة ، تتوافق ودرجات الانحراف عندهم ، فنبدأ معهم بالتوحيد ثم سائر العبادات ؛ كما رتب النبي ﷺ لمعاذ ، فإن الظل لا يستقيم و العود أعوج ، و كذلك فإن العبادات لا تستقيم و الشرك موجود .

الحديث الثاني :

{ ٥١ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، و الشجر على إصبع ، و الماء والثرى على إصبع ، و سائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه وَ الأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيَامَة وَ السَّمَاواتُ مَطويَّاتٌ بيَمِينِه سُبْحَانَهُ وَ تعَالى عمَّا يُشرِكون ﴾ ([٢]).

التخريج : و أخرجه مسلم ([٣]) ، و الترمذي ([٤]) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يبين لنا النبي ﷺ طريقة جديدة من طرق مخاطبة أهل الكتاب، و هي تصديقهم فيما يأتون به من الحق ، و قد جاء هذا العالم من علماء اليهود ليعرض على النبي ﷺ حقائق موجودة عندهم في كتبهم ، تتعلق بخلق السماوات و الأرض ، و غيرها من المخلوقات ؛ فلما وجد النبي ﷺ أن ما جاء به الحبر صحيحاً ، أقره على ذلك ، وضحك حتى بدت نواجذه .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ، باب ﴿ وَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه ﴾ ، رقم ٤٨١١ ، ج٩، ص ٥٥٧٩ .
([٢]) { الزمر : ٣٧ } .
([٣]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب صفة القيامة و الجنة و النار ، رقم ٦٩٧٧ ، ج٩ ، ص ٦٩ .
([٤]) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب و من سورة الزمر ، رقم ٣٢٣٨ ، ج٥ ، ص ٢٨٧ .

إن تصديق أهل الكتاب في الصواب الذي يتفق مع دين الإسلام يعتبر طريقة ناجحة في الوصول إلى نقاط الاتفاق معهم ، و بالتالي استمالتهم إلى هذا الدين العظيم ؛ لأن مبادئ الحوار الناجحة أن تبتدئ مع محاورك بالأمور التي تلتقون فيها .

يقول الدكتور فضل إلهي : « و مما يدل على ضرورة التعرف على أحوال المدعوين و أهمية مراعاتها أثناء الدعوة أنه سبحانه و تعالى أمر نبيه الكريم ﷺ بالقيام بالدعوة بعدة طرق. فعلى سبيل المثال جاء الأمر الإلهي بالقيام بالدعوة بثلاث طرق في قوله عز و جل ﴿ ادعُ إلى سَبيل رَبكَ بالحِكمَةِ وَ المَوعِظةِ الحَسَنة وَ جَادِلهُم بالَتي هِي أحسَن ﴾ (١) . ففي الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بثلاث طرق ، وهي:

١ – الحكمة .

٢ – الموعظة الحسنة .

٣ – المجادلة بالتي هي أحسن .

و تستخدم مع كل صنف طريقة تناسبه و تلائمه .

قال الإمام ابن القيم في تفسير الآية : جعل الله سبحانه مراتب الدعوة ، بحسب مراتب الخلق : فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق و لا يأباه : يدعى بطريق الحكمة . والقابل الذي عنده نوع غفلة و تأخر : يدعى بالموعظة الحسنة : و هي الأمر و النهي المقرون بالترغيب و الترهيب . و المعاند الجاهل يجادل بالتي هي أحسن . و ورد الأمر الرباني باستخدام الشدة و الغلظة مع الكفار و المنافقين في قوله تعالى : ﴿ يَا أيُّهَا النَّبيّ جَاهِد الكُفارَ وَ المُنافِقين وَ اغلظ عَليهم وَ مأوَاهُم جَهَنَّمُ وَ بئسَ المَصير ﴾ (٢) .

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الآية : فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، و المنافقين باللسان ، و أذهب الرفق عنهم . و جمعت الدعوة باللين و الرفق مع الدعوة بالغلظة و الشدة بقوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلوا أهلَ الكِتاب إلا بالَتي هِيَ أحْسَنُ إلا الذِينَ ظلمُوا مِنهُم ﴾ (٣) . ففي الآية الكريمة إرشاد و توجيه إلى المجادلة بالتي هي أحسن – و هي الدعوة باللين و الرفق – لغير الظلمة ، و المجادلة بغير التي هي أحسن – و هي الدعوة بالغلظة و الشدة – للذين ظلموا من أهل الكتاب . قال العلامة الزمخشري في تفسير الآية : بالخصلة التي هي أحسن : و هي مقابلة الخشونة باللين و الغضب بالكظم ؛ كما قال : ﴿ إلَا بالَتي هِيَ أحسَن ﴾ . ﴿ إلا الذِينَ ظلمُوا ﴾ فأفرطوا في الاعتداء و العناد

(١) { النحل : ١٢٥ } .
(٢) { التوبة : ٧٣ } .
(٣) { العنكبوت : ٤٦ } .

و لم يقبلوا النصح ، و لم ينفع فيهم الرفق ، فاستعملوا معهم الغلظة . فخلاصة الكلام أن الله عز و جل أمر النبي الكريم ﷺ باستخدام عدة طرق للدعوة إلى الله تعالى ، مع كل صنف الطريقة التي تناسبه . و إن اختيار طريقة من تلك الطرق مع الطائفة من الطوائف يتطلب معرفة حال تلك الطائفة حتى تستخدم لها الطريقة الملائمة في الدعوة » (١) .

الحديث الثالث :

{ ٥٢ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة و هو يتوكأ على عسيب معه ، فمر نفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، و قال بعضهم : لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ، ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت ، فلما انجلى عنه ، قال : ﴿ وَيَسْألُونكَ عَنْ الُروح قُل الرّوح مِن أمرِ رَّبي وَ مَا أوتِيتُم مِنَ العِلم إلا قليلا ﴾ (٣) .

التخريج : و أخرجه مسلم (٤) ، و الترمذي (٥) .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث يسأل نفر من اليهود النبي ﷺ عن الروح ، و هذا السؤال يراد به إثارة الشبهات ، و لكن النبي ﷺ يستخدم معهم غاية الحكمة في الخطاب ؛ كما جاء في الحديث " فسكت النبي ﷺ " ، يعني أن النبي ﷺ لم يتسرع بالإجابة نفياً أو إثباتاً ، و لكنه انتظر نزول الوحي ليجيب اليهود عن سؤالهم الذي لم يأتي من فراغ ، بل هو مبني على علم عندهم و في كتبهم ؛ و لذلك قال قائلهم : " لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه " ، فعلى الدعاة أن يستخدموا الحكمة و الحنكة و العلم في خطابهم لأهل الكتاب ، فإذا تعرض الداعية لإثارة شبهة حول نص من القرآن أو السنة فعليه أن يبني أجوبته على نصوص الوحيين و بتأني و عمق في الطرح ؛ كما فعل النبي ﷺ .

(١) د. فضل إلهي ، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين ، ص ١٣ – ١٤ .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، باب قوله تعالى ﴿ وَ مَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلا ﴾ ، رقم ١٢٢ ، ج١ ص ٢٩٥ .
(٣) { الإسراء : ٨٥ } .
(٤) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب صفات المنافقين و أحكامهم ، باب سؤال النبي ﷺ عن الروح ، و قوله تعالى : ﴿ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ ﴾ ، رقم ٦٩٩٠ ، ج٩ ، ص ٧٦ .
(٥) الترمذي ، السنن ، أبواب فضائل القرآن ، باب من سورة بني إسرائيل ، رقم ٣١٤١ ، ج٥ ، ص ٢٠٨ .

إننا نجد في هذا الزمان كثيراً من الجهلاء ممن يتصدر للدعوة يتسرع في إجاباته ، ويتسابق في إصدار الفتاوى و دون إدراك لخفايا كثير من الشبهات التي تثار بين الفينة والأخرى .

و لنستجلي خطورة الشبهات التي تثار في هذا الزمان حول الإسلام ، و التي تعتبر امتداد لشبهات اليهود و النصارى قديماً علينا أن نمعن النظر في النص الآتي : « و ليس في ذاكرة الغرب عن محمد ﷺ إلا ما تلقوه في الكتب المدرسية التي لا تزيد في تعريفه عن كونه بدوياً من عرب مكة ، أتيح له الاتصال ببعض أهل الكتاب في عصره فقبس منهم بعض المبادئ ، ثم لم يلبث أن أقام عليها جديداً جمع لنصرته آلاف الأعوان من الجاهلين الذين أكرهوا شعوبا على اعتناقه بقوة السيف ، و الأدهى من ذلك و الأمر أن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية و الأمريكية من المغرضين ، ماذا ينتظر منهم غير تشويه الحقائق تحت ستار البحث العلمي و حرية الفكر ؟ .

يقول الدكتور و المفكر الفرنسي موريس بوكاي : إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية ، و لا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة ، فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان ، و كيف فرض عليهم الجهل في كل م ا يمس الإنسان . و يقول أيضاً : إن كثيراً من النصارى الذين تربوا في ظل روح عدائية صريحة للمسلمين ، هم مبدئياً أعداء بكل تأمل في الإسلام ، بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة ، صدرت ضد الإسلام ، و لذلك فإنهم يظلون في جهالة لحقيقة الإسلام» (١) .

إن هذا يبين لنا أهمية أن يتصدى لمخاطبة الكتابيين و شبهاتهم أهل الاختصاص و الباع الطويل في ميدان الدعوة ، ليحسنوا مجادلتهم و دعوتهم إلى دين الإسلام .

الحديث الرابع :

{ ٥٣ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال : كان غلامٌ يهوديٌّ يَخدُمَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فمَرِضَ، فأتاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَعودُهُ ، فقعَد عندَ رأسهِ فقال لهُ : أسلِمْ. فنظرَ إلى أبيهِ وهوَ عندَهُ ، فقال له: أطِعُ أبا القاسِم صلى الله عليه وسلم . فأسلمَ . فخرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمدُ للهِ الذي أنقذَهُ منَ النار .

(١) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٤ هجري ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٠ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، رقم ١٣٣٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨٢ .

التخريج : و أخرجه أبو داود (١) ، و أحمد (٢) .

دلالة الحديث :

إن في عيادة النبي ﷺ لهذا الغلام اليهودي ، نموذج رائع يجب أن يحتذيه المسلمون في هذا الزمان ، و خاصة الدعاة منهم ، و لقد حرص النبي ﷺ في زيارته لهذا الغلام أن يدعوه إلى الإسلام ، فكان لهذه الزيارة الكبير في نفس والد الغلام ، الذي لم يتردد أن يقول لابنه : " أطع أبا القاسم " ، فلقد رأى ذلك اليهودي في خلق النبي ﷺ و رحمته بابنه ، ما دعاه أن يدفع ابنه ليستجيب لأمر النبي ﷺ ، و كم حريٌّ بنا أن نقتدي به عليه الصلاة و السلام في مثل هذه الأخلاق ، التي دعن الكثيرين أن يدخلوا في هذا الدين أفواجا ، فينبغي علينا التواصل مع أهل الكتاب ، و زيارتهم ، و مساعدتهم ، و إظهار البشاشة و البشر في وجوههم ، لترغيبهم في هذا الدين ، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَ لا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتابَ إلا بالَتِي هِيَ أَحْسَن ﴾ (٣) ، و من الأمثلة على التعامل الراقي في الإسلام مع أهل الكتاب و التي دونتها كتب الفقه ، ما جاء في كتاب " المدونة الكبرى " : « و قال مالك : لا يجبر للرجل المسلم امرأته النصرانية على أن تغتسل من الجنابة » (٤) ، و لو تعاملنا مع أهل الكتاب بهذه الروح الموجودة في ديننا و عند فقهائنا ، و هذا العلم الواسع ، إذاً لجنينا خيراً كثيراً ، و لدخل الناس في دين الله أفواجا .

في نهاية هذا المطلب نعرض جدولاً - يعتبر كالخلاصة لما تقدم ذكره – حول الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب :

طرق مخاطبة أهل الكتاب			
- ١ - بيان اتفاق أنبيائهم مع نبينا ﷺ في أصول العقائد .	- ٢ - الترتيب و التنظيم و التسلسل في عرض الأفكار المطروحة عليهم.	- ٣ - إقامة الحجة و البرهان عند دعوتهم بالنص و العقل .	- ٤ - حسن الرد على شبهاتهم بطريقة علمية و بأسلوب حسن .

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب الجنائز ، باب في عيادة الذمي ، رقم ٣٠٩٧ ، ج ٨ ، ص ٣٥٩ .
(٢) أحمد ، المسند ، رقم ١١٠٨١ ، ج ٤ ، ص ١٠١ .
(٣) { العنكبوت : ٤٦ } .
(٤) سحنون ، المدونة الكبرى ، ج ١ ، ص ٣٢ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

المطلب الثالث : رسائل النبي ﷺ إلى الملوك :

لم تقتصر دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام على عامة الناس ، و لكنها امتدت إلى الطبقة العليا وهم الملوك ؛ و ذلك لأنه لا يخاطب فئة محددة ، و إنما يريد لجميع الناس الهداية و الخروج من الظلمات إلى النور ؛ كما يريد لهذا الدين أن يكون ظاهراً على الدين كله ؛ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَ دِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّه وَ لو كرِهَ المُشْرِكُون ﴾ (١) ، و في هذا المطلب نذكر بعض نماذج رسائل النبي ﷺ إلى الملوك .

الحديث الأول :

{ ٥٤ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : بسم الله الرحمن الرحيم : مِنْ مُحمدٍ عبدِ اللهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عظِيم الرُّوم. سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بعدُ فإنّي أدْعُوكَ بدِعايةِ الإسْلام، أسْلِمْ تسْلَمْ، يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتين. فإنْ توَلَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسِيِّين و ﴿ قل يا أهلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينكم أنْ لا نعبُدَ إلاَّ اللهَ ولا نُشْرِكَ بهِ شيئاً ولا يَتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ، فإنْ توَلَّوْا فقولوا اشْهَدُوا بأنّا مسلمون ﴾ (٣) .

التخريج : و أخرجه مسلم (٤) ، و أبو داود (٥) ، و الترمذي (٦) ، و أحمد (٧) .

غريب الحديث : الأريسيين : الأتباع الفلاحين (٨) .

دلالة الحديث :

---

(١) { الصف : ٩ } .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب ﴿ قُلْ يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إلى كَلِمَةٍ سَواء ﴾ ، رقم ٤٥٥٣ ، ج٩ ، ص ٥١٤٨ ، و هو جزء من حديث طويل .
(٣) { آل عمران : ٦٤ } .
(٤) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، رقم ٤٥٨٣ ، ج٦ ، ص ٣٦٩ .
(٥) أبو داود ، السنن ، كتاب الآداب ، رقم ٥١٣٦ ، ج٥ ، ص ٤٠٩ .
(٦) الترمذي ، السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في كيف يكتب إلى أهل الشرك ، رقم ٧١٧ ، ج٤ ، ص ٤٤٠ .
(٧) أحمد ، المسند ، رقم ٢٣٧٠ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٢ ، ج٣ ، ص ٧٩ – ٨٣ .
(٨) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، ص ١١٢ .

في هذا الحديث يرسل النبي ﷺ قواعد راسخة في مخاطبة الملوك ، و دعوتهم إلى الإسلام ، و من هذه القواعد :

القاعدة الأولى: أن النبي ﷺ يخاطب هرقل بقوله : " إلى هرقل عظيم الروم " ، يقول النووي : « ولم يقل هرقل فقط ، بل أتى بنوع من الملاطفة ، فقال : عظيم الروم ، أي الذي يعظمونه و يقدمونه،وقد أمر الله بالإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال : ﴿ ادْعُ إلى سَبيل رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَ المَوعِظَةِ الحَسَنَة ﴾ (١) ، و قال تعالى : ﴿ فقولا لهُ قوْلا لَيِّناً ﴾ (٢) ، وغير ذلك » (٣) ، فهذا يدل على وجوب الملاطفة ، و استخدام الحكمة في دعوة الملوك .

القاعدة الثانية : استخدام الترغيب و عظم الأجر في حال استجابة الملوك لدعوة الإسلام ؛ كما قال النبي ﷺ لهرقل : " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " .

القاعدة الثالثة : حرص النبي ﷺ على هداية الجميع إلى الحق ، و نقلهم من الشر إلى الخير ، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية ، و هذا يدل على كمال شريعته ﷺ ، جاء في كتاب مختصر كتاب إظهار الحق « إن شريعته ﷺ اشتملت على الاعتقادات و العبادات و المعاملات و السياسات و الآداب و الحكم بأكمل وجه ، و من نظر إلى هذا الكمال و الشمول في شريعته ﷺ علم أنها من الوضع الإلهي و الوحي السماوي ، و أن المبعوث بها نبي مرسل من الله تعالى ، و لا منشأ للاعتراض عليها إلا حب الفساد الصرف و الإعتساف » (٤).

الحديث الثاني :

{ ٥٥ } أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده (٥) ، عن انس – رضي الله عنه – أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى ، و إلى قيصر ، و إلى النجاشي ، و إلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى . و ليس للنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

---

(١) { النحل : ١٢٥ } .
(٢) { طه : ٤٤ } .
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٣٧٤ .
(٤) رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، مختصر كتاب إظهار الحق ، طبع و نشر وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٦ هجري ، ١٩٩٥ م ، تدقيق د. محمد أحمد ملكاوي ، ص ٢٠٧ .
(٥) مسلم الصحيح مع النووي ، كتاب الجهاد و السير ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز و جل ، رقم ٤٥٨٥ ، ج٦ ، ص ٣٧٦ .

غريب الحديث : كسرى : و هو لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، و قيصر لقب من ملك الروم ، و النجاشي لكل من ملك الحبشة ، و خاقان لكل من ملك الترك ، و فرعون لكل من ملك القبط ، و العزيز لكل من ملك مصر ، و تبع لكل من ملك حمير .(١)

دلالة الحديث :

جاء في كتاب عالمية الإسلام « و قد حرص ﷺ كل الحرص على دخول الناس في دين الله ، فما ترك وسيلة يبلغ بها رسالة ربه عز و جل إلى القريب و البعيد إلا سلكها ، و كانت رسائله إلى الملوك و الأمراء و العظماء في عصره هي الانطلاقة الأولى للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك .

" عن انس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى و إلى قيصر و إلى النجاشي و إلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى " (٢) . و كان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام و نشره و تبليغه للناس ، و تذكيرهم بما سبق التمهيد له و التبشير به على لسان الأنبياء ، و دعوتهم إلى الإيمان به . و هذا العمل يدل على صدقه و ثقته بنصر ربه ، و قد كان أتباعه في ذلك الوقت قليلين مستضعفين ، فضلاً عن أن يكون لديه من العدد و العدة ما لدى الفرس و الروم و غيرهم ، و إلا فكيف يخاطر بذلك ؟ و يظهر هذا الأمر من محتوى الرسائل ، حيث يقول فيها : " إن ديني سيظهر إلا منتهى الخف و الحافر " .
علماً بأن الدعوة إلى الله تعالى بطريق الرسائل و الوفادات و إقام الحجج و البراهين من أعمال الأنبياء ، و ليس من قبيل التحدي العسكري أو السياسي، كما دعي موسى عليه السلام فرعون إلى عبادة الله وحده.

و قد من الله على بعض الملوك و الامراء الذين أرسل إليهم ، فدخل بعضهم في الإسلام ، و أسلم معهم قومهم ، و ردّ بعضهم ردّاً جميلا ، فأكرموا السفراء ، و أرسلوا ببعض الهدايا » (٣) .

جاء في كتاب زاد المعاد في سياق بيان رسائل النبي ﷺ إلى الملوك : « وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهمي إلى كسرى، واسمه أبرويز بن هُرمز ابن أنوشروان، فمزق كتابَ النبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ مَزِّقْ مُلكه» فمزق الله ملكه، وملك قومه.

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٣٧٧ .
(٢) سبق تخريجه في نفس الصفحة .
(٣) د. محمد أمين شاكر الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، ص ٧ – ٨ .

وبعث حاطب بن أبي بَلتعة إلى المُقَوْقِس، واسمه جُريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط، فقال خيراً، وقارب الأمر ولم يُسلم، وأهدى للنبي مارية، وأختيها سيرين وقيسرى، فتسرى مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وأهدى له جارية أخرى، وألفَ مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دُلدل، وحماراً أشهب، وهو عُفير، وغلاماً خصياً يقال له: مابور. وقيل: هو ابن عم مارية، وفرساً وهو اللزاز، وقدحاً من زجاج، وعسلاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ضَنَّ الخبيث بملكِهِ، وَلا بَقاءَ لِمُلكِهِ».

وبعث شجاع بن وهب ألأسدي إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني ملك البلقاء، قاله ابن إسحاق والوا قدي. قيل: إنما توجه لِجَبَلة ابن ألأيهم. وقيل: توجه لهما معاً. وقيل: توجه لهرقل مع دحيه بن خليفة، والله أعلم.

وبعث سَلِيط بن عمرو إلى هَوْذَة بن علي الحنفي باليمامة، فأكرمه. وقيل: بعثه إلى هوذة وإلى ثمامَة بن أثال الحنفي، فلم يُسْلِمْ هَوذة، وأسلم ثمامة بعد ذلك، فهؤلاء الستة قيل: هم الذين بعثهم رسولَ الله في يوم واحد.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد الله ابني الجُلنْدَى الأزديين بعُمان، فأسلما، وصدقا، وخلّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل فيما بينهم حتى بلغته وفاة رسول الله .

وبعث العلاء بن الحَضْرمي إلى المنذر بن سَاوَى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من «الجعْرَانةِ» وقيل: قبل الفتح فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كُلال الحِميري باليمن، فقال: سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك. وقيل: بل سنة عشر من ربيع الأول داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهلها طوعاً من غير قتال.

ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب إليهم، ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبد الله البَجَلي إلى ذي الكلاع الحِميري، وذي عمرو، يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما، وتوفي رسولُ اللهِ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضَّمْري إلى مسيلمَة الكذاب بكتاب، وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يُسلم.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجُذامي يدعوه إلى الإسلام. وقيل: لم يبعث إليه، وكان فروة عاملاً لقيصر بمعان، فأسلم، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وبعث

إليه هدية مع مسعود بن سعد، وهي بغلة شهباء يقال لها: فضة، وفرس يقال لها : الظرب وحمار يقال له: يعفور، كذا قاله جماعة، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن عفيراً ويعفور واحد، عفير تصغير يعفور تصغير الترخيم.

وبعث أثواباً وقَبَاءً مِنْ سندس مُخَوَّصٍ بالذهب، فقبل هديته، ووهب لمسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشاً.

وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث، ومسروح، ونعيم بني عبد كُلال من حمير » (١) .

و السؤال المطروح هنا : ماذا يستفيد الداعية في هذا الزمان من عرض خطاب النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ؟ .

لا شك أن الفائدة العظمى تتمثل في قوة هذا الدين الذي يتكلم الدعاة باسمه ، و لو أحسنوا فهم هذا الدين و أحسنوا عرضه لوصلت دعوتهم إلى أعتى ملوك الأرض ، و إلى الناس كافة ؛ كما أن الداعية يرى تجسد قوله تعالى : ﴿ فقولا لهُ قوْلاً ليِّناً ﴾ (٢) في خطاب النبي ﷺ للملوك، و إن من أعظم الفوائد كذلك فهم قول الله عز و جل الوارد في سورة مريم :﴿ يَا يَحيَى خُذ الكِتابَ بقُوَّة ﴾ (٣) ، و هو ما كان ينطلق منه النبي ﷺ في رسائله حيث خاطب الملوك بمنتهى القوة دون خوف أو تردد ، لاعتقاده اعتقاداً جازماً بوجود المعية الإلهية معه مستحضراً قوله تعالى : ﴿ لا تحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا ﴾ (٤) و قوله تعالى : ﴿ كلا إنَّ مَعِيَ رَبي سَيَهْدِين ﴾ (٥) .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، فصل في كتبه و رسله إلى الملوك ، ج ١ ، ص ١١٦ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ١٤ ، ١٤٠٧ هجري ، ١٩٨٦ م ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) { طه : ٤٤ } .

(٣) { مريم : ١٢ } .

(٤) { التوبة : ٤٠ } .

(٥) { الشعراء : ٦٢ } .

المبحث الثاني

التدرج في عرض مادة الخطاب

المطلب الأول : فقه الأولويات و أهميتها في الخطاب

لقد اقتضت الضرورة الدعوية و منذ صدر الإسلام ، أن تكون الدعوة على مراحل ، فابتدأت سراً ، ثم جهراً ، و كانت في بدايتها مقتصرة على أفراد محددين ، ثم انتقلت لتكون دعوة عامة ، و كان من أولويات الدعوة في بداياتها التركيز على بناء العقيدة في النفوس ، ثم انتقلت إلى مرحلة العمل و التكاليف الشرعية ، و نلاحظ أن هذه المنهجية تستمد أصولها من كيفية نزول القرآن الكريم ، الذي نزل على مراحل و لم ينزل جملة واحدة ، و قد رد القرآن على الشبهة التي أثارها الكفار حول نزول القرآن منجماً فقال : ﴿ وَ قال الّذين كفروا لولا نُزِّلَ عَليهِ القرْآن جُمْلةً وَاحِدة كذلِكَ لِنُثبتَ به فؤَادك وَ رَتّلناهُ ترتيلا ﴾ (١) ، كل هذا يشير إلى أهمية مراعاة الأولويات في العمل الدعوي ، و خاصة عند دعوة غير المسلمين .

لا بد لنا في بداية هذا المطلب من الوقوف على تعريف فقه الأولويات ، لنستطيع الولوج في أعماق هذا الموضوع المهم .

جاء في كتاب فقه الأولويات : « تعريف الفقه : كلمة الفقه كما هو معروف يقصد يها العلم بالشيء و الفهم له . يقال : فقه الشيء أو الكلام أي فهمه ، تعريف فقه الأولويات : إذا كان مصطلح الأولويات لم يعرفه أحد – حسب اطلاعي – فإن فقه الأولويات سبق أن عرف . وأول من عرّفه – ولا أحسب أن أحداً آخر عرفه – هو الدكتور يوسف القرضاوي .

فقد عرفه في كتابه " أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة " بقوله : و أما فقه الأولويات فنعني به وضع كل شيء في مرتبته ، فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير ، و لا يصغر الأمر الكبير ، و لا يكبر الأمر الصغير . إلا أن هذا التعريف لو سلك فيه المعرف المنهج المتعارف عليه و هو التعريف الجزئي أولاً ، ثم التعريف الإضافي ثانياً ، لجاء أكثر دقة و أكثر ضبطاً .... إلى أن يقول : فقه الأولويات هو : العلم

---

(١) { الفرقان : ٣٢ } .

بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناءً على العلم بمراتبها و بالواقع الذي يتطلبها » ([1]) .

و على ضوء التعريف السابق نستطيع أن نلج إلى هذا الموضوع و أن نقف على بعض الأحاديث التي جاءت فيه .

الحديث الأول :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([2]) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا على اليمن ، قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب، ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم و ليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم ، و ترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم و توق كرائم أموالهم .

دلالة الحديث :

إن هذا الحديث هو منهج تربوي خطه النبي ﷺ لأصحابه – رضي الله عنهم – مستمداً ذلك من المنهج القرآني ؛ كما ذكرنا في مقدمة هذا المطلب أن القرآن لم ينزل جملة واحدة ، و إنما نزل منجماً ، يتدرج في الرقي بالمجتمع و في اقتلاع الفساد الاجتماعي المتجذر شيئاً فشيئاً ، و هكذا بدأ بأحكام العقيدة قبل أحكام الشريعة ، و نلاحظ أن النبي ﷺ في هذا الحديث ابتدأ لمعاذ بالعقيدة قبل الشريعة ، فأمره بالتوحيد ثم الصلاة ، مقدماً في كل هذا الأهم على المهم . ([3])

ذكر لي بعض الثقات عن بعض الدعاة في هذا العصر ، أنه كان يدرس في بريطانيا ، و يعظ الناس عن الفرق بين الناسخ و المنسوخ ، و هذا يعتبر من العقم في الخطاب ؛ لأنه يخاطب أناس لا يعرفن بديهيات العلم الشرعي ، فكان حرياً به أن يبين لهم أحكام الشهادتين و الصلاة و أركان الإسلام و ما يصلح به أمور دينهم . إن هذا العقم في الفهم ، و هذه السلبية في الخطاب هي التي قادت الكثير من الناس إلى النفور من هذا الدين ، و قد ذكرت هذا المثال لأدلل على انعدام فقه الأولويات عند الكثير ممن يتصدر لميدان الدعوة و خلطهم في الأمور التي يجب أن تقدم للناس .

([1]) محمد الوكيلي ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن – فيرجينيا - ط ١ ، ١٤١٦ هجري ، ١٩٩٧ م ، ص ١٥ – ١٦ .

([2]) سبق تخريجه ص ٢٢ .

([3]) انظر غير مأمور فقه الأولويات ، محمد الوكيلي ، ص ٦١ – ٦٢ .

الحديث الثاني :

{ ٥٦ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده ([١]) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : إذا وضع العَشاء و أقيمت الصلاة فابدءوا بالعَشاء .

التخريج :وأخرجه مسلم ([٢]) ، والترمذي ([٣]) ،والنسائي ([٤]) ، و ابن ماجه ([٥]) ، وأحمد([٦]).

دلالة الحديث :

إن هذا التوجيه النبوي يدل على فقه الأولويات الذي أمر به النبي ﷺ ، سواءً بلسان حاله أو بلسان مقاله ، فالنبي ﷺ يريد من المصلي أن يتفرغ كلياً للعبادة ، و لا يكون ذهنه منشغل بالطعام أو بغيره ، يقول النووي في شرح هذا الحديث : « في هذه الأحاديث كراهة الصلاة لحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به ، و ذهاب كمال الخشوع ، و كراهتها مع مدافعة الأخبثين و هما البول و الغائط ، و يلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب و يذهب كمال الخشوع » ([٧]) .

لا بد لنا أن نفقه مثل هذه الأحاديث ، و بخاصة عند توجيه الخطاب لغير المسلمين ، فنرتب الأمور حسب أولويتها عند دعوتنا لغيرنا ، و ما حصل الإفساد إلا من خلال جهلة من الناس تصدروا لما لا يحسنون ، فضلوا و أضلوا ، وجعلوا الولاء و البراء في أمور فقهية ، مثل إطالة اللحية و تقصير الثوب ، و شعر الخدين وجوداً وعدماً ، فترى الجاهل من هؤلاء ينظر إليك طولاً و عرضاً ليرى طول ثوبك و قصر لحيتك ، ثم تكون عداوته لك على ضوء ذلك ، فإذا ما انتقل هؤلاء إلى خطاب غير المسلمين ، فسيكون إفسادهم أكثر ، و تشويههم لصورة الدين أعظم ، لعدم مراعاتهم لفقه الأولويات الذي أمر فيه الشارع الحكيم .

([١]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الأطعمة ، باب إذا حضر العِشاء فلا يعجل عن عَشَاءه ، رقم ٥٤٦٢ ، ج١١ ، ص ٦٥٥٨ .

([٢]) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ، رقم ١٢٤١ ، ج٣ ، ص ٢٦٣ .

([٣]) الترمذي ، السنن ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء إذا حضر العشاء و أقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ، رقم ٣٥٣ ، ج١، ص ٣٨ .

([٤]) النسائي ، السنن ، كتاب الآذان ، باب العذر في ترك الجماعة ، رقم ٨٥٢ ، ج٢ ، ص ١١١ .

([٥]) ابن ماجه ، السنن ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، باب إذا حضرت الصلاة و وضع العشاء ، رقم ٩٣٣ ، ج١ ، ص ٣٦٤ .

([٦]) أحمد ، المسند ، رقم ٤٧٠٩ ، ج٤ ، ص ٣٦٨ .

([٧]) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٣٦٥ .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([١]) عن مالك بن الحويرث – رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، و كان حليماً رفيقاً ، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا ، قال : ارجعوا فكونوا فيهم ، وعلموهم وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة ؛ فليؤذن لكم أحدكم ،وليؤمكم أكبركم .

دلالة الحديث :

يبتدأ النبي ﷺ في هذا الحديث بالأهم ثم المهم بقوله :" علموهم ، و صلوا " فابتدأ بالعلم قبل الصلاة ، وهذا متوافق مع قوله تعالى ﴿ فاعْلَم أنَّه لا إله إلا الله ﴾ ([٢]) ، فقدم سبحانه العلم على أساس الإسلام و هو الشهادتين ؛ لأن الشهادتين تحتاج إلى علم بمضمونها قبل النطق بها ؛ و لأن الجاهل يفسد في عبادته أكثر مما يصلح ، ولذلك نجد البخاري يضع باباً خاصاً بعنوان " باب العلم قبل القول و العمل لقوله تعالى ﴿ فاعْلَم أنَّه لا إله إلا الله ﴾ فبدأ بالعلم " ([٣]) .

الحديث الرابع :

{ ٥٧ } أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ([٤])عن ابن مسعود قال : يَقولُ : قالَ لنا رَسُولُ اللهِ : يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرَأهُمْ لِكِتابِ الله وَأقدَمُهُمْ قِرَاءَةً. فإنْ كانتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فلْيَؤُمَّهُمْ أقدَمُهُمْ هِجْرَةً. فإنْ كانوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً فليَؤُمَّهُمْ أكْبَرُهُمْ سِناً. وَلا تؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أهْلِهِ وَلا فِي سُلْطانِهِ. وَلا تجْلِسْ عَلى تكْرِمَتِهِ. فِي بَيْتِهِ، إلاَّ أنْ يَأذَنَ لكَ. أوْ بإذْنِهِ .

التخريج : و أخرجه أبو داود ([٥]) ، و الترمذي ([٦]) ، و النسائي ([٧]) ، و ابن ماجه ([١]) ، و أحمد ([٢]) .

([١]) سبق تخريجه ص٥٥ .
([٢]) { محمد : ١٩ } .
([٣]) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب العلم ، ج١ ، ص ٢١٠ .
([٤]) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٤٨٤ ، ج ٥ ، ص ١٤٣ .
([٥]) أبو داود ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٥٨٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
([٦]) الترمذي ، السنن ، كتاب الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٢٣٣ ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
([٧]) النسائي ، السنن ، كتاب الإمامة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ٧٧٨ ، ج٢ ، ص ٤١٠ .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يقدم الأعلم بكتاب الله في إمامة الصلاة ، ثم الأعلم بالسنة إن تساووا في القراءة و العلم بكتاب الله ، ثم الأقدم هجرة إن كانوا في السنة سواء ، ثم الأقدم سناً إن كانوا في الهجرة سواء ، و هذا دليل واضح على مراعاة النبي ﷺ لفقه الأولويات ، سواء في الأمور التعبدية أو الفكرية أو غيرها ، يقول الدكتور العلواني حول قضية مراعاة الأولويات في الأمور الفكرية و غيرها : « إنه ما من سبيل للخروج من الخلل الفكري الذي أصاب العقل المسلم ، و الأزمة الأخلاقية التي يعاني منها السلوك المسلم ، إلا بمعالجة جذور الأزمة الفكرية و إصلاح مناهج التفكير ، فلا بد من إعادة الصياغة الفكرية للعقول ، و إعادة الترتيب المفقود للأولويات و تربية الأجيال المسلمة على ذلك ؛ و لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه الصدر الأول من أسلافنا من تمسك بكتاب ربهم و سنة رسولهم ﷺ » (٣) .

إن عدم ترتيب الأولويات يقود إلى التخبط ، و السير على طريقة من يقرأ ﴿ فَوَيلٌ لِلمُصَلّين ﴾ (٤) و يقف عليها ، و هذا يقود إلى صورة مبتورة ، و جملة غير مكتملة تعطي معناً مغلوطاً و فهماً سقيماً ، و لا بد من عرض بعض فروض أولويات العصر المتفق عليها .

يقول محمد الوكيلي : « بناءً على المحدد الظرفي الواقعي فإن هناك عدة أعمال تعتبر من فروض عصرنا و من أولوياته ، يجب أن تولى العناية و تقدم على غيرها منها : العناية بفقه المعاملات ، السعي نحو الاتفاق و الوحدة ، أسلمة العلم و التعليم ، غرس التربية الدينية و الأخلاقية » (٥) .

يقول الدكتور محمد الفزيع في بحث له بعنوان " فقه الأولويات " حول القواعد التي ينبغي السير عليها في موضوع تحديد الأولويات :

« القاعدة الأولى : تقديم العلم على العمل :

الأصل تقديم العلم على العمل ، و لنا في القرآن الكريم عبرة حيث أن أول آية نزلت هي قوله تعالى : ﴿ اقرَأ باسم رَبِّكَ الّذي خلقْ ، خلقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقْ ، اقرَأ وَرَبُّكَ الأكرَم

---

(١) ابن ماجه ، السنن ، كتاب إقامة الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم ١٠١٣ ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
(٢) أحمد ، المسند ، رقم ١٦٧٦٦ ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .
(٣) د . طه جابر علواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدار العربية للعلوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٥ .
(٤) { الماعون : ٤ } .
(٥) محمد الوكيلي ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط ، ص ١٨٣ – ١٨٧ .

، الَّذي عَلم بالقَلم ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعلم ﴾ (١) ، فأمر النبي ﷺ بالعلم قبل العمل ، و لم يبدأ بالعمل قبل العلم ، و لم يبدأ بالعمل إلا بعدما نزل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا المدَّثر قُمْ فأنذِرْ وَ رَبَّكَ فكبِّر وَ ثِيَابَكَ فطَهِّر ﴾ ، و ذلك بعدما أدرك حقيقة الدين و ما يهدف إليه .

كما يدل لهذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ فاعْلم أنَّه لا إلَه إِلَّا الله وَ اسْتغفِر لذَنبك ﴾ (٢) فبدأ بالعلم قبل القول و العمل ، و قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِه سَبيلي أدْعو إلى الله عَلَى بَصِيرة ﴾ (٣) ، و البصيرة هي العلم .

و بسبب مخالفة هذه القاعدة تجد من يفتي الناس بغير علم ، كما ورد في سنن أبي داود عن جابر – رضي الله عنه – قال : خرجنا في سفر فأصاب رجل منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة بالتيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة ، و أنت تقدر على الماء . فاغتسل ، فمات ، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال : (قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العيّ (٤) السؤال ، إنما كان يكفيه أن يتيمم و يعصر على جرحه خرقة ، ثم يمسح عليها ، و يغسل سائر جسده) (٥) .

كما تجد – بسبب مخالفة هذه القاعدة – من يشدد على المسلمين ، (و قد قالت عائشة – رضي الله عنها - : ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه) (٦) .

و روى الشيخان عن أنس بن مالك - رضي الله عنه – قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا ؛ كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . و قال آخر : أنا أصوم الدهر و لا أفطر . و قال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : (أنتم الذين قلتم كذا و كذا ؟ أما و الله إني لأخشاكم لله و أتقاكم له ، لكني أصوم و أفطر ، و أصلي و أرقد ، و أتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٧) .

القاعدة الثانية : الأصل أن يقدم العمل الدائم عن العمل المنقطع :

---

(١) { العلق : ١ – ٥ } .
(٢) { محمد : ١٩ } .
(٣) { يوسف : ١٠٨ } .
(٤) العي : هو التحير في الكلام و عدم الضبط . (عون المعبود ، شرح سنن أبي داود ، العظيم أبادي) ج ١ ، ص ٥٣٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
(٥) أخرجه أبوداود ، كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم ، رقم ٣٣٦ ، ج ١ ، ص ٥٣٢ ، و ابن ماجه ، أبواب التيمم ، باب في المجروح تصيبه الجنابة ، رقم ٦٠٠ ، ج ١ ، ص ١٨٩ ،قال الألباني : حسن دون قوله انما كان يكفيه، صحيح سنن أبي داود رقم ٣٣٦، ص٦٥.
(٦) أخرجه البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، رقم ٣٤٨٤ ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ ، ومسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته للآثام ، رقم ٦٠٠١ ، ج ١٥ ، ص ٧١ .
(٧) أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، باب في الترغيب في النكاح ، رقم ٤٩٤٣ ، ج ١٠ ، ص ١٣٠ .

حثت الشريعة الإسلامية على تقديم العمل الدائم – و لو كان قليلاً – على العمل المنقطع – و لو كان كثيراً – كما قال النبي ﷺ : (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ) (١) .

و من هنا فإن من يوقف ديناراً ليستثمر ، يخصص ريعه لنشر العلم – مثلاً – خير من الذي تصدق بعشرة دنانير لمرة واحدة .

القاعدة الثالثة : تقديم العمل المتعدي نفعه على القاصر :

حثت الشريعة على تقديم العمل المتعدي – و لو كان قليلاً – على العمل الذي يقتصر نفعه على الفاعل وحده – و لو كان كثيراً - و من هنا قدمت الشريعة الإسلامية العالم على العابد كما قال ﷺ (إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) (٢) .

و على قدر ما ينتفع بعلم هذا العالم تزداد حسناته كما قال النبي ﷺ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، و من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (٣) .

و من هنا رأى بعض الفقهاء أن الفقير المتفرغ للعلم يعطى من الزكاة بينما الفقير غير المتفرغ للعلم لا يعطى إذا كان قادراً على العمل » (٤) .

بعد هذا العرض لبعض الأحاديث التي تعنى بفقه الأولويات فإننا نخلص النقاط التالية في هذا الموضوع :

قواعد فقه الأولويات		
- ١ -	- ٢ -	- ٣ -
معرفة الأهم فالمهم و عرض الإسلام على أساس ذلك .	تصدر العلماء العارفين بفقه الأولويات لميدان الدعوة و بخاصة لغير المسلمين .	الإحاطة بمستجدات هذا العصر و ترتيب الأولويات على حسب ذلك .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصد و المداومة على الأعمال ، رقم ٦٣١٨ ، ج ١٣ ، ص ٨٣ ، و مسلم ، باب فضيلة العمل الدائم ، رقم ١٧٨٠ ، ج ٦ ، ص ٦٠ .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب العلم ، باب في فضل العلم ، رقم ٣٦٤٢ ،ج ١٠ ، ص٧٢ ، و الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه ، رقم ٢٧٥٥ ، ج ٧ ، ص ٤٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، رقم ٦٧٥٥ ، ج ١٦ ، ص ١٩٥ .

(٤) انظر " فقه الاولويات " ، الدكتور محمد الفزيع ، تاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٨ ، hamoora.blogspot.com/2008/02/7-9.html - 81k

المطلب الثاني : إبراز وسطية الخطاب الدعوي في ضوء الهدي النبوي :

إن إبراز وسطية الخطاب الدعوي تنبع من الفهم العميق للنصوص التي تدل على هذه الوسطية ، من مثل قوله تعالى : ﴿ وَ كذلِكَ جَعَلنكم أمَّةً وَسَطا لِتكونوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاس وَ يَكونَ الرَّسُولُ عَليكم شَهيدا ﴾ (١) ، يقول الطبري في تفسير هذه الآية : « قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " وكذلك جَعلناكم أمة وسطًا "، كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضَّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا. وقد بينا أن " الأمة "، هي القرن من الناس والصِّنف منهم وغيرهم.

وأما " الوسَط" ، فإنه في كلام العرب الخيار. يقال منه : " فلان وَسَط الحسب في قومه "، أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، و " هو وَسَطٌ في قومه وواسط " ، كما يقال : " شاة يابسة اللبن ويَبَسة اللبن " ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فاضْرِبْ لهُمْ طريقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا ﴾ (٢) ، قال أبو جعفر: وأنا أرى أن " الوسط " في هذا الموضع هو " الوسط" الذي بمعنى : الجزءُ الذي هو بين الطرفين ، مثل " وسَط الدار " محرَّك الوَسط مثقله، غيرَ جائز في" سينه " التخفيف » (٣) .

و يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة : « أي : عدلا خيارا ، وما عدا الوسط ، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة ، وسطا في كل أمور الدين ، وسطا في الأنبياء ، بين من غلا فيهم ، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى .وفي باب الطهارة والمطاعم ، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج . بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب

---

(١) { البقرة : ١٤٣ } .
(٢) { طه : ٧٧ } .
(٣) الإمام ابن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، مجلد ٢ ، ص ١٣٠ ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هجري ، ٢٠٠٠ م ، تحقيق محمد أحمد شاكر .

والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله ، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

و وهبهم الله من العلم والحلم ، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا (أُمَّةً وَسَطًا) ، كاملين ليكونوا (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول ، فهو مقبول ، وما شهدت له بالرد ، فهو مردود . فإن قيل : كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة فأما إذا انتفت التهمة ، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة، فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.

فإن شك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلهذا قال تعالى: (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) . ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها. وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ ، لإطلاق قوله : (وَسَطًا) فلو قدر اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور، ولقوله: (لتكونوا شهداء على الناس) يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم ، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك » (١) ، جاء في كتاب الجواب الصحيح « المسلمون وسط في الشريعة ، فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود ، ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم ، و لا ابتدعوا شرعاً لم يأذن به الله كما فعلت النصارى » (٢) .

و نلاحظ بأن الآية جاءت في وسط سورة البقرة تماماً ، إذ إن عدد آيات سورة البقرة مئتان و ست و ثمانون آية ، و جاءت آية الوسطية برقم مئة و ثلاث و أربعون ، ليتوافق المعنى مع رقم الآية ، مما يدل على تحقق الوسطية لفظاً و رقماً و معنى ؛ و هي أفضل

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هجري ، ٢٠٠٠ م ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ص ٧١ .

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ، ص ٧١ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هجري ، تحقيق د . علي حسن ناصر ، د . عبد العزيز العسكر ، د . حمدان محمد .

الوسطية و خيرها ، جاء في كتاب " التبيان " في معنى الوسط : « وسطاً : أي عدلاً خياراً بلغة قريش ، و قال أبو عبيدة : الوسط : الخيار من واسطة العقد » (١) و لذلك فإن على الدعاة إبراز هذه الوسطية في الخطاب ، و بخاصة لغير المسلمين ، إذ أن أكثر الاتهامات بالإرهاب و التطرف و العنف الموجهة للإسلام و المسلمين تأتي من أمثال هؤلاء ، وسنبين في هذا المطلب بعض الأحاديث التي تدل على وسطية هذا الدين ، و وجوب انتهاج الدعاة للوسطية في خطابهم سيراً على خطى النصوص القرآنية و النبوية .

الحديث الأول :

{ ٥٨ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا عبد الله ، ألم أخبر أنك تصوم النهار و تقوم الليل؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم و أفطر ، و قم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقاً ، و إن لعينك عليك حقا ، و إن لزوجك عليك حقا ، و إن لزورك عليك حقا ، و إن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ؛ فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ؛ فإن ذلك صيام الدهر كله ، فشددت ، فشدد عليّ ، قلت : يا رسول الله إني أجد قوة قال : فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ، و لا تزد عليه ، قلت : و ما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال : نصف الدهر ، فكان عبد الله يقول بعدما كبر : ياليتني قبلت رخصة النبي ﷺ .

التخريج : و أخرجه مسلم (٣) ، وأبو داود (٤) ،والترمذي (٥) ، و النسائي (٦) وابن ماجه (٧) ، و أحمد (٨) .

دلالة الحديث :

لا شك أن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على مفهوم الوسطية ، فالنبي ﷺ يبين لعبد الله بن عمرو كيفية العبادة دون إفراط ولا تفريط ، و بما يحفظ التوازن بين حظ النفس

---

(١) الجياني ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، ج ١ ، ص ١١٣ ، دار الصحابة للتراث ، بطنطا ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢ ، تحقيق د . فتحي أنور الدابولي .
(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الصوم ، باب حق الجسم في الصوم ، رقم ١٩٧٥ ، ج٥ ، ص ٢٥٩٩ .
(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ، أو فوت به حقا ، رقم ٢٧٢١ ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ .
(٤) أبو داود ، السنن ، كتاب الصيام ، باب في صوم الدهر ، رقم ٢٤٢٧ ، ص ١٧٩ ، رقم ٢٤٤٨ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .
(٥) الترمذي ، السنن ، أبواب الصوم ، باب ما جاء في سرد الصوم ، رقم ٧٧٠ ، ج٢ ، ص ١٣١ .
(٦) النسائي ، السنن ، كتاب الصيام ، باب صوم نبي الله داود ، رقم ٢٣٤٤ ، ج٤ ، ص ١٩٨ .
(٧) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيام الدهر ، رقم ١٧٠٦ ، ج٢ ، ص ١٠٠ .
(٨) أحمد ، المسند ، رقم ٦٤٩١ ، ج٦ ، ص ٤٥ ، و رقم ٦٩٢١ ، ج٦ ، ص ٣٩٦ .

وحق الرب ، و لما طلب عبد الله من النبي ﷺ أن يزيده في عدد الأيام التي سيصومها ، تمنى في شيخوخته أن لو أخذ بنصيحة النبي ﷺ ؛ لأن جسده بعدما كبر لم يستطع التحمل مثلما كان شاباً .

إن هذا الحديث يؤسس قاعدة ينطلق منها الداعية في أمور عبادته و دعوته للناس ، و بخاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه المفاهيم عند كثير من الناس فأصبحوا لا يفرقون بين السنة و الواجب ، و غدت السنة عندهم واجباً و المكروه محرماً ؛ كما أخذوا يلزمون الناس بفهمهم السقيم مما أدى إلى الغلو في الدين و إعطاء الناس صورة مغلوطة عن حقيقته ، و قادهم ذلك كله إلى ترك تعاليمه و الانحلال من أوامره و نواهيه ، و لو أبرزت أمثال هذه الأحاديث و شرحت للناس لرغبوا في أن يتمسكوا فيما أمرهم به القرآن العظيم و السنة المطهرة ، يقول الدكتور محمد عمارة عن الوسطية الإسلامية : « هي التي برأت من الغلو و الإغراق في المادية أو في الروحانية ، و إذا كانت المدنية الأوروبية – كما يقول الإمام محمد عبده – هي مدينة الملك و السلطان مدنية الذهب و الفضة ، مدنية الفخفخة و البهرج ، مدينة الختل و النفاق ، و حاكمها الأعلى هو الجنيه عند قوم ، و الليرة عند قوم آخرين ، و لا دخل للإنجيل في شيء من ذلك ، فلقد ظهر الإسلام ، لا روحياً مجداً و لا جسدياً جامداً ، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك ، آخذاً من كلا القبيلين بنصيب ، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، و لذلك سمى نفسه دين الفطرة ، و عرف ذلك له خصومه اليوم » (١) .

الحديث الثاني :

{ ٥٩ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٢) عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل و هو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ، و ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط ،و إني لأسبحها .

التخريج : و أخرجه مسلم (٣) ، و مالك (٤) .

---

(١) د. محمد عمارة ، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي و الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٣ هجري ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ،كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل و النوافل من غير إيجاب ، رقم ١١٢٨ ، ج ٣ ، ص ١٥٤٥ .

(٣) مسلم ، الصحيح مع النووي ،كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب استحباب صلاة الضحى و أن أقلها ركعتان ، رقم ١٦٥٩ ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٤) مالك ، الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب صلاة الضحى ، رقم ٢٩ ، ج١ ، ص ١٤٣ .

دلالة الحديث :

نلاحظ قول السيدة عائشة – رضي الله عنها - : " إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل و هو يحب أن يعمل به " ؛ فالنبي ﷺ لرأفته بالناس و رحمته بهم ، يحرص على عدم إيقاعهم في العنت و المشقة ، وهذه الصورة من صور وسطية هذا الدين ؛ فالأصل أن نبين للناس قولاً و عملاً ما يعكس هذه الوسطية و هذه الرحمة التي تعد من أبرز صفات هذا الدين ، و أبرز صفات نبيه الكريم ﷺ ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلِيهِ مَاعَنِتُم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحِيم ﴾ (١) ، و من الأدلة على رحمة هذا الدين ووسطيته أنه لا يعاقب المذنب مباشرة و لكن يعطيه الفرصة للتراجع و التوبة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذينَ أسْرَفُوا عَلى أنفُسِهِم لا تقنطوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُنوبَ جَمِيعَا إنَّهُ هُوَ الغفُورُ الرَّحِيم ﴾ (٢) .

و من الأدلة على وسطية هذا الدين و عدم ابتغاءه العنت و المشقة للناس ، أنه رخص للمسافر والمريض و العاجز و الكبير و المرضع و الحامل إذا تضررتا بالإفطار في رمضان ، و القضاء فيما بعد أو دفع الفدية ، جاء في كتاب " تحفة الفقهاء " في معرض الكلام عن هذا الأمر « و المسافر إذا مات في السفر ، و المريض قبل البرء ، لا يجب عليهما القضاء ؛ لأن العاجز لا يكلف » (٣) ، و هذا من سعة رحمة الله بعباده ، و الأمثلة كثيرة في الفقه الإسلامي التي تدل على وسطية التكاليف الشرعية .

الحديث الثالث :

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٤) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن أعرابياً بال في المسجد ، فقاموا إليه ، فقال رسول ﷺ : لا تزرموه ، ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه .

غريب الحديث : لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله (٥) .

دلالة الحديث :

---

(١) { التوبة : ١٢٨ } .
(٢) { الزمر : ٥٣ } .
(٣) علاء الدين السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، ج ١ ، ص ٣٤١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .
(٤) سبق تخريجه ص ٥٨ .
(٥) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٢ ، ص ٧٢٢٠ .

في هذا الحديث تطبيق عملي لمفهوم الوسطية من قبل النبي ﷺ ، فليس هناك أكبر جرماً و أعظم ذنباً من البول في المسجد ؛ كما دل على ذلك ردود أفعال الصحابة — رضي الله عليهم - ، و لكن النبي ﷺ و هو معلم البشرية يوضح للصحابة كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف ، بقوله لهم : " لا تزرموه " أي لا تقطعوا عليه بوله ، و هذا نهي لهم عن استخدام الغلظة و الشدة بحق ذلك الأعرابي ؛ لأن ذلك سينفره من هذا الدين ، وهذه هي الوسطية بعينها ، فلا إفراط و لا تفريط ، فالنبي ﷺ أخذ بعين الاعتبار جهل ذلك الأعرابي ، و عدم معرفته بحرمة المسجد فعالج الموقف برحمة و لطف .

إن هذا الدين لا يدعو إلى العنف و الغلظة ، بل يدعو إلى الرفق و الرحمة ، و إن الصور التي نراها اليوم من قبل البعض بحيث يجرمون الغير ، و يقتلونهم بدعوى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، لا تعكس الصورة الحقيقة لهذا الدين ، بل تعكس الفهم السقيم الذي قاد إلى مثل هذه الأفعال .

و لقد أكدت رسالة عمان السامية على هذه المفاهيم ، و دعت جميع الطوائف والفرق إلى إبراز وسطية هذا الدين و رحمته و نبذ العنف و التطرف ، حيث جاء فيها : « والدين الإسلامي الحنيف قام على التوازن والاعتدال والتوسط والتيسير ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً ﴾ (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : " يسرّوا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " (٢) ، وقد أسّس للعلم والتدبّر والتفكير ما مكن من إيجاد تلك الحضارة الإسلامية الراسخة التي كانت حلقة مهمة انتقل بها الغرب إلى أبواب العلم الحديث، والتي شارك في إنجازاتها غير المسلمين باعتبارها حضارة إنسانية شاملة. وهذا الدين ما كان يوماً إلا حرباً على نزعات الغلوّ والتطرف والتشدّد، ذلك أنها حجب العقل عن تقدير سوء العواقب والاندفاع الأعمى خارج الضوابط البشرية ديناً وفكراً وخلقاً، وهي ليست من طباع المسلم الحقيقي المتسامح المنشرح الصدر، والإسلام يرفضها – مثلما ترفضها الديانات السماوية السمحة جميعها - باعتبارها حالات ناشزة وضروباً من البغي، كما أنها ليست من خواص أمة بعينها وإنما هي ظاهرة عرفتها كل الأمم والأجناس وأصحاب الأديان إذا تجمعت لهم أسبابها، ونحن نستنكرها وندينها اليوم كما استنكرها وتصدّى لها أجدادنا عبر التاريخ الإسلامي دون هوادة، وهم الذين أكدوا، مثلما نؤكد نحن، الفهم الراسخ الذي لا يتزعزع بأن الإسلام دين أخلاقي الغايات والوسائل، يسعى لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، والدفاع عنه لا

---

(١) { البقرة : ١٤٣ } .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب ما كان يتخولهم من الموعظة ، رقم ٦٩ ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، و مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الجهاد ، باب الأمر بالتيسير ، رقم ٤٤٨٢ ، ج ١٢ ، ص ٣٥ .

يكون إلا بوسائل أخلاقية، فالغاية لا تبرر الوسيلة في هذا الدين. والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم، فلا قتال حيث لا عدوان وإنما المودة والعدل والإحسان ﴿ لا يَنهَاكُمْ اللهَ عَنْ الَّذِينَ لم يُقَاتِلوكُم فِي الدِّين ، وَ لم يُخرِجُوكم مِن دِيَارِكُمْ أَنْ تبرّوهم وَتُقسِطوا إليهم إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطين ﴾ (١) ، ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ (٢) . وإننا نستنكر، دينياً وأخلاقياً ، المفهوم المعاصر للإرهاب والذي يراد به الممارسات الخاطئة أيّاً كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدّي على الحياة الإنسانية بصورة باغية متجاوزة لأحكام الله، تروع الآمنين وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى وتقتل الأسرى ، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية، من تهديم العمران واستباحة المدن ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ﴾ (٣) ، ونشجب هذه الممارسات ونرى أن وسائل مقاومة الظلم وإقرار العدل تكون مشروعة بوسائل مشروعة وندعو الأمة للأخذ بأسباب المنعة والقوة لبناء الذات والمحافظة على الحقوق، ونعي أن التطرف تسبّبَ عبر التاريخ في تدمير بنى شامخة في مدنيات كبرى ، وأن شجرة الحضارة تذوي عندما يتمكن الحقد وتنغلق الصدور. والتطرف بكل أشكاله غريب عن الإسلام الذي يقوم على الاعتدال والتسامح. ولا يمكن لإنسان أنار الله قلبه أن يكون مغاليا متطرفا. وفي الوقت نفسه نستهجن حملة التشويه العاتية التي تصور الإسلام على أنه دين يشجّع العنف ويؤسّس للإرهاب » (٤) .

وسنذكر فيما يأتي مثالاً على تصرفات المكفرين والغلاة و التي تنافي وسطية هذا الدين ؛ لنوضح الفرق بين من تلبس بلبوس الدين و بين حقيقة هذا الدين ، يقول الشيخ محمد جميل زينو تحت عنوان " من أخلاق المكفرين " : « نزلت ضيفاً عند أحد الخطباء ، و ذهبت معه إلى المسجد يوم الجمعة ، و كفر حكام المسلمين بغير دليل شرعي و لا برهان ، و لما جئت إلى بيته قال لي والد زوجته : إن الشيخ ضرب زوجته على عينها بكأس الشاي ، فتأثرت عينها ، و هي ابنتي ، فقلت لهذا الشيخ : أنت كفرت الحكام لأنهم في زعمك لا يحكمون بما أنزل الله ، و أنت في بيتك لم تطبق حكم الله على أهلك ، لأن الرسول ﷺ يقول : " إذا ضرب أحدكم خادمه فليجتنب الوجه " . متفق عليه . فسكت و لم يعطي جواباً .

---

(١) { الممتحنة : ٨ } .
(٢) { البقرة : ١٩٣ } .
(٣) { الأنعام : ١٥١ } .
(٤) رسالة عمان ، الموقع الرسمي لرسالة عمان ، www.ammanmessage.com .

فإذا كان ضرب الخادم على وجهه لا يجوز ، فكيف بضرب الزوجة و غيرها ، لأن الوجه فيه السمع و البصر و الأنف ، و هي من الحواس التي تتأثر بالضرب » ([١]) .

و كم من الأمثلة التي تدل على جهل هؤلاء ، و إساءتهم لهذا الدين ، و تنفيرهم للناس منه ، و لنستمع إلى ما يقوله : - صاحب كتاب الإرهاب – عن كيفية علاج مرض الغلو و الذي يصادم الوسطية مصادمة مباشرة : « إن علاج هذا المرض بل الوقاية منه هو في التوعية الإسلامية الرشيدة التي لا يحسنها إلا العلماء » ([٢]) .

الحديث الرابع :

{ ٦٠ } قال أبو داود ([٣]) : حدثنا ابنُ المُثنَّى أخبرنا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ أخبرنا أبي قال سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ أيُّوبَ يُحَدِّثُ عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيبٍ عن عِمْرَانَ بنِ أبي أنسٍ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جُبَيْرٍ المصري عن عَمْرِو بنِ العَاصِ قال: احْتَلَمْتُ في لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ في غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاسِلِ، فأشْفَقْتُ إنْ أغْتَسِلَت أن أهْلِكَ فتَيَمَّمْتُ ثمَّ صَلَّيْتُ بأصْحَابي الصُّبْحَ، فذكروا ذلِكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول ﴿ وَلا تقتلوا أنفُسَكُمْ إنَّ الله كانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ ([٤]) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا .

التخريج : و أخرجه أحمد ([٥]) .

دراسة الإسناد :

ابن المثنى : أبو موسى محمد بن المثنى : ثقة ثبت ([٦]) . وهب بن جرير : وهب بن جرير بن حازم : ذكره ابن حبان في الثقات ، و قال النسائي : ليس به بأس ، قال ابن حجر : ثقة ([٧]) . جرير : هو جرير بن حازم ، قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين : ثقة ، و قال النسائي : ليس به بأس ([٨]) ، قال ابن حجر : ثقة ([١]) . يحيى بن أيوب :

([١]) محمد بن جميل زينو ، التحذير من فتنة الكفر و التكفير ، ص ٩٠ .
([٢]) زيد بن محمد المدخلي ، الإرهاب و آثاره على الأفراد و الأمم ، مكتبة الفرقان ، عمان ، ١٤٢٠ هجري ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٤ .
([٣]) أبو داود ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم ، رقم ٣٣٤ ، ج ١ ، ص ٥٣٠ .
([٤]) { النساء : ٢٩ } .
([٥]) أحمد ، المسند ، رقم ١٧٤٧٩ ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
([٦]) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، رقم ٦٥٥٢ ، ج ٩ ، ص ٣٦٨ ، تقريب التهذيب ، رقم ٧١٠٢ ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
([٧]) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٨٧٠٧ ، ج ٦ ، ص ١٩٩ ، تقريب التهذيب ، رقم ٨٤٧٢ ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .
([٨]) المزي ، تهذيب الكمال ، رقم ١٠٠٠ ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

يحيى بن أيوب الغافقي ، قال اسحق بن منصور عن ابن معين : صالح ، و قال مرة : ثقة ، و ذكره ابن حبان في " الثقات " ، قال ابن حجر : صدوق ربما أخطأ (٢) . يزيد بن أبي حبيب : و اسمه سويد الأزدي ، قال الليث : يزيد بن أبي حبيب سيدنا و عالمنا ، ذكره ابن حبان في " الثقات " ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، قال ابن حجر : ثقة فقيه و كان يرسل (٣) . عمران بن أبي أنس : قال أحمد و ابن معين و أبو حاتم و النسائي : ثقة ، قال ابن حجر : ثقة (٤) . عبد الرحمن بن جبير المصري : قال النسائي : ثقة ، و ذكره ابن حبان في " الثقات " ، روى له مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي (٥) ، قال ابن حجر : ثقة عالم بالفرائض (٦) .

درجة الحديث : إسناده حسن ، من اجل يحيى بن أيوب .

دلالة الحديث :

إن في إقرار النبي ﷺ لعمرو بن العاص على ما فعله ، لصورة واضحة على سعة هذا الدين ، و أنه بريء من التشدد و الغلو ، و لقد رأينا كيف استشهد عمرو بن العاص لما فعله بقول الله تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلوا أنفُسَكُمْ إنَّ الله كانَ بكُمْ رَحِيماً ﴾ (٧) ، يقول بدر الدين الزركشي : « فلو لم يجز التيمم إذاً لأفضى إلى حرج و مشقة » (٨) ، و قال أبو يعلى الفراء : « و الصحيح جواز التيمم للمريض ، إذا خاف زيادة المرض » (٩) ، فالله رحيم بعباده ، و لذلك جعل الأمر في التكاليف الشرعية واسع ، و جاء الاختلاف بين العلماء رحمة لهذه الأمة ، و لكن ضيق هذه الرحمة تشنج بعض الناس و ادعائهم احتكار الحقيقة .

يقول الدكتور طه جابر العلواني حول موضوع الاختلاف : « إن الاختلاف في وجهات النظر ، و تقدير الأشياء و الحكم عليها أمر فطري طبيعي و له علاقة بالفروق الفردية إلى حد كبير ، إذ يستحيل بناء الحياة ، و قيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية و النمطية المتطابقة ، إذ لا مجال – عندئذ – للتفاعل و الإكتساب و

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، رقم ١٠١٤ ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٢) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ،رقم ، ٨٤٧٤ ، ج ٦ ، ص ١٩٩ ، تقريب التهذيب ، رقم ٨٥١٩ ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
(٣) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٨٩٤٦ ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ ، تقريب التهذيب ، رقم ٨٧٣٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .
(٤) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، رقم ٦٠٢٣ ، ج ٤ ، ص ٤٦٣ ، تقريب التهذيب ، رقم ٥٨٣٦ ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .
(٥) المزي ، تهذيب الكمال ، رقم ٤٢٥٥ ، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ .
(٦) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، رقم ٤٣٠٣ ، ج ١ ، ص ٥٨٥ .
(٧) { النساء : ٢٩ } .
(٨) بدر الدين الزركشي ، شرح على مختصر الخرقي ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، مكتبة العبيكان ، السعودية .
(٩) أبو يعلى الفراء ، المسائل الفقهية ، ج ١ ، ص ٩٢ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٥ م .

العطاء ! ذلك أنه من طبيعة الأعمال الذهنية و العملية اقتضاء مهارات و قدرات متفاوتة و متباينة ، و كأن حكمة الله تعالى اقتضت أن بين الناس بفروقهم الفردية – سواء أكانت خلقية أم مكتسبة – و بين الأعمال في الحياة قواعد و التقاء ، و كل ميسر لما خلق ، وعلى ذلك فالناس مختلفون و المؤمنون درجات ، فمنهم الظالم لنفسه ، و منهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات . ﴿ وَ لو شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لا يَزَالُونَ مُختلِفين ﴾ (١) .

و مما يؤسف له أن تحول الاختلاف بوجهات النظر من ظاهرة صحة تغني العقل المسلم بخصوبة رأي ، و عمق تمحيص ، و اطلاع أوسع على وجهات نظر متعددة وزوايا رؤية مختلفة و إمعان نظر و تدقيق و قدح لزناد الفكر تحول عن كل هذه الإيجابيات عند مسلمي عصر التخلف إلى مرض عضال و سم زعاف أدى إلى التآكل والتفتت و التشتت و التدابر و التناحر ، حتى كاد يصل الأمر عند بعض المختلفين إلى حد التصفية الجسدية ، و تطرف البعض الآخر منهم حتى أخذ يرى – بمقايسات محزنة – أن أعداء الدين و أهل الكتاب أقرب إليه من المخالفين له بالرأي من إخوانه المسلمين الذين يلتقون معه على أصول العقيدة و صفاء التوحيد . و لهذا في التاريخ القريب و البعيد شواهد كثيرة يؤسف لها و يتحسر على طاقات الأمة الهائلة التي أهدرت وقوداً لنار الفتن والاختلاف التي ما زادتها إلا استعاراً و تأججاً و العياذ بالله .

كثيراً ما يعجز الإنسان عن النظرة الكلية السوية للأمور ، و الرؤية الشاملة المتزنة للأبعاد المتعددة للمسائل فيضيق ذهنه على جزئية صغيرة يضخمها و يكبرها و يقبع وراءها و ينفخ فيها حتى تستغرقه ، و تأخذ لباب فكره إلى درجة لا يمكن أن يرى معها شيئاً آخر أو إنساناً آخر يخطئه ، فيفاضل عليها ، و يوالي عليها ، و يحب و يبغض فيها ، و قد يستنصر و يتقوى بأعداء الدين على صاحب الرأي المخالف .

يروى أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحسوا الخوارج ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم ، فاعتزلوا و دعوني و إياهم ، و كانوا قد أشرفوا على العطب . فقالوا : شأنك . فخرج إليهم ، فقالوا : ما أنت و أصحابك ؟ قال : مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله و يغرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناك ، قال : فعلمونا . فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، و جعل يقول : قد قبلت أنا و من معي . قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ، قال : ليس ذلك لكم ، قال الله تبارك و تعالى : ﴿ وَ إنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتَجَارَكَ فأجِرْهُ

---

(١) { هود : ١١٨ } .

حتَّى يَسْمَعَ كلامَ اللهِ ثُمَّ أبْلِغْهُ مَأمَنَهُ ﴾ ([١]) فأبلغونا مأمننا ، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذاك لكم . فساروا بأجمعهم حتى بلغوا المأمن .

لقد وصلت حدة الاختلاف إلى مرحلة أصبح المشرك معها يأمن على نفسه عند بعض الفرق الإسلامية التي ترى أنها على الحق المحض أكثر من المسلم المخالف لها بوجهة النظر و الاجتهاد في مسائل فرعية و جزئية حيث أصبح لا سبيل معها للخلاص من الأذى و العذاب إلا بإظهار صفة الشرك !! .

إنه اختلاف الأهوج ، و الهوى الغالب الذي يتطور و يتضخم ة تتعمق أخاديده في القلوب فيسيطر على الشخص و يتملك عليه حواسه و عقله حتى ينسى معها المعاني الجامعة و الكليات العامة ، و الصعيد المشترك و الغايات و المقاصد و القواعد الأصيلة للإسلام . فيعدم صاحبه البصيرة و الإبصار و ينسى أبجديات الخلق الإسلامي فتضطرب الموازين و تختل الرؤية و تختلط الأوراق و تختفي الأولويات و يسهل القول بغير علم والفتوى بغير نور و العمل بغير دليل و ينتشر التفسيق و التكفير و الاتهام . و يسقط ذلك المريض في هاوية التعصب الأعمى السحيقة و تظلم الدنيا من حوله فلا يكاد يرى إلا سواداً و ظلمة كالحة و ما هي – في حقيقة الأمر – إلا انعكاس لنفسيته المظلمة التي انطفأ فيها نور العلم و خبت منها جذوة التعقل ﴿ وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور ﴾ ([٢]) » ([٣]) .

إن هذا الكلام الماتع للدكتور العلواني يبين خطر الاختلاف و أثره في تفرق الأمة وتشتتها شيعا ، حيث كانت الأمة في زمن النبي ﷺ على طريق واحد ، يقول الإسفرائيني : « اعلم أن المسلمين وقت النبي ﷺ و بعد وفاته كانوا على طريق واحدة ، لم يكن بينهم خلاف ظاهر ، و من كان بينهم من المخالفين المنافقين ، ما كان يتمكن من إظهار ما كان يسر من أخباره » ([٤]) ، و إن الاختلاف المذموم الذي يرى صاحبه أنه يحتكر الحقيقة يضاد الوسطية و يخالفها تمام المخالفة ، و يوقع في التطرف الذي نراه في أيامنا هذه ، والتي قادت إلى فرقة الأمة و تشتتها و استباحة مقدراتها .

إن الأمثلة من السنة النبوية على وسطية و سمو هذا الدين كثيرة ، و لكن فيما سبق بيانه ما يغني اللبيب ، و يصل إلى فهم الأريب ، دون إسهاب ممل و لا تقصير مخل.

([١]) { التوبة : ٦ } .
([٢]) { النور : ٤٠ } .
([٣]) د. طه جابر العلواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدار العربية للعلوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١١ – ١٣ .
([٤]) الإسفرائيني ، التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ج١ ، ص ١٩ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٣ م ، تحقيق كمال يوسف الحوت .

المطلب الثالث :التركيز على الإشارات العلمية في الحديث النبوي :

إن من فن خطاب غير المسلمين دعوتهم بالحجة العلمية التي يؤمنون بها ، لبيان صدق ما جاء به النبي ﷺ و ترغيبهم في الإسلام من خلال ذلك ، و قد جاءت الأحاديث النبوية حافلة بالإشارات العلمية التي تثبت أن ما جاء به النبي ﷺ هو من الوحي الإلهي وليس من عند نفسه ، و بخاصة أن النبي ﷺ لم يكن يقرأ و لا يكتب ، و نشأ في بيئة أمية ؛ كما يقول الله تعالى : ﴿ وَ مَا كُنتَ تتلوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تخُطّه ُ بيَمِينِك إذاً لارْتابَ المُبْطِلون ﴾ (١) ، جاء في كتاب موسوعة العلم و الإيمان « فلو أن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة و الكتابة لكانت فرصة لا تعوض للناكرين الجاحدين للحق للطعن بالقول بأن القرآن من إنشائه و صنعه، أو على الأقل ، فإن ما عرفه الرسول ﷺ يكون قراءة من كتب آخرين .

من هنا كانت حكمة الله عز و جل في أن يكون خاتم المرسلين لا يقرأ و لا يكتب ليبقى الاحتمال الصحيح ، و هو أن ما جاء به من قرآن ، إنما هو من لدن عليم خبير،هو الخالق العظيم سبحانه و تعالى » (٢) .

الحديث الأول :

{ ٦١ } أخرج الإمام البخاري و الإمام مسلم في صحيحيهما بسندهما (٣)(٤) عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال : قال النبي ﷺ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك ، و فوضت أمري إليك ، و ألجأت ظهري إليك ، رغبة و رهبة إليك ، لا ملجأ و لا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، و بنبيك الذي أرسلت ، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة .

التخريج : و أخرجه أبو داود (٥) ، و الترمذي (٦) ، و ابن ماجه (٧).

---

(١) {العنكبوت : ٤٨ }.
(٢) د . أحمد زكي ، د . سيد رمضان هداهدة ، موسوعة العلم و الإيمان ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٨٦ .
(٣) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الوضوء ، باب فضل من بات على الوضوء ، رقم ٢٤٧ ، ج ١ ، ص ٤٦٥ .
(٤) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الذكر والدعاء و التوبة و الاستغفار ، باب ما يقول عند النوم و أخذ المضجع ، رقم ٦٨٢٠ ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ .
(٥) أبو داود ، السنن كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم ، رقم ٥٠٤٦ ، ٥٠٤٧ ، ج ٥ ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ .
(٦) الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، رقم ٣٣٩٤ ، ج ٥ ، ص ٤٠١ .
(٧) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ، رقم ٣٨٧٦ ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ .

دلالة الحديث :

في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يأمر البراء بالنوم على الشق الأيمن ، و لنستمع إلى العلم الحديث ماذا يحدثنا عن النوم على الشق الأيمن : يقول الدكتور محمد راتب النابلسي :« حينما يأوي الإنسان إلى فراشه ليراقب نفسه كيف ينام ، بعض الناس ينامون على بطونهم ، و بعضهم ينام على ظهره ، و بعضهم ينام على شقه الأيمن ، و بعضهم ينام على شقه الأيسر ، فالذين ينامون على بطونهم يشعرون بضيق في التنفس ؛ لأن ثقل الظهر و الهيكل العظمي يقع على الرئتين ، إضافة إلى أن هذه النومة غير لائقة .

أما الذين ينامون على ظهورهم فإنهم يعطلون جهازاً من أدق الأجهزة ، و هو جهاز التسخين و التصفية ، ففي الأنف سطوح متداخلة ، فيها شرايين ذوات عضلات ، إذا توسعت العضلات جاءت كمية كبيرة من الدم ، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة على نحو حلزوني ، و لامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الأنف بفعل عضلات الشرايين عندئذ يسخن الهواء ، و يصل إلى أول القصبة بدرجة ٣٨ ، و لو كان قبل دخوله الأنف بدرجة الصفر ، أضف إلى أن هذه السطوح فيها مادة لزجة ، فأي غبار ، و أي هباب ، أي جسم ، أي شيء يمكن أن يعلق بها ، و لو تصورنا أن شيئاً ما استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها ، أو أن يعلق عليها ، فهناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة ، و هذه الأشياء العالقة في الهواء ، إنه أرقى جهاز تسخين ، و أرقى جهاز تصفية من أجل أن يصل الهواء إلى الرغامى نقياً ، دافئاً ، نظيفاً ، مصفى .

إذا نام الإنسان على ظهره ، و تنفس من فمه فكأنه عطل هذه الأجهزة البالغة التعقيد ، و لذا يرى المرء أنفه عند البرد الشديد أحمر قانياً ، و إذا تنفس الإنسان من فمه ماذا يحدث ؟ سيكون أكثر تعرضاً للزكام من غيره ، و تجف لثته ، و إذا جفت تراجعت و تراجع اللثة عن الأسنان مرض العصر ، أضف إلا أن الشخير الذي لا يحتمل سببه هو التنفس من الفم .

إذاً النوم على الظهر أو البطن ليس صحياً ، بقي النوم على الشق الأيسر ؛ فإن الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة ، فإذا نام الإنسان على الشق الأيسر استغرق هضم الطعام من خمس إلى ثماني ساعات ؛ لأن الرئة اليمنى – و هي الكبيرة – تضغط على القلب ، و الكبد – و هو أكبر الأعضاء – يبقى معلقاً قلقاً ، أما إذا نام الإنسان على شقه الأيمن والرئة اليسرى أصغر و أخف ، و الكبد هو أكبر

أعضاء الجسم مستقرٌ في الجسد على جهة الأرض ؛ فإن الهضم يتم بسرعة ، قال بعضهم : النوم على الظهر نومة الأمراء ، و النوم على البطن نومة الشياطين ، و النوم على الشق الأيسر نومة الأغنياء ، فإنهم بكثرة أكلهم ينامون على الشق الأيسر كي يستريحوا ، أما النوم على الشق الأيمن فهو نوم العلماء » (١) .

إذاً هكذا يؤيد العلم الحديث ما أمر به النبي ﷺ أمته من النوم على الشق الأيمن ، و قد تبين لنا عظم الفوائد المترتبة من النوم على الشق الأيمن ، و بمثل هذه الإشارات العلمية نخاطب غير المسلمين ، مدللين على عدم تناقض صحيح المنقول مع صريح المعقول ، وعلى عظمة ما جاء به النبي ﷺ و انه من عند الله ؛ و لذلك نجد الآيات في القرآن الكريم تولي الجانب العلمي و النظر في الآيات الكونية اهتماماً كبيراً يقول الله تعالى : ﴿ وَ فِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلمُوقِنين وَ فِي أنفُسِكُمْ أفلا تُبْصِرُون ﴾ (٢) .

الحديث الثاني :

{ ٦٣ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : الفطرة خمس : الختان ، و الاستحداد ، و نتف الإبط ، و تقليم الأظافر ، و قص الشارب .

التخريج : و أخرجه مسلم (٤) ، و أبو داود (٥) ، و الترمذي (٦) ، و النسائي (٧) ، و ابن ماجه (٨) .

دلالة الحديث :

وسنتكلم عن الإشارة العلمية في سنة الختان ، يقول الدكتور صالح رضا : « نشرت المجلة الطبية البريطانية مقالاً في عام ١٩٨٧ . جاء فيه : "إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود ، و في البلدان الإسلامية ، حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة ، و أثبتت

---

(١) د. محمد راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة آيات الله في الانسان ، دار المكتبي ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هجري ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٢) { الذاريات : ٢٠ -٢١ } .
(٣) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب اللباس ، باب تقايم الأظافر ، رقم ٥٧٥٧ ، ج ١١ ، ص ٥٤ .
(٤) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، رقم ٥٥١ ، ج ٣ ، ص ١١٩ .
(٥) أبو داود ، السنن ، كتاب الترجل ، باب في أخذ الشارب ، رقم ٤١٩٨ ، ج ١١ ، ص ٢٥٢ .
(٦) الترمذي ، السنن ، كتاب الآداب ، باب ما جاء في تقليم الأظافر ، رقم ٢٩٠٥ ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
(٧) النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب ذكر الفطرة و الاختتان ، رقم ٩ ، ج ١ ، ص ٢٠ .
(٨) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الفطرة ، رقم ٣٠٤ ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

الإحصائيات الطبية أن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله " .

و في المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال مقال جاء فيه : " إن الرجل غير المختون يعتبر معرضاً لسرطان القضيب ، في حين يمكن منع حدوث هذا السرطان إذا ما اتبع مبدأ الختان عند الوليدين " .

قال الدكتور حسان شمسي باشا : أجل سرطان القضيب و هو من أشنع السرطانات يمكن أن يختفي من الوجود بمجرد أن يعود الإنسان إلى فطرته ، و يسلم الفرد لحكم رب العالمين .

قال : و قد أثبتت دراسات أخرى أن سرطان القضيب يعزى إلى عدم إجراء الختان ، و قلة الاعتناء بنظافة القضيب ، و بقاء مفرزات بين الحشفة ، و القلفة .

و أكدت المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال : أن العوامل الدينية عند المسلمين واليهود التي تقرر اتباع الختان تلعب عاملاً أساسياً في حث هؤلاء على الأخذ بهذه الفطرة.

يقول الدكتور فارس علوان : إن فوائد الختان جلية للعيان ، و منافعه واضحة البيان فلا يماري فيها إلا متعصب ذميم ، أو جاهل لئيم .

لقد بدأت عيون الغرب في العقدين الأخيرين تتفتح على هذه السنة المباركة ، و بدا بعضهم يجري الختان لنفسه طواعية بعد كبر سنه .

يقول : إن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون بمثابة المستنقع الذي يتم فيه أكثر العوامل المرضية ، و يسقيها البول بنجاستها ، فتتكاثر و تنتعش .

و تتكون على جدر هذا الجيب مادة بيضاء مترسبة هي نتيجة بقايا الجراثيم و الفطور و إفرازات الغدد الدهنية ، و العرقية مع توسفات النسيج المخاطي ، و ترسبات من البول و محتوياته .

و من هنا يسهل علينا أن نتصور كيف تدخل العوامل المرضية من صماخ البول عند من لم يختتن ، و تلج هذه إلى الإحليل و منه إلى المثانة ثم إلى الكلية ، أو أنها تتابع طريقها إلى البروستات أو إلى الخصية و البربخ ، و قد تسبب العقم عند الرجال نتيجة التهاب الخصية و البربخ ، و قد ثبت أن الختان يمنع سرطان رأس القضيب ، إذ لا وجود لهذا السرطان عند المختونين ، و كلما كان الختان في سنٍ أبكر ، تكون الوقاية أضمن .

ثم بين أن هذه الالتهابات قد تنتقل إلى المرأة فتسبب عندها التهابات الفرج والتهابات غدة بارتولان ، و التهاب المهبل ، أو يلتهب عنق الرحم ، و يتقرح و قد يكمل

الالتهاب سيره المشروم فيصيب الرحم و الملحقات كالبوتين ، مما يسبب العقم عند المرأة .

قال : و لا أقول إن الختان يمنع أو يخفف كثيراً من هذه الالتهابات التي ذكرت فحسب ، و إنما هناك أمراض لا يفيد فيها إلا الختان ، مثل : تضيق القلفة الخلقي ، أو الالتهابي الأمامي و الخلفي ، و بعض أنواع حصر البول المتكرر بسبب القلفة .

و يقول : نؤكد هنا أن ختان الزوج له دور كبير في وقاية الزوجة من أكثر أمراض النساء الالتهابية » (١) .

إذاً النبي الكريم يخبرنا و قبل ١٤٠٠ سنة عن أهمية الختان دون أن يتطرق لشيء من هذه الحقائق العلمية التي ذكرناها آنفاً ، ليأتي العلم الحديث و بعد هذه المدة الطويلة ليخبرنا عن الفائدة الطبية للختان من الناحية العلمية المحضة ، و ليؤكد الأطباء الغربيين الذين لا علاقة لهم بالإسلام أهمية الختان و أثره على صحة الرجل و المرأة في آن واحد ، فحق لنا أن نفخر بهذا الدين و بهذا النبي ﷺ ،و أن نباهي به الأمم ، وأن نطبق قول الله عز و جل:

﴿ قُلْ إِنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم و اللهُ غَفُورٌ رَحيم ﴾ (٢)
و قوله سبحانه : ﴿ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (٣) .

الحديث الثالث :

{ ٦٤ } أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أولاهن بالتراب .

التخريج : و أخرجه مسلم (٥) ، و أبو داود (٦) ، و الترمذي (٧) ، و النسائي (٨) ، و ابن ماجه (١) ، و أحمد (٢) .

---

(١) د . صالح بن أحمد رضا ، الاعجاز العلمي في السنة النبوية ، ج١ ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ،١٤٢١ هجري ، ٢٠٠١ م ، ص ٨٠ – ٨٣ .
(٢) { آل عمران : ٣١ } .
(٣) { النور : ٥٤} .
(٤) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، كتاب الوضوء ، باب إذا شرب الكلب في الإناء ، رقم ١٧٢ ، ج١ ، ص ٣٣٠ .
(٥) مسلم ، الصحيح مع النووي ، كتاب الطهارة ، باب حكم ولوغ الكلب ، رقم ٦٠٥ ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .
(٦) أبو داود ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من سؤر الكلب ، رقم ٧٣ ، ج١ ، ص ١٣٧ .
(٧) الترمذي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في سؤر الكلب ، رقم ٩١ ، ج١ ، ص ٦١ .
(٨) النسائي ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب تطهير الإناء إذا ولغ فيه كلب الصيد و الغنم ، رقم ٦٧ ، ج١ ، ص ٥٧

دلالة الحديث :

جاء في كتاب الإعجاز العلمي في السنة النبوية : « لقد وقف علماء الفقه و الحديث في هذا الحديث موقف المستغرب ، إذ كيف يكون التراب مطهراً ؟ و هو يجعل الشيء الذي يلامسه متسخاً لا نظيفاً ، و وقف أكثرهم من هذا الحديث لأنه أمر تعبدي لا يناقش فيه ، و لا يسال عن علة هذا المسح بالتراب ، فنحن نسمع و نطيع ، و نغسله بالتراب ، ولو لم نعرف العلة في ذلك ، اتباعاً لظاهر لفظ الحديث .

و جاء القرن العشرون بما يحمله من دراسات و بحوث و أدوات متقدمة تيسر البحث ، و تظهر أموراً كان من الصعب على الناس أن يصلوا إليها في عصور سابقة دون هذه الأدوات المتقدمة المتطورة .

و كان من جملة ما أجري من بحوث حول علاقة التراب بداء الكلب ، فالكلب مرض من الأمراض التي تكون في لعاب الكلب ، و تنتقل منه إلى الإنسان ، و قد يكون الحيوان حاملاً لهذا الداء و إن لن تظهر عليه علامات الإصابة به ، و مثله مثل أي حيوان أو أي حيّ ينقل جراثيم مرض دون أن يصاب بذلك المرض .

ذلك البحث أجري في اسبانيا منذ زمن ، كما أجراه أحد الأطباء الباكستانيين قريباً ، حيث وجد أن داء الكلب ، و جراثيمه مهما غسلت بالماء فإن الماء لا يذهب بها ، فإذا مسحت بالتراب ، فإن التراب يذهب بها و لا يبقِ في الإناء أثراً لها ، و كذا إذا كان الكلب يحمل جراثيم أمراض أخرى ، و صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ، و أمر المسلمين أن يتخذوا وقاية لهم من الإصابة بالأمراض سبقاً علمياً لا مثيل له في عالم الطب الوقائي » (٣) .

---

(١) ابن ماجه ، السنن ، كتاب الطهارة ، باب غسل الإناء من ولوغ الكلب ، رقم ٣٨٦ ، ج١ ، ص ١٣٠ .
(٢) أحمد ، المسند ، رقم ٧٥٦٩ ، ج٢ ، ص ٥٢١ .
(٣) د . صالح أحمد رضا ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، ج٢ ، ص ٨٤١ .

جدول الوسائل التي استخدمها النبي صلى الله عليه و سلم في خطاب الفئات التي ذكرناها في هذا الفصل

المصدر

السنة النبوية

الفئة المستهدفة في الخطاب

العالم الجاهل

المتعنت المرأة الطفل

الوسائل المستخدمة في الخطاب الوسائل المستخدمة في الخطاب الوسائل المستخدمة
في الخطاب الوسائل المستخدمة في الخطاب الوسائل المستخدمة في الخطاب

١- تنمية الوازع الديني . ١ - الرفق و اللين . ١ – تكرار
المعلومة . ١ – التركيز على العواطف . ١ – المؤانسة و الملاطفة
٢ - الإقناع العقلي . ٢ – الحوار . ٢ –
الإعراض عند عدم الاستجابة . ٢ – إشعار المرأة بأهميتها . ٢ – تنمية الشخصية
.
٣ - الحوافز . ٣ – تبسيط المعلومة . ٣ –
التركيز على نقاط الإتفاق . ٣ - تخصيصها بالخطاب في ٣ – ترسيخ الآداب
٤ - استثارة القدرات الذهنية . ٤ – التدرج في إيصال الفكرة . ٤ –
البعد عن المراء العقيم . بعض الأحيان . الإسلامية في
نفس
٥ – تنمية احترام الذات .
الطفل .

الخاتمة

من خلال ما تقدم بيانه في هذه الرسالة ، نلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية :

١- عالمية رسالة الإسلام ، و أن دعوته جاءت لتشمل الناس كافة ، ذكرهم و أنثاهم ، صغيرهم و كبيرهم ، و عالمهم وجاهلهم ومخاطبة كل منهم بحسب ما تقتضيه عقولهم وأحوالهم،ومعاملتهم بالحكمة والموعظة الحسنة

٢- اتباع أساليب مختلفة في خطاب المشركين ، تقوم على حسن عرض الإسلام لهم ، و إظهار الحرص على هدايتهم ، و استنقاذهم من النار .

٣- حث الإسلام على إظهار وسطيته ، سواء في الدعوة أو في العبادات ، و أن منهجية هذا الدين تقوم على قاعدة لا إفراط و لا تفريط .

٤- مراعاة الأولويات في عرض الإسلام ، و خاصة عند خطاب غير المسلمين ، وذلك بالتركيز على الأمور الأساسية كالتوحيد و معرفة الله عز وجل .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات القرآنية

	يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ			
١٧	حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ المَيْتةَ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الخِنزيرِ	المائدة	٣	١٤٠
١٨	قُلْ يَا أَهْلَ الكِتابِ لا تغلوا في دِينِكُم غيرَ الحَقِّ	المائدة	٧٧	٩٢
١٩	وَقالوا لَوْلا ُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ	الأنعام	٨	١٣
٢٠	وَكذلِكَ نفصِّلُ الآياتِ وَلِتَسْتبينَ سَبيلُ المُجْرِمِينَ	الأنعام	٥٥	١٣
٢١	وَ لا تسُبوا الذين يَدْعونَ مِنْ دُونِ الله	الأنعام	١٠٨	١٧
٢٢	قل لا أجدُ في مَا أوحِيَ إليَّ مُحَرَّماَ عَلى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ	الأنعام	١٤٥	١٤٠
٢٣	ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق	الأنعام	١٥١	١١٧
٢٤	وَ يُحِلُّ لهُمُ الطيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبَائِث	الأعراف	١٥٧	١٤٠
٢٥	وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتجَارَكَ	التوبة	٦	١٢١
٢٦	اتَّخذوا أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ	التوبة	٣١	١٢
٢٧	لا تحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا	التوبة	٤٠	١٠٣
٢٨	وَخُضْتُمْ كالَّذِي خاضُوا	التوبة	٦٩	٦٤
٢٩	يَا أَيُّهَا النَّبيّ جَاهِد الكُفّارَ وَ المُنافِقين	التوبة	٧٣	٩٥
٣٠	وَلا عَلى الَّذِينَ إِذا مَا أَتوْكَ لِتحمِلَهم	التوبة	٩٢	٣٩
٣١	وَ مَا كانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِروا	التوبة	١٢٢	١٤٦
٣٢	لقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أنفُسِكُم	التوبة	١٢٨	١١٥

٣٣	وَ لو شَاءَ رَبُّك لجَعَلَ النَّاسَ أمَّةً وَاحِدَةً	هود	١١٨	١٢٠
٣٤	قلْ هَذِه سَبيلي أدْعو إلى الله	يوسف	١٠٨	٧٤ ، ١٠٩
٣٥	كِتابٌ أنزَلناهُ إليكَ لِتخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظلمَاتِ إلى النُّور	إبراهيم	١	٩١
٣٦	يُثبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنوا بالقول الثابت	إبراهيم	٢٧	٣٧
٣٧	إن الله يأمر بالعدل والإحسان	النحل	٩٠	٧٧
٣٨	فإذا قرَأتَ القرآنَ فاسْتعِذ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم	النحل	٩٨	٤٣
٣٩	إنَّمَا حَرَّمَ عَليْكمُ المَيْتة وَ الدَّمَ وَ لحْمَ الخِنزير	النحل	١١٥	١٤٠
٤٠	ادْعُ إلى سَبيل رَبِّكَ بالحِكمَةِ وَ المَوعِظةِ الحَسَنة	النحل	١٢٥	٢٣ ، ٥٨ ٩٤ ، ١٠٠ ١٤٥
٤١	وَيَسْألونكَ عَنْ الروح	الإسراء	٨٥	٩٦
٤٢	يَا يَحيَى خُذ الكِتابَ بقوَّة	مريم	١٢	١٠٣
٤٣	إنَّني أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا فاعْبُدْنِي	طه	١٤	١٣١
٤٤	فقولا لهُ قوْلاً ليِّناً	طه	٤٤	١٠٠ ، ١٠٣
٤٥	فاضْرِبْ لهُمْ طريقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا	طه	٧٧	١١١
٤٦	وَأيُّوبَ إذ نادَى رَبَّهُ أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرَّ وَأنتَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	الأنبياء	٨٣	١٣
٤٧	وَمَا أرْسَلنا مِنْ قبْلِكَ مِنْ رَسُول وَ لا نبيّ إلا إذا تمَنَّى	الحج	٥٢	٤٣
٤٨	يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلحَقَّ	النور	٢٥	٣
٤٩	وَ مَنْ لمْ يَجْعَلْ اللهُ لهُ نوراً	النور	٤٠	١٢٢

٥٠	وَ إنْ تُطِيعُوهُ تهْتدُوا	النور	٥٤	١٢٧
٥١	فلْيَحذَرْ الذين يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتنة	النور	٦٣	٨٧
٥٢	وَ قال الّذين كفروا لولا نُزِّلَ عَليهِ القرْآن جُمْلَة وَاحِدة	الفرقان	٣٢	١٠٤
٥٣	كلا إنَّ مَعِيَ رَبي سَيَهْدِين	الشعراء	٦٢	١٠٣
٥٤	و أنذِرْ عَشِيرَتكَ الأقرَبين	الشعراء	٢١٤	٨٨
٥٥	وَلا تُجَادِلوا أهلَ الكِتاب إلا بالّتي هِيَ أحْسَنُ	العنكبوت	٤٦	٩٥ ، ١٠٢
٥٦	وَ مَا كُنتَ تتلوا مِنْ قبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تخُطّهُ بيَمِينِك	العنكبوت	٤٨	١٢٢
٥٧	إنَّ المُسْلِمينَ وَ المُسْلِمَاتِ وَ المُؤمِنينَ وَ المُؤمِناتِ	الأحزاب	٣٥	٧١
٥٨	وَ فصْلَ الخِطَابِ	ص	٢٠	٤ ، ٥
٥٩	إلّا عِبَادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ	ص	٨٣	٣٠
٦٠	وَمَا قدَرُوا اللهَ حَقَّ قدْره	الزمر	٣٧	٩٤
٦١	قلْ يَا عِبَادِيَ الّذينَ أسْرَفوا عَلى أنفُسِهِم	الزمر	٥٣	١١٥
٦٢	قالَ رَّبُكُمْ ادْعُونِي أسْتجِبْ لكُم	غافر	٦٠	١٣٧
٦٣	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الآفاقِ	فصلت	٥٣	١٤٤
٦٤	فاعْلم أنّه لا إله إلّا الله	محمد	١٩	٢٦ ، ١١٢ ١٠٩
٦٥	وَإنَّ الدِّينَ لوَاقِعٌ	الذاريات	٦	٣
٦٦	وَ فِي الأرْضِ آيَاتٌ لِلمُوقِنين	الذاريات	٢٠ - ٢١	١٢٥
٦٧	وَ مَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحى	النجم	٣ - ٤	٨٠
٦٨	وَأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثمَّ يُجْزَاهُ	النجم	٤٠ - ٤١	٣

	ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَى			
٦٩	وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثى	النجم	٤٥	٧٥
٧٠	لا يَنهَاكُمْ اللهُ عَنْ الَّذِينَ لَم يُقَاتِلوكُم فِي الدِّين	الممتحنة	٨	١١٧
٧١	هُوَ الَذي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَ دِينِ الحَقِّ	الصف	٩	٩٩
٧٢	اقرَأ باسم رَبِّكَ الذي خلقْ	العلق	١ ـ ٥	١٠٩
٧٣	لمْ يَكُنِ الَذِينَ كفرُوا مِنْ أهْل الكِتابِ	البينة	١	٥٢
٧٤	فوَيلُ لِلمُصَلّين	الماعون	٤	١١٣
٧٥	تبَّت يَدَا أبي لهَبٍ وَ تبْ	المسد	١	٩

فهرس الأحاديث النبوية

٤٠.	صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته	عبد الله بن عمر	١٨
٤١.	صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم	العرباض بن سارية	٣٩
٤٢.	صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه	عائشة	٢٨
٤٣.	الفطرة خمس	أبو هريرة	١٢٥
٤٤.	قال لي رسول الله ﷺ : يا عبد الله	عبد الله بن عمرو بن العاص	١١٣
٤٥.	قال النبي ﷺ إذا أتيت مضجعك	البراء بن عازب	١٢٨
٤٦.	قدم على النبي ﷺ سبي	عمر بن الخطاب	١٢
٤٧.	كان الناس ينتابون يوم الجمعة	عائشة	١٧
٤٨.	كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً	سليمان بن بريدة عن أبيه	٢٤
٤٩.	كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً	أنس بن مالك	٨٠
٥٠.	كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض	أنس	٩٧
٥١.	كنت خلف النبي ﷺ يوماً	ابن عباس	٧٨
٥٢.	كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ	عمر بن أبي سلمة	٨١
٥٣.	لما نزلت و أنذر عشيرتك الأقربين	ابن عباس	٨٨
٥٤.	لما أنزلت هذه الآية	أبو هريرة	٨٨
٥٥.	لم قتلته	جندب بن عبد الله	٩٣
٥٦	لولا حداثة قومك	عائشة	١٦
٥٧.	لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم	أبو هريرة	٢٨
٥٨.	لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات	عبد الله بن عمر و أبو هريرة	٢٩
٥٩.	ما بال أناس يشترطون شروطاً	عائشة	٣١، ٢٧
٦٠.	ما كان ليث بلغني عنكم	أنس	
٦١.	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	أبو الدرداء	٤٨
٦٢.	من محمد عبد الله و رسوله إلى هرقل	ابن عباس	٩٩

٦٣.	نضر الله امرأ سمع منا حديثاً	زيد بن ثابت	٤١
٦٤.	يوم الخميس و ما يوم الخميس	ابن عباس	٣٥
٦٥.	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	عبد الله بن مسعود	١٠٧

قائمة المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم

- التفسير و علوم القرآن

٢- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ – ٣١٠ هجري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هجري ، ٢٠٠١ م .

٣- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرج (ت ٦٧١ هجري) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٤- ابن كثير ، الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤ هجري) ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط ٢ ١٤٢٠ هجري – ١٩٩٩ م ، تحقيق سامي بن محمد السلامة .

٥- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن المعروف بابن الجوزي (٥١٠ – ٥٩٢ هجري) ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٣ ، ١٤٠٤ هجري .

٦- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ ه) ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

٧- الشنقيطي ، محمد الأمين الشنقيطي ، (١٣٢٥ – ١٣٩٣ هجري) ، أضواء البيان في تفسير القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط ١ .

٨- الأشقر ، د . محمد الأشقر ، زبدة التفسير ، دار النفائس ، ط ٢ .

٩- السعدي ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، دائرة المطبوعات و النشر،السعودية، الرياض.

١٠- الجياني ، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .

١١- د . مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ١٤١٠ هجري ، ١٩٨١ م .

١٢- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (٦٩١ – ٧٥١ ه) ، الأمثال في القرآن الكريم ، مكتبة الصحابة ، طنطا ، القاهرة ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ م .

- الحديث و علومه و شروحه

١٣- محمد بن إسماعيل بن بردزبة الجعفي البخاري (١٩٤ – ٢٥٦ ه) ، صحيح البخاري ، دار الجيل ، بيروت ، تقديم احمد شاكر ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠١ م طبعة جديدة .

١٤- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ ه) ، صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

١٥- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ – ٢٧٥ ه) ، سنن أبي داود ، دار الفكر ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ١٤١٣ ه ، ١٩٩٢ م تحقيق محمد عوامة .

١٦- أبو عيسى ، محمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩ – ٢٧٩ ه) ، سنن الترمذي ، دار الجيل ، بيروت ، دار الغرب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

١٧- أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ – ٣٠٣ ه) ، سنن النسائي تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤١٤ .

١٨- أبو عبد الله ، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧ – ٢٧٥ ه) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، د . مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة .

١٩- أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ – ٢٤١) ، المسند ، دار الحديث،القاهرة ، ط١ ١٤١٦ ه .

٢٠- مالك بن أنس (١٧٩ ه – ١٧٩٦ م) ، الموطأ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ .

٢١- أبو بكر ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ – ٢١١ ه) ، مصنف عبد الرزاق ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ١٤٠٣ ه ، ١٩٨٣ م .

٢٢- أبو يعلى ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠ – ٣٠٧ ه) مسند أبي يعلى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ ه) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المكتبة العصرية ، طبعة جديدة و منقحة ، ٢٠٠١ م ، رقمها محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٤- محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد بدر العيني ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٥- أبو زكريا ، محيي الدين شرف النووي (ت ٦٧٦ ه) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، تقديم أحمد شاكر ، تحقيق عرفان حسونة ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠ ه .

٢٦- أبو الطيب ، محمد شمس الدين الحق العظيم أبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٧- أبو العلا ، أحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣ – ١٣٥٢ ه) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ١٤٠١ ه ، ١٩٩٠ م .

٢٨- البغوي ، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (٤٣٦ – ٥١٦ ه) شرح السنة ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط١ ١٣٩٥ ه ، ط٢ ١٤٠٣ .

٢٩- السيوطي ، الحافظ جلال الدين ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض ، السعودية .

٣٠- د . محمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث علومه و مصطلحه ، دار الفكر، ط٤ ١٩٨١ م .

٣١- د . محمد شرف القضاة ، الهدي النبوي في الرقائق ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط ٦ .

٣٢- د . صالح بن أحمد رضا ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، مكتبة العبيكان ط ١ ، ١٤٢١ ه ، ٢٠٠١ م .

٣٣- أبو عبد الله الإمام الحافظ الحاكم النيسابوري (٤٠٥ ه – ١٠١٥ م) ، معرفة علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ .

٣٤- ابن الصلاح ، المقدمة في علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧ م .

٣٥- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت ، أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٢ ه) ، الجامع لأخلاق الراوي ، تحقيق د . محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣ ه .

٣٦- أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، جامع العلوم و الحكم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ ه .

٣٧- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥١٠ – ٥٩٢ ه) ، التحقيق في أحاديث الخلاف ، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٤١٥ ه .

٣٨- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ ه) ، القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد ، تحقيق مكتبة ابن تيمية ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ،١٤٠١ه.

٣٩- أحمد بن علي بن ثابت ، أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٢ ه) ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق أبو عبد الله السورقي و ابراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

٤٠- القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٤٧٦ ه – ١٠٨٣ م) ، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية و تقييد السماع ، دار التراث / المكتبة العتيقة – القاهرة / تونس ط ١ ، ١٣٧٩ ه ، ١٩٧٠ م .

٤١- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ ه) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨٢ م .

٤٢- عمر بن محمد بن فتوح البيقوني ، منظومة البيقوني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٧ ه ، ١٩٨٧ م .

- كتب الفقه

٤٣- ابن حجر الهيتمي ، المنهاج القويم ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م .

٤٤- علاء الدين السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ١ .

٤٥- الإمام مالك برواية سحنون بن سعيد التنوخي عن أبن القاسم ، المدونة الكبرى دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٤٦- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (٦٩١ – ٧٥١ ه) ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق و تعليق عصام الدين الصبابيطي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ .

٤٧- أبو يعلى الفراء ، المسائل الفقهية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية ١٩٨٥ م .

٤٨- بدر الدين الزركشي ، شرح الزركشي على مختصر الخرقي ، مكتبة العبيكان السعودية .

٤٩- عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه ، و خلاصة التشريع الإسلامي ، دار القلم ، ط ٨ .

- كتب اللغة و التراجم و السير

٥٠- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١ ه) ، لسان العرب دار صادر ، بيروت ، ط ١ .

٥١- أبو طاهر ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٧٢٩ – ٨١٧ ه) القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .

٥٢- الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ١٤١٥ ه ، ١٩٩٥ م .

٥٣- المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٦٥٤ – ٧٤٢ ه) ، تهذيب الكمال دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .

٥٤- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ ه) ، تهذيب التهذيب، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ .

٥٥- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ ه) ، تقريب التهذيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .

٥٦- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمَرِيّ (٣٦٢ -٤٢٠ ه) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

٥٧- أبو حاتم الرازي ، أبو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس المنذر التميمي الرازي (٣٢٧ ه – ٩٣٨ م) ، التعديل و التجريح ، دار الفكر ، بيروت لبنان .

٥٨- ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

٥٩- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٠ -٨٥٢ ه) الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

٦٠- ابن كثير ، الإمام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤ هجري) ، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت لبنان .

٦١- ابن قيم الجوزية ، ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (٦٩١ – ٧٥١ هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ط ١٤ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م .

٦٢- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ ه – ١٣٧٤ م) تذكرة الحفاظ ، دار الصميعي ، السعودية .

٦٣- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ – ١٣٧٤ م) سير أعلام النبلاء ، دارا لفكر - بيروت،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٠، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

٦٤- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٠ -٨٥٢ ه) لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م .

٦٥- عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ .

٦٦- صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، الجامعة السلفية ، الهند ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- كتب مختلفة

٦٧- د . راجح الكردي ، نظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة ، دار الفرقان ٢٠٠٤م .

٦٨- الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، إشراف د . مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، ط ٣ ، ١٤١٨هـ.
٦٩- أ .د . سعيد اسماعيل علي ، سلسلة كتاب الأمة ، الخطاب التربوي الإسلامي وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بدولة قطر ، ط ١ .
٧٠- د . محمد بن عبد الله العيدي ، فقه الدعوة في صحيح البخاري ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ .
٧١- رفاعي سرور ، قدر الدعوة ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة ، القاهرة، ١٩٩٢م.
٧٢- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، العبودية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٩٧ م .
٧٣- عبد الحافظ الكبيسي ، منهجنا التربوي دراسة موضوعية في رحاب الربية الإسلامية ، مطبعة الحوادث ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
٧٤- معروف زريق ، علم النفس الإسلامي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ .
٧٥- د . عائض القرني ، و لكن كونوا ربانيين ، دار ابن حزم .
٧٦- محمد بن صالح العثيمين ، الصحوة الإسلامية ضوابط و توجيهات ، إعداد علي حسين أبو لوز ، دار القاسم ، الرياض ، ط ٤ .
٧٧- بكر عبد الله أبو زيد ، التعالم و أثره على الفكر و الكتاب ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، السعودية ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ .
٧٨- د . عدنان النحوي ، النظريات العامة للدعوة الإسلامية نهج الدعوة و خطة التربية ، دار النحوي للنشر و التوزيع ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
٧٩- د . يوسف القرضاوي ، النية و الإخلاص ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .
٨٠- محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير ، إيثار الحق على الخلق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
٨١- عبود بن علي بن درع ، ظاهرة الغلو في الدين ، دار الصميعي ، الرياض ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .
٨٢- د . يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف ، مؤسسة الرسالة ، ط ٦ ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .
٨٣- بكر عبد الله أبو زيد ،حكم الإنتماء إلى الفرق و الأحزاب و الجماعات الإسلامية دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .

٨٤- ناصر درويش ، قواعد فقهية لترشيد الدعوة الإسلامية ، مكتبة سمرقند ، ط١ ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٨٥- رفاعي سرور ، عندما ترعى الذئب الغنم ، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة القاهرة ، ط ٦ ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٨٦- د . فضل إلهي ، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب و السنة و سير الصالحين ، مؤسسة الجريسي ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م .

٨٧- روجيه جارودي ، كتاب الإسلام ، ترجمة وجيه أسعد ، دار عطية للطباعة و النشر ة التوزيع .

٨٨- د . محمد علي الهاشمي ، شخصية المسلم ، وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد ، وكالة المطبوعات و النشر ، السعودية ، ط ١ .

٨٩- محمد الغزالي ، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر و الترجمة ، عمان ، الأردن ، ط ١ .

٩٠- د . ابراهيم الفقي ، البرمجة اللغوية العصبية و فن الاتصال اللامحدود ، المركز الكندي ، كندا ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

٩١- عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

٩٢- أحمد بن عبد الحليم تقي الدين ابن تيمية ، اقتضاء الصرط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، السعودية ، تحقيق وتعليق د . ناصر العقل .

٩٣- محمد فريد وجدي ، المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م .

٩٤- بكر أبو زيد ، حراسة الفضيلة ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، الرياض ط٦ .

٩٥- فدوى القصير ، المرأة المسلمة بين الشريعة الإسلامية و الأضاليل الغربية مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع .

٩٦- مريم نور الدين فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، دار الأحرار للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ، ط ١ .

٩٧- محمد نور عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، دار ابن كثير دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .

٩٨- د . حسان شمسي باشا ، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان ، دار القلم ، دمشق ط ٢ ، ١٤٢٧ ه ، ٢٠٠٦ م .

٩٩- محمد شريف الصواف ، حقوق الأولاد من منظار الشريعة الإسلامية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .

١٠٠- مبادئ في تربية النشئ المسلم ، مؤسسة البلاغ ، نشر لجنة التأليف ، ط ١ .

١٠١- د . معين القدومي ، الإسلام و المسلمين في أمريكا ، غيداء للدعاية و الإعلان أمية للتسويق ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م .

١٠٢- محمد بن جميل زينو ، التحذير من فتنة الكفر و التكفير ، مطبعة دار المجمع العلمي ، جدة ، ط ٢ .

١٠٣- عكاشة عبد المنان ، الأمر بالمعروف و الدعوة إلى الله ، دار الروضة للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٣ ه ، ٢٠٠٢ م .

١٠٤- د . محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ، دار الفكر المعاصر بيروت ، لبنان .

١٠٥- د . محمد أمين الحلواني ، الشيخ عبد الوهاب طويلة ، عالمية الإسلام و رسائل النبي ﷺ إلى الملوك و الأمراء ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٤ ه ، ٢٠٠٣ م .

١٠٦- رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، مختصر كتاب إظهار الحق ، نشر وزارة الأوقاف السعودية ، ١٤١٦ ه ، ١٩٩٥ م ، تدقيق محمد أحمد ملكاوي .

١٠٧- محمد الوكيلي ، فقه الأولويات ، دراسة في الضوابط ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن – فيرجينيا ، ط ١ ، ١٤١٦ ه ، ١٩٩٧ م .

١٠٨- د . طه جابر علواني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدار العربية للعلوم المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ ه ، ٢٠٠٥ م .

١٠٩- محمد عمارة ، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي و الحضارة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ١ ، ١٤٢٣ ه ، ٢٠٠٣ م .

١١٠- زيد بن محمد المدخلي ، الإرهاب و آثاره على الأفراد و الأمم ، مكتبة الفرقان عمان ، ١٤٢٠ ه ، ٢٠٠٠ م .

١١١- د . أحمد زكي ، د . سيد رمضان ، موسوعة العلم و الإيمان ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م .

١١٢- د . محمد راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة ، دار المكتبي ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٦ ه ، ٢٠٠٥ م .

١١٣- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٥ م .

١١٤- ابن خلدون ، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١١٥- العبدروسي ، تعريف الإحياء ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ .

١١٦- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، الأمثال من الكتاب و السنة ، تحقيق د . السيد الجميلي ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

١١٧- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تحقيق د . علي حسن ناصر ، د . عبد العزيز العسكر ، د . حمدان محمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ ه .

١١٨- تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية ، دار المعرفة ، بيروت .

١١٩- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، تحقيق هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٦ ه ١٩٩٦ م .

١٢٠- ابن الجوزي ، التذكرة في الوعظ ، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار المعرفة بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ ه ، ١٩٨٦ م .

١٢١- ظاهر بن محمد الإسفرايني ، التبصير في الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ١٩٨٣ م .

- الدوريات

١٢٢- مجلة آيات ، العدد السابع ، مطابع برجي – بيروت ، لبنان ، سنة الطبع ١٤٢٥ هجري ، ٢٠٠٤ م .

١٢٣- مجلة آيات ، العدد الحادي عشر ، مطابع برجي – بيروت ، لبنان ، سنة الطبع ١٤٢٥ هجري ، ٢٠٠٤ م .

- المواقع الالكترونية .

١٢٤- www.hamoora.blogspot.com

١٢٥- www.ammanmessage.com

١٢٦- www.nooran.org

Summary of the letter in Arabic

” Realistic speech lawsuit in the light of Sunnah “

Prepared by

ALI TAHA MOHAMMED ALKILANI

Dr. supervision

BAKR MUSTAFA BANI ERSHEED

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace envoy mercy to the worlds and the machine owners and Algr Miami, either:

This letter has provided an update of the requirements for obtaining a master's degree in modern and Sciences from the University of the home, and Mo instead of "realistic speech lawsuit in the light of Sunnah." And this letter consists of an introduction and pave and three chapters and a conclusion.

As presented dealt with the problem of the study, and the importance of the subject, and its objectives, and the reasons for selecting research, and past efforts in the matter,and systematic work in the letter.

And the introductory chapter, introduced by the definition of the most important terms, such as: Real advocacy,communication, the year.

The first chapter dealt with when the subject of discourse and realistic choice in light of Huda Muhammad, and talked about methods for selecting the topic and relevance of the time arises, and to prepare scientific and configuration of the subject, and realistic choice and performance in light of formulas Sunnah and the formula Mapal folks in ; also addressedρconversations and realistic significance to the Prophet the issue of linkage between time and place in the prophetic discourse, and the importance of activating and realistic discourse with the prophetic event campaign speech in this era.

And Chapter II has addressed the subject of discourse on the different types of people in the light of the year and in his call, and it showed the world how speech andρbiography of the Prophet the ignorant, obstinate and women and children, in terms of technique and Address such; It also linked theρmethodology which was followed by the Prophet -style speech, and a style of preachers in this day and age.ρProphet

And Chapter III has shown ways in which speech non-Muslims, through the polytheists, and ways ofρpresentation of models of the speech of the Prophet addressing the people of the book, and his letters to the kings, with an priorities in the speech, and highlight theρindication of interest Prophet centrist speech lawsuit through the chatter Received in this regard; also focused on scientific references in the Hadith, and especially when a letter of non-Muslims, to demonstrate the credibility of this debt, and it was divine inspiration, and not the handiwork of one.

This summary of the topics most important message and the points made by, and may be terminated conclusion of this letter, which deposited its findings.

It is the mistake myself and the devil, that I became the one God. Beseeching God Almighty, that makes this act of pure point-Karim.